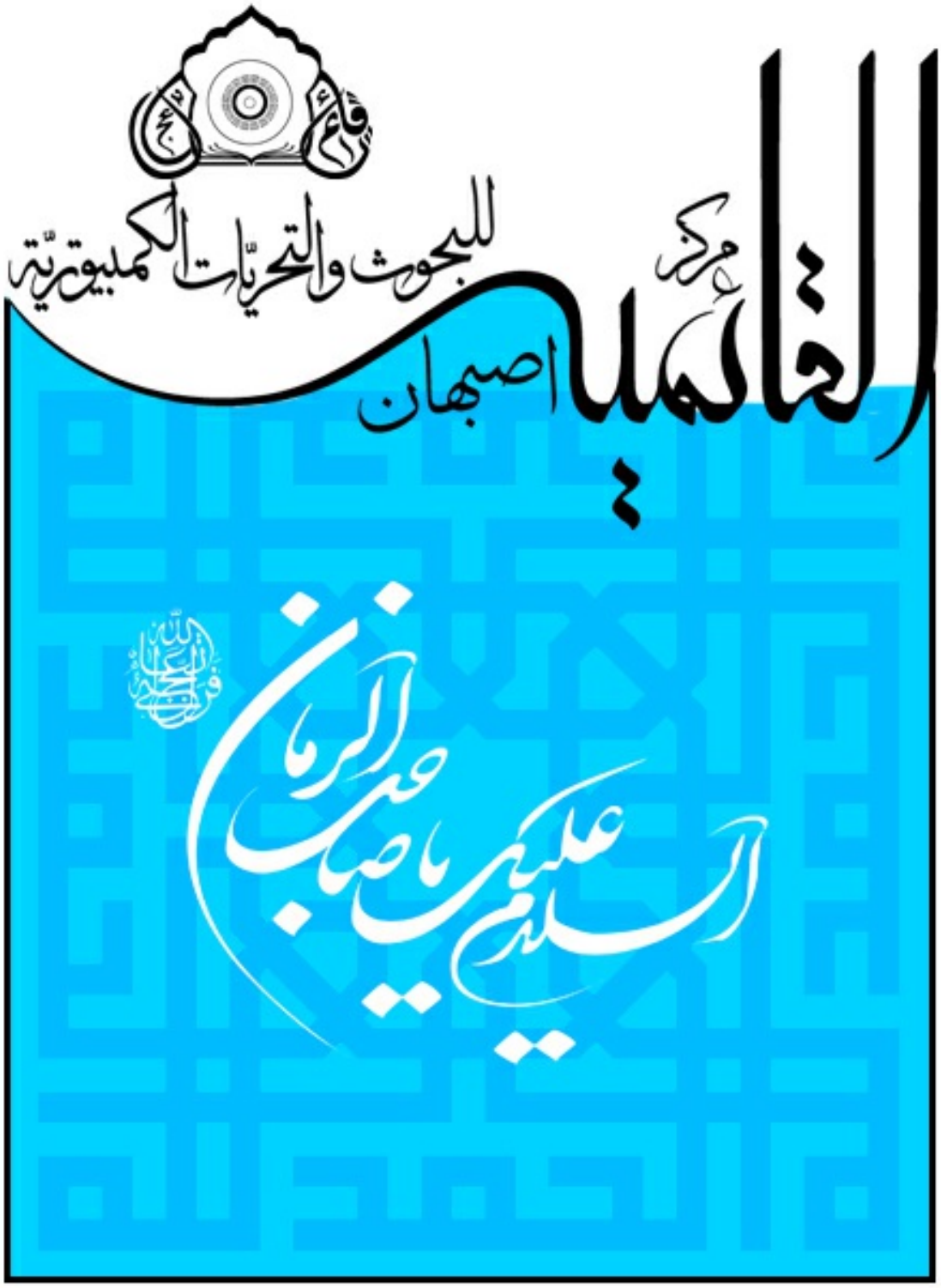

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

المرأة
في سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام
(قراءة أدبية)

تأليف
الدكتورة بيان العريّض

إشراف ومراجعة وتدقيق
مركز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام
للدراسات والبحوث التخصصية

بسم الله الرحمن الرحیم

المرأة في سيرة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام

كاتب:

بيان العريض

نشرت في الطباعة:

مركز الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام للدراسات و البحوث التخصصية

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

المرأة في سيرة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام 7

هوية الكتاب 7

اشارة 7

الآية الكريمة 11

الأهداء 13

مُقدمة مركز الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام للدراسات و البحوث التخصصية 15

الفصل الأول علي عليه السلام و الفواطم 25

أشارة 25

أنا ابن الفواطم 27

حدقات النسوة تبارك الميلاد 35

أول الفواطم... أم محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم و علي عليه السلام 44

تذكر السير 50

أم فاطمة عليها السلام... أم ثانية 68

فاطمة الزهراء عليها السلام... أغلى الفواطم 85

علي و أم البنين عليهما السلام... فاطمة أخرى 90

الفَصْلُ الثاني علي و الزهراء عليهما السلام 101

إشارة 101

قبل الزواج... بعد الزواج 103

قبل وفاة النبى صلي اللّه عليه و آله و سلم... بعد الوفاة 139

الفصل الثالث علي عليه السلام و عائشة 169

إشارة 169

علي عليه السلام و عائشة... و الإفك 171

علي عليه السلام و عائشة... و الخلافة 186

علي عليه السلام و عائشة... و الجمل 206

الفصَلُ الرَّابع علي عليه السلام و النساء 229

إشارة 229

علي عليه السلام و النساء في نهج البلاغة 231

علي عليه السلام في بلاغات النساء 252

الخاتمة 281

المراجع 283

المحتويات 291

تعريف مركز 293

المرأة في سيرة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام

هوية الكتاب

(14)

المرأة في سيرة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام

(قراءة أدبية)

تأليف

الدكتورة بيان العريض

إشراف و مراجعة و تخريج

مركز الإمام أميرالمومنين عليه السلام للدراسات و البحوث التخصيصة

ص: 1

اشارة

د / 218

ع 496 العريض، بيان

المرأة في سيرة الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام)/ بيان العريض- ط1- النجف الاشرف، مركز الامام اميرالمؤمنين (عليه السلام)، 2023.

250 ص؛24سم

ردمك: ISBN: 978-9922-700-29-8

1. البلاغة العربية. 2.المعاني، علم. 3.علي بن أبي طالب(عليه السلام)

إمام

أ- الباججي، هاشم محمد (مقدم). ب- العنوان

م.و.

2023 / 795

رقم الإيداع في دارالكتب و الوثائق ببغداد (795) لسنة 2023م

ص: 2

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمَنِ اَلرَّحِيمِ

ص: 3

هوية الكتاب

اسم الكتاب: المرأة في سيرة الإمام علي (عليه السلام)- قراءة أدبية

* تأليف: الدكتورة بيان العريض

إشراف و مراجعة و تنقيح: مركز الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام للدراسات و البحوث التخصصية

*التدقيق اللغوي: أ.م.د. خالد حميدي

*الإخراج الفني: نذير هندي الكوفي

* المطبعة: مطبعة الضياء - النجف الأشرف

* الناشر: مركز الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام للدراسات و البحوث التخصصية - النجف الأشرف 1444 هـ - 2023م.

ص: 4

الآية الكريمة

بِسْمِ اَللَّهِ اَلرَّحْمَنِ اَلرَّحِيمِ

«وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصّالِحاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنّةَ وَ لايُظْلَمُونَ نَقِيراً»

صَدَقَ اَللَّهُ اَلْعُلَى اَلْعَظِيمُ

(سورة النساء: 124)

ص: 5

الأهداء

الي...

سيد الأكوان و نفسه... علي

إلى...

سيدة النساء و بعلها... علي

إلى...

سيدي شباب أهل الجنة و أبيهما... علي

إلى...

والدي و والدتي و حبهما... علي

سيدي و مولاي لاتحرمني من النطق حتى الممات و بعد الممات: «إمامي علي بن أبي طالب عليه السلام»

الباحثة

ابنتكم الفقيرة للّه

ص: 7

مُقدمة مركز الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام للدراسات و البحوث التخصصية

بِسْمِ اَللَّهِ اَلرَّحْمَنِ اَلرَّحِيمِ

الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام للدراسات و البحوث التخصصية

الحمد للَّه رب العالمين حمدا دائما سرمداً أبداً ، و صلَى اللَّه على المبعوث رحمة للعالمين أبي القاسم محمد لَى اللَّه عَليه و آلِهِ وَ سّ لَم و على أهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام.

لقد أبرز الاسلام دور المرأة الفاعل في المجتمع و لاسيما أنها اللبنة الأساسية في المجتمع و الشريك الأساسي في تكوين الأسرة و تربية الأطفال و صيانة حقوقهم، فالمرأة في الحقيقة هي نصف الإنسانية اللطيف و الضعيف، و كما يقال انها نصف المجتمع باعتبار المجتمع مؤلفاً من الرجال و النساء.

و المرأة في التاريخ ما قبل الإسلام سيما في العصر الجاهلي عند العرب كانت مضطهدة بشكل عجيب بحيث أنهم كانوا يدفنونها حيّة عند

ولادتها، أو بعد أن تكبر و هي العادة الإجتماعية التي استنكرها اللّه سبحانه – و أنزل فيها آيات بينات كقوله سبحانه: «وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ» (التكوير: 8) ، و قوله تعالى: «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ» (النحل: 58)، و قوله تعالى: «وَ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ» (الزخرف: 17).

لكن الإسلام كرّم المرأة بأعلى مراتب التكريم فأنصفها، و أعطاها حقوقها و بوّأها مكانتها في البيت كأميرة و في المجتمع كإنسان له كل الصلاحية و الشخصية الاعتبارية، و لايوجد دستور و لاقانون من قوانين الأرض الوضعية أنصف المرأة بحق كما فعل الدّين الإسلامي الحنيف، و هذه حقيقة عاشها فكراً و ممارسة الامام أميرالمؤمنين الإمام علي بن أبي طالب سلام الله عليه فتى الإسلام و نفس النبي الأعظم صَّلي اللَّه عَلَيهِ وَ آلِهِ وَ سّلَم و البحث عن المرأة كإنسانة ،و كزوجة، و كبنت و أخت، و حفيدة و غيرها من المراتب له جماليته و واقعيته في سيرة و حياة و منهج الإمام علي عليه السلام، و هو سياحة و سباحة في بحر عميق من الرّؤى و الكلمات التي يمكن أن نستفيدها من أمير البلاغة و البيان و نهجه الخالد...

فالمرأة ريحانة و زهرة و وردة هذه الدنيا و ليست بقَهرَمانة، كما و صفها الامام أميرالمؤمنين عليه السلام، فهي منبع الحب و العطف و الحنان،

لزوجها و أبنائها وعائلتها، و الامام منذ ولادته و الى شـهادته كان للمرأة دور كبير في سيرته وحياته... فهي الام و الراعية و المربية و الاخت و الزوجـة و البنت... ، و كل واحـدة من هـذه الصـفات كان لها دور في حياة الامام و سـيرته، و هـذا البحث للـدكتورة ايمان العريض هو محاولة لاسـتعراض دور المرأة في حياة الامام سـلام اللّه عليها، و قد كتبته بصورة أدبية علمية جميلة، فهي امرأة باحثة لها شـعور و عواطف كباقي النساء فتمثلت هذه العواطف و المشاعر في هذا البحث من خلال قلمها المعطاء.

و بعـد مراجعـة المجلس العلمي الاسـتشاري في المركز لهذا البحث، و تقييمه من خلال بعض الملاحظات الفنية و العلمية التي أبداها، و تغيير اسم البحث، عمل المركز على مراجعة الكتاب و تنقيحه و تدقيقه لغويا و ضـبط المصادر، و من ثم إخراجه و طبعه، ليكون في متناول القارئ الكريم ، لنشر فكر و تراث الامام أميرالمؤمنين (عليه السلام) و نهجه الخالد، واللّه من وراء القصد.

النجف الاشرف* مركز الامام أميرالمؤمنين عليه السلام

جمادى الاخرة 1444 هـ - 2023م* للدراسات و البحوث التخصصية

ص: 11

و لو قيض لك أنك ولدتَ مثلي في مدينة علي عليه السلام، فستجد نفسك بين أمرين لاثالث لهما – و هذا ما كنت عليه أنا - تعدو بك الأيام و حب أميرالمؤمنين عليه السلام يتغلغل فيك و يهيمن على روحك، فلامفرّ من حكومة عشقه و تبتله، و إن كنت ستبتلي بحالين، في أحدهما: يقترب منك الإمام علي عليه السلام حتى يصير واحداً من أهلك أو صحبك أو نفسك؟! ثم في ذات اللحظة، و في حال مغايرة يرتحل عنك الإمام عليه السلام إلى الآفاق البعيدة و يسمو بظله، كالنجم الثاقب، فإذا هو بعيد كبعد الإله و السماء السابعة عن الأرض و أهلها، و ما حوته من مزايا دنيوية.

و ما بين القرب و البعد ينغرس حبّ علي عليه السلام في الذات المؤمنة... من دون وعي أو إشعار، كالغرس الطيب في الطين اللازب، فتحسبه هينا هو حبّ أبي الحسن عليه السلام لمن كتب له الباري التبعة و الانتهاج لسيد هذا الغرس، و هو أصعب من الأمر المستصعب لمن عاند و كابر و أبى الاقتداء.

فمنذ خمسين عاماً و أنا استكشف عوالم حبّ الإمام الرحيبة، و شغفي اللامتناهي به، ارتحلت مع الكتب لتتبع السيرة من المهد إلى اللحد، مع سبق حب و ولاء و انتماء، فقد كان علي ملجئي في اشتداد الخطب، و الانزواء عن الخلق في لحظات الكد و النصب.

أمّا نهج بلاغة الإمام عليه السلام، فكان مرجعي و مسكني المستوحد، الذي أدلف إليه في كلّ رمضان بعد أن أزيح عن دربي عن دربي كل القراءات و الانشغالات، عاماً من بعد عام.

في البدء، سوف يتراءى علي بن أبي طالب عليه السلام لك من بين السطور، و فيض الكلمات، عصياً على الفهم، عصياً على الاستيعاب...، كأنه فكرة مطلقة مجردة لاتمت لعو المنا بصلة، و ما أن تعاود الكرّة تلو الكرّة، حتى تعثر على مخلوق إلهي السمات، ناصع الخلق و الخُلق، كأنه قد من ضياء و سمو، يُنير لك بنهجه آفاق يومك و معادك، فتنتبه مستغرباً أنك لم تعثر عليه فحسب، بل عثرت على ذاتك أو بعض ذاتك التي فطرك الخالق عليها !!

و كم راودتني نفسي مراراً أن اغترف من هذا اليم، فأحجم خشية الغرق، فأخذت اقترب من ساحل أبي تراب رويداً رويداً، فأكتب شذرات عن صنو الإمام، زوجه و بضعة النبي صَّلي اللَّه عَلَيهِ وَ آلِهِ وَ سَلَم و أثيرته مولاتي فاطمة الزهراء عليها السلام في سلسلة مقالات (قبس من نور الزهراء عليها السلام)، أو أدوّن بعض صفحات لكتاب عن وليدة الإمامة (سيدة الأحزان) مولاتي زينب الكبرى عليها و على آبائها الكرام السلام... و كم عاودني الحنين لطرق باب داحي الباب، لجملة أسباب و أسباب.

ص: 13

أولهـا: إنّ العمر قـد انتصف و اقترب من الرحيـل، و لاأملك ما انقرّب به إلى اللّه و رسوله صَّلي اللّه عَلَيهِ وَ آلِهِ وَ سّ لَم إلا بضاعـة مزجاة قد عزمت على تهيئتها منذ سنين، و آن للعد التنازلي أن يبدأ ليعد ما تبقى من السنين.

و ثانيها: لطالما سعيت في قراءاتي عن الإمام علي عليه السلام أن أقترب من جانب إنساني لم يتطرق إليه الدارسون كثيراً، و هو أنسنة الإمام، و اسـتكشاف علاقته مع أقرب النساء إليه، كإنسان يتعامل مع مخلوقين من أشـباهه، و على وجه التحديـد علاقة الإمام بأهله: أسـرته الأولى (والـدته و والـده و إخوانه و أخواته...)، و كـذلك مع أهـل بيته (زوجاته و أبنائه و بناته...)؛ لأنّ إظهار هـذه المنطقـة من دائرة حركـة الإمام ستكون خارطة طريق حياتية لكل من يجاهد للاقتداء به و بالأئمة عليه السلام.

و ثالثهـا: رفع الضـرر و الإبهـام عن نفسـي و الآخرين في أمر لطالما و اجهتني به الألسن، و هو قول الإمام عن النساء بأنهن ناقصات عقل و مال و دين، و ما إلى ذلك من أقوال للإمام بحق المرأة أو بما ينسب إليه مما يشـينها و ينعتها بأسوأ الصفات، فكان لابد لي من سبر غور هذه الأقوال، و التحقق منها، و تقصـي مسبباتها، عن طريق تتبع نهج الإمام الإنساني، و تعامله الرباني مع الأرامل و اليتامى، و صاحبات الحاجة في مواقف حفلت بها الكتب و المصادر.

رابعها: لقد اتخذت لنفسي الآثمة سبيلاً - أحسبه خيراً- في تقصي أمر المرأة المسلمة قديماً و حديثاً، فكان لزاماً عليّ أن أكتب عن (الإمام و النساء) كباكورة عمل أو كوة أفتحها على عوالم أميرالمؤمنين عليه السلام، و هي العوالم الكثر، و الثرة في عطائها.

و كادت هذه الفرصة و اختمارها في ذهني تذهب أدراج الرياح لولا- مركز الامام أميرالمؤمنين عليه السلام للدراسات و البحوث التخصصية، فما أن أعتقت نفسي من ربقة الكتابة لعشر سنوات خلت (لنيل شهادتي الماجستير و الدكتوراه)، حتى ألزمت نفسي بالكتابة عن بطل الاسلام الخالد، و إن عز الوقت و ضاق... و هكذا كان.

لقد بي هاتف التعجيل: الآن... يا بيان!؟ عليك أن تتقربي إلى بحر الإمامة -و لو بأسطر معدودات- تكشف الغطاء عن فيض حنان ورقة نفس (علي بن أبي طالب عليه السلام) مع النساء المؤمنات اللواتي ما فتئن يلهجن بذكره الحسن، حتى بعد مماته، و في مجلس قاتله و غريمه و حاسده (معاوية)، و من ينسى للإمام علي عليه السلام مواقفه الرسالية المشهودة في رعاية الأرامل و الأيتام، و في تجهيز الطعام و إطعامهم و ملاطفتهم.

و لو سهوت فلن أسهو عن موقف الإمام عليه السلام من ابنته زينب الكبرى عليها السلام، عند دفن والدتها الزهراء عليها السلام في الليل الحالك، ملتفتاً إلى ولده الحسن أن يعود

بأخته إلى الدار ليجنبها تلك اللحظات الأليمة، حنو و أي حنو؟!، قد لايلتفت إليه أبرّ الآباء في ظرف مماثل... ولكنه أبوالحسن عليه السلام و ليس كأي أب.

و أخيراً واجب الشكر و الامتنان أمانة تؤدّى لكل من شجع و أعان، و أرفد و أنصح و سطر و دوّن، فالمصادر جمّة، و الكل يستبق الكل في طلب الحظوة و التبرك و نيل درجة التقرب من سنى و هج الإمام علي عليه السلام...، وإن كانت كثرة المصادر قد أعيتني، و شتت بعض جهدي في ابتغاء المطلوب.

ففي بعض المصادر يتجلى الإمام أسطورة إنسانية خالدة، ترتقي إلى مصاف الإعجاز و الفرادة حد تغريبها عن طابعها البشري، و في بعضها الآخر ينزوي هذا العملاق ليبدو شخصية تاريخية لها ما للآخرين في سرد المؤلف لخصالها، هذا إن لم يشرك البعض في بعضها، أو يجرد الإمام علياً عليه السلام منها، ليسبغها على من يفضله بحسب هواه الشخصي !! لايعبأ بالروح العظيمة، و لابالمثل والقيم الثوابت، و لابغرر المواقف و الأفعال و الأقوال لأميرالمؤمنين عليه السلام، فيصبح مروره التوثيقي للسيرة، مروراً جامداً سطحياً، لايأخذ من بطل العقيدة و الفداء (الإمام – المثال) إلاّ قشوراً لاتصل إلى أطراف عباءة ورداءِ ارتداه علي، بل إن بعض الكتابات تسقم روحك و تغلي طبعك السموح، و لاترتقي في سردها إلى بعض خصف نعل قنبر.

ص: 16

و للختـام أضـيف: حرّرتُ هـذا البحث المتواضع بيراعي العـاجز رغبـةً في نيـل حسن المعاد لاالمعاش، وادّخرته في كل حرف من حروفه للـدين لاللدنيا، فأسأل اللّه تعالى جل في علاه، أن يجعله سـبب نجاتي، و حط سـيئاتي، و رفع درجاتي، و نيلي شـفاعة محمد وآل محمد صَّلي اللّه عَلَيهِ وَ آلِهِ وَ سَلَم، إنه سميع مجيب.

و عذراً لكل تقصير، فهو المستعان و منه التوفيق.

المؤلف

بغداد 15/ شعبان/ 1433 هـ

5/ تموز/ 2012م

ص: 17

الفصل الأول علي عليه السلام و الفواطم

أشارة

ص: 19

أنا ابن الفواطم

منذ بدء الخليقة أعلن اللّه سبحانه و تعالى أمام ملائكته: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً»(1)، و كان ذلك الخليفة هو الإنسان الذي تحمّل أعباء تلك الأمانة التي عرضت على السموات و الأرض و الجبال «فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَ أَشْفَقْنَ مِنْهَا وَ حَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا»(2). و كلمة إنسان تعني المرأة و الرجل، من دون التفريق بينهما، فهي كما الرجل غاية المشروع الإلهي على الأرض(3).

و ظلت المرأة تواكب حركة الرسالات الإلهية، كما تواكب حركة التاريخ البشري، فيعرض علينا القرآن الكريم قصص أم موسى و أخته، و مريم بنت عمران، و ابنتي شعيب، و زوجتي إبراهيم، و بنات لوط و امرأته، و زوجة فرعون، و غيرهن من النساء. فكان من هذه القصص، سرد و استذكار و أمثلة لنساء كافرات و مؤمنات لأنبياء و رسل و أولياء صالحين.

1- البقرة: 30.

2- الأحزاب: 72.

3- حسن السعيد، المرأة المسلمة هموم و تحديات، دار الهادي للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، بيروت - لبنان ، 1428ه- 2007م، ص81.

و هـذا ما كان من أمر ذكر نبينا الكريم و أهل بيته في آيات القرآن الكريم، فقـد جسـدت هـذه الآية الكريمة (وَ تَقَلُّبَكَ فِي السّاجِدِينَ) أعمق الـدلالات على نقاوة و طهارة الوعاء الـذي احتوى النسل الواحـد لكلٍّ من نبينا محمد صَّلَي اللَّهِ عَلَيهِ وَ آلِهِ و سّلَم و أخيه الإمام علي عليه السلام.

فقد جاء في الحديث الشـريف: (أنا سيد ولد آدم)(1) و (إن اللَّه اصـطفى من ولد إبراهيم إسـماعيل و اصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة و اصطفى من بني كنانة قريشاً و اصطفى من قريش بني هاشم و اصطفاني من بني هاشم).

و عن الإمام جعفر بن محمد بن علي عليه السـلام عن أبيه محمد بن علي بن الحسـين بن علي بن أبي طالب عليه السلام أن النبي صَّلَي اللَّهِ عَلَيهِ وَ آلِهِ و سّلَم، قال: ((قسم اللَّه الأرض نصـفين فجعلني في خيرهما، ثم قسم النصف على ثلاثـة فكنت في ثلث منها، ثم اختار العرب من النـاس. ثم اختـار قريشاً من العرب، ثم اختار بني هاشم من قريش، ثم اختار بني عبـدالمطلب من بني هاشم، ثم اختارني من بني عبد المطلب))(2).

1- ابن سعد، الطبقات الكبرى - المجلد الأول، ج1، (السيرة النبوية الشريفة)، تقديم إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ص20.

2- المصدر لنفسه.

و الأحاديث متواترة عن افتخار النبي الأكرم صَلَّي اللّهِ عَلَيهِ وَ آلِهِ و سّلَم بانتسابه إلى عبدالمطلب، إذ سُمع النبي صَلَّي اللّهِ عَلَيهِ وَ آلِهِ و سَلَم يوم حنين يقول:

أنا النبيّ لاكَذِب *** أنا بنُ عبد المطّلب

و جاء عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: و تقلبك في الساجدين. قال: من نبي إلى نبي، و من نبي إلى نبي حتى أخرجك نبياً. و هذا ما يؤكد قول رسول اللّه صَلَّي اللَّهِ عَلَيهِ وَ آلِهِ و سَلَم: ((بُعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى بُعثت من القرن الذي كنت فيه))(1).

و مع شدّة افتخار النبي صَلَّي اللَّهِ عَلَيهِ وَ آلِهِ و سّلَم بآبائه و أجداده و نسبه إلا أنه لم يغفل الإشارة إلى أمهاته، حتى أننا نجد إشارات ساطعة الوضوح، و إن كانت عابرة على طهارة الأمهات المشتركات لكلّ من النبي الكريم صَلَّي اللَّهِ عَلَيهِ وَ آلِهِ و سّلَم و أميرالمؤمنين عليه السلام، في أكثر من قول و في أكثر من خطبة، بل نُقل عن النبي صَلَّي اللَّهِ عَلَيهِ وَ آلِهِ و سّلَم قوله أنا ابن الفواطم، أنا ابن العواتك، و كذلك الإمام علي عليه السلام و حفيده السجاد في إحدى خطبه الشهيرة في الكوفة بعد واقعة الطف.

و لايتبادر إلى الذهن هنا، أن هذا الانتساب و الافتخار هو انتساب عنصري أو تعصبي جاهلي و يكفي للدلالة على إنسانية النبي و تواضعه

1- ابن سعد، مصدر سبق ذكره، ص25.

قوله للرجل الذي أخذته الرعدة بين يديه: (هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد)(1).

إن حفظ الباري عز وجل لطهارة نسب النبي صَلَّي اللَّهِ عَلَيهِ وَ آلِهِ و سَلَم و وصيه في تقلبه في الساجدين، نسل من بعد نسل، يعني بالضرورة العنايـة به و حفظه الجهتين، الأـب و الأـم، فمن غير المنطقي أن تتولاـه العنايـة من جهـة الآبـاء و الأجـداد، و تهمله من جهـة الأمهات و الجـدات... و هـا هي كتب السـير تزخر بالشواهـد على نقاء سـريرة الأمهات و طهارة نبعهن، و حفظ الخالق لهن من كل عيب أو شائنـة و العياذ باللَّه.

أسـهبت المصادر و المراجع و كتب السـير في ذكر الفواطم و العواتك اللاتي و لدن رسول اللَّه صَلَّي اللَّهِ عَلَيهِ وَ آلِهِ و سَلَم مع التأكيد على أنّ العاتكة في كلام العرب تعني المرأة الطاهرة، أما الفواطم اللائي ولدن رسول اللَّه صَلَّي اللَّهِ عَلَيهِ وَ آلِهِ و سَلَم فخمس: قرشية و قيسيتان و يمانيتان(2).

فالقرشية هي أم أبيه عبدالله بن عبدالمطلب (فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم المخزومية).

1- ابن سعد، مصدر سبق ذكره، ص23.

2- ابن الأثير، الكامل في التاريخ - ج1، تاريخ ما قبل الهجرة النبوية الشريفة، دار التوفيقية للطباعة، القاهرة - مصر، ص529؛ ابن سعد، م. س، ص61.

و أمّا القيسيتان فأمّ عمر بن عائد (فاطمة بنت عبداللّه بن رزاح بن ربيعة بن حجوش بن معاوية بن بكر بن هوازن) و أمها (فاطمة بنت الحارث بن بهثة بن سليم بن منصور)(1).

و أمّا الأمهات الفواطم من اليمانيتين فأم قصي بن كلاب (فاطمة بنت سعد بن سيل بن أزد شنواة)، و أم حيي بنت حليل بن حبثية بن كعب بن سلول، و هي أم ولد قصي (فاطمة بنت نصر بن عوف بن عمرو بن ربيعة بن حارثة الخزاعية).

و كذلك ولدت الفواطم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فأمه (فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن هاشم بن عبد مناف) وجدته لأمه (فاطمة بنت هرم بن رواحة بن حجر بن عبد معيص بن عامر بن لوي)(2).

1- ابن الأثير، مصدر سبق ذكره، ج1، ص529.

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة - ج1، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، مكتبة طريق المعرفة - دارالكتاب العربي، النجف-بغداد، ط1، 1426 هـ- 2005م ، ص40؛ علي محمد علي دخيل، فاطمة بنت أسد رضي اللّه عنها، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، سلسلة أعلام النساء - 2؛ بيروت - لبنان، 1399هـ - 1979م، ص9؛ محمد علي الأنصاري، أهل البيت عليهم السلام، إمامتهم، حياتهم، قم: مجمع الفكر الإسلامي ، ط1، ذي الحجة الحرام 1424هـ. ق، المطبعة: شريعت - قم، ص207.

وكذلك جدته لأبيه و هي (فاطمة بنت عمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم) و هي أم عبداللّه والد سيدنا رسول اللّه صَلَّي اللّهِ عَلَيهِ وَ آلِهِ و سَلَم و أم الزبير بن عبدالمطلب، و سائر ولد عبدالمطلب بعد لأمهات شتى(1).

إنّ افتخار النبي صَلَّي اللَّهِ عَلَيهِ وَ آلِهِ و سّلَم و الوصي بأمهاتهم كان في عالم و مجتمع يعيش أحلك أشكال التردّي في معاملته للمرأة، و قد أنبأنا القرآن الكريم عن هذه الحال، و كيف كانت وجوه الآباء تسود حينما يبشرونه بولادة الأنثى، و قد أشار الباري سبحانه و تعالى بقوله إلى هذا (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَ هُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنْ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)(2). و ذهب بعضهم بعيداً بغيظه و جلافته و قسوة القلب حدّ دسها في التراب.

هذه العادة الجاهلية التي حاربها الإسلام و ذكرها كذلك القرآن الكريم، ألا و هي و أد البنات، و لنتمعن قليلاً في هذا الحديث الذي أسر به قيس بن عاصم النبي المختار واصفاً حاله بالقول(3): «يا رسول اللَّه صَلَّي اللَّهِ عَلَيهِ وَ آلِهِ و سّلَم أنا أمير تميم و في عاداتنا دفن البنات من المكرمات، و لقد دفنت عدة بنات.

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ص40.

2- سورة النمل، آية 58 «و عن جمع البيان للطبرسي «ظل وجهه مسوداً» أي صار لون وجهه متغيراً إلى السواد لما يظهر فيه من أثر الحزن و الكراهية).

3- غادة الخرسا، المرأة عبر التاريخ، بيروت-لبنان، ص33.

و في سنة كنت على سفر و كانت امرأتي حاملاً فوضعت أنثى، و خشيت عليها مني، فأهدتها إلى أخوالها فلما عدت من السفر سألتها عن الجنين قالت ولد ميتا... قبلت هذا الكلام و الشك ملء نفسي... و بعد سنين عدة كبرت البنت و جاءت ذات يوم لزيارة أمها فرأيتها رائعة الجمال و تمنيت أن تكون لي ابنه مثلها فقالت أمها: إنها ابنتك يا قيس.

فغضبت غضبا شديداً، و قمت إلى البنت فحفرت لها حفرة كانت تساعدني فيها، و لما كنت أهيل عليها التراب و هي حية كانت البنت تبكي و تسألني: ماذا تفعل يا أبي بفلذة كبدك... و ظلت تبكي و أنا أسمع أنينها تحت التراب و لم أدعها حتى صمتت إلى الأبد. فبكى النبي صَلَّي اللَّهِ عَلَيهِ وَ آلِهِ و سّ لَم بكاء شديداً و معه صحابته ثم تلا- رسول اللَّه صَلَّي اللَّهِ عَلَيهِ وَ آلِهِ و سّ لَم قول اللَّه الرؤوف الرحيم: «وَ إِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ»(1).

إنَّ رقة قلب النبي الكريم صَلَّي اللَّهِ عَلَيهِ وَ آلِهِ و سّ لَم و بكاءه الشديد لم يكن تعاطفاً آنياً منه مع الحكاية، بل قناعة فطرية بضرورة حفظ النساء و إكرامهن و هو القائل: «الجنة تحت أقدام الأمهات» و «النساء شقائق الرجال» و «خيركم خيركم لأهله و أنا خيركم لأهلي، ما أكرم النساء إلا كريم و ما أهانهن إلا لئيم». و هو الذي قال فيه عمه أبي طالب:

1- سورة التكوير: آية 8.

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه *** ثمال اليتامى، عصمة للأرامل(1)

بهذه النفس الرحومة المشـفقة على كل ما هو إنساني و طاهر و شفيف، أطل وليد الكعبة في بطن الكعبة من رحم إحدى الفواطم الجواهر- الطواهر الموحدات باللَّه و المؤمنات برسـله و أنبيائه، إنها إحدى الفواطم المباركات اللواتي افتخر بهن النبي صَلَّي اللَّهِ عَلَيهِ وَ آلِهِ و الوصـي معاً. إنها أم علي فاطمة بنت أسد.

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة/3، م. س، ص316.

حدقات النسوة تبارك الميلاد

كلُّ مخلوق يفخر بآبائه و أجداده ، إلا علي بن أبي طالب عليه السلام يفخر بذاته، كيف لا؟ و هو الحائز على عطية السماء المفردة، الحاجزة له من دون غيره من المخلوقين، إنه وليد بيت اللّه، وليد كعبته المُشرّفة.

و لو لم يكن لمولود آدمي من المكارم و الفضائل التي صبّها الخالق عزّوجل على أبي الحسن عليه السلام صباً، إلا معجزة الميلاد، لكفته فخراً و عزاً في الأولين و الآخرين... فالعقل منه في حَيْرة، لمَ هذا الموضع؟

و لمَ هذا الاختيار؟

و لمَ هذا الوليد بالذات؟

أي هبة جلية البرهان على السبق في كل النعم السابغات أن يكون مسقط رأس علي هو الكعبة لاغيرها من بقاع أرض اللّه الواسعة.

و هنا، لانمحق ما للمكان من شرف و علو، و ما للوليد من رفعة و سمو، إلا أن القول لايكتمل من دون الالتفات إلى طهارة الرحم الذي حمل الجنين المتفرّد، و وضع الوليد معجزة... إنّه رحم أول هاشمية تلد هاشميا لهاشمي(1)، فكانت الولادة البشرية الوحيدة و المتفرّدة تحتضنها أركان الكعبة المشرفة، تحقيقاً لإرادة إلهية محققة.

1- الأنصاري، أهل البيت عليهم السلام، م. س، ص208؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة؛ ج1، م. س، ص39.

لقـد جاء أمر السـماء جازماً، أن تنطلق فاطمة بنت أسد عليها السـلام بحملها المكتمل إلى الكعبة لا إلى غرفتها في دار أبي طالب، لتضـع وليدها الرابع و الأخير من الذكور في بيت اللّه(1).

نعم إنه أمرالله المحكم، وإن لـم يكن كذلك ، فما الذي يدفع امرأة مثقلة بحملها لتسـعة أشهر ، و في وضع الطلق، أن تترك بيتها و القابلات و الجارات من معاونات على هكذا حال، لتلتجئ إلى ركن ومقام كريم، لايمكن الاقتراب منه إلا تطهراً، و فاطمة بنت أسد عليها السلام(2) عالمة بقدسية و طهارة المكان الذي ركنت إليه بحملها الثمين.

و ما يجـذب الـذهن للتفكر في هـذا الموقف الفريـد، أن أم الإمام علي عليه السـلام سـبق لها أن وضـعت ثلاثـة من أخوته في ثلاثين عاماً خلت(3)، ولدتهم كلهم في دار

1- في المسـتدرك على الصحيحين3: 483 جاء فيه: «تواترت الأخبار أن فاطمـة بنت أسـد عليها السـلام ولدت أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كرم اللّه وجهه في جوف الكعبة» و ينظر مروج الذهب2: 349 و غيرها من المصادر التي أسهبت في وصف الولادة قولاً و شعراً.

2- فاطمـة بنت أسـد عليها السـلام، من سابقات المؤمنات إلى الإيمان و الموحدة بالله والمتبعة لديانة أبيها إبراهيم الخليل (عليه السـلام) قبل بزوغ نور الرسالة المحمدية على الوجود. (أمهات المعصومين، السيد محمد الشيرازي).

3- 3 تذكر المصادر أن الإمام علي عليه السـلام هو أصـغر بني فاطمة بنت أسد عليها السـلام من الذكور و جعفر أسن منه بعشـر سنين، و عقيل أسن منه بعشـر سـنين، و طالب أسن من عقيل بعشـر سـنين. و فاطمة عليها السلام أمهم جميعاً، للمزيد ينظر: بن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، م. س، ص40.

أبيهم أبي طالب، و لم تذكر المصادر و السير أنها زحفت إلى الكعبة بحملها إبان الطلق، إلا عند وضعها لصغيرها المقدّس علي لخصوصية شاءها الخالق العظيم، و شهادة ربانية بعلو شأن الوليد القادم للوجود.

فها هو القمر قد اكتمل أو كاد، ففي يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب المبارك بعد عام الفيل بثلاثين سنة، أي قبل البعثة النبوية بعشر سنين(1)، و لما مضى من الليل ثلثه، أتى أمر اللّه ، فسمعت فاطمة بنت أسد قائلاً يقول: (يا فاطمة عليها السلام عليك بالبيت الحرام)، فاستجابت وانطلقت إلى الكعبة بروايات عديدة، منها أنها كانت لوحدها، و أخرى أنّ أبا طالب رافقها، و هي الرواية المرجّحة هنا، فما كان له أن يترك زوجه في حال المخاض وحدها في الليل البهيم!

و كأنها قصدت بيته للزيارة والتبرك بالفرج مما ألم بها، لا للولادة و الوضع، وقفت بإزاء جدار الكعبة تستفتح أبواب الرب المغلقة من دون الخلق أجمعين. أي أيتها الأبواب انفتحي فأنا العبدة اللّه، الموحدة بك، إليك التجأت يا اللّه... فكان الذي انفتح الجدار الصلد لا الباب المغلق، إمعاناً في تنبيه العقول الحاضرة و اللاحقة، إن الحدث جلل و ليس بالهين،

1- تذكر بعض المصادر أن الولادة كانت قبل البعثة النبوية باثنتي عشرة سنة للمزيد ينظر: موجز سيرة الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم و أهل البيت عليه السلام، تأليف و نشر: لجنة التأليف -مؤسسة البلاغ، ط ا، 1414ه_ - 1993م، المطبعة: صدر قم، طهران، الجمهورية الإسلامية في إيران، ص59.

و إلا كان بمقـدور العزيز الجليل أن يفتـح لفاطمـة عليها السـلام باب الكعبـة ثم يغلقه دونها، ولكنه أراد في شق الجدار وغلقه ثانية دونها، وضع الشوكة في أحداق المكابرين و المغالطين والناكرين.

و هنا يدلو بشـهادته شاهد حضـر الموقف فنقله للأجيال، قال يزيد بن قعنب(1): كنت جالساً و العباس بن عبـدالمطلب رضـي اللَّه عنه، و فريق من بني عبـد العزى، بإزاء بيت اللَّه الحرام، إذ اقبلت فاطمـة بنت أسـد عليها السـلام، أم أمير المؤمنين عليه السـلام، و كانت حاملاً به لتسـعة أشـهر، و قـد أخذها الطلق، فقالت: "يا رب إني مؤمنة بك، و بما جاء من عندك من رسل و كتب، و إني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل عليه السلام، إنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي هذا البيت، و (الجنين) الذي في بطني إلا ما يسرت عليّ ولادتي".

قال يزيـد بن قعنب: فرأيت البيت قد انشق عن ظهره و دخلت فاطمة عليها السـلام فيه، و غابت عن أبصارنا، و عاد إلى حاله، فرُمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أن ذلك من أمر اللَّه تعالى(2).

1- علي محمد علي دخيل، فاطمة بنت أسد رضي اللَّه عنها، ص17.

2- أجمعت المصادر من الطرفين على صدق الرواية، و حديث فاطمة بنت أسد عليها السـلام أمام جدار الكعبة و ولادتها للإمام علي عليه السـلام في الكعبة أمر مسـتفيض، صـرح به المئات من المؤرخين و أهل السـير و قد جمع العلامة المحقق الشيخ محمد علي الأوردبادي طاب ثراه في كتابه (علي وليد الكعبة) أكثر من مائة مصدر مصرحة بذلك.

و في استذكار آخر، قال أبو طالب عليه السلام: أشفقت عليها في ذلك و أردنا أن نفتح الباب لنصل إليها بعض نساءنا فلم نستطع أن نفتح الباب فعلمنا أن هذا الأمر من اللّه سبحانه و تعالى(1).

إن ما وقع من الحدث خارج جدران الكعبة رأته الأعين، و أما ما جرى داخل جدران الكعبة، فأمر لم يشهده إلا اللّه جل في علاه و فاطمة بنت أسد عليها السلام و وليدها علي عليه السلام و الملائكة و النسوة المبعوثات من عوالم الأولين لشهود ولادة سيد الوصيين.

لقد فتح علي بن أبي طالب عليه السلام عينيه على الوجوه، فرأى وجوه نسوة مباركات تحدّق فيه بحنو و تتلقف بلهفة هذا المولود المتفرد الولادة، في أشرف بقعة أرض بسطها الباري لخلقه.

أما النسوة فكنّ خمسة برواية الأم(2): «... وإذا خمسة نساء(نسوة) كأنهن الأقمار قد دخلن عليَّ عليه السلام، و عليهنّ ثياب من الحرير و الاستبرق، و يفوح طيبهن كالمسك فقلن لي: السلام عليكِ يا بنت أسد ثم جلسن بين يدي و مع إحداهن جونة في فضة... و هنّ حواء، و مريم، و هي صاحبة الجونة

1- موجز سيرة الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم و أهل البيت عليهم السلام، م. س، ص59.

2- رجب البرسي الحلي، مشارق أنوار اليقين في حقائق و أسرار أميرالمؤمنين عليه السلام، تحقيق: جمال المازندراني، دار القارئ للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، 1427 هـ - 2006م.

فطيبته بها من طيب الجنة و آسيا بنت مزاحم و سارة زوجة إبراهيم عليها السلام الملا، و الخامسة أم موسى عليه السلام، و كشفن عن سرته فإذا هي مقطوعة. قالت فاطمة عليها السلام: «ثم خرجت النسوة عني».

و ما كانت فاطمة بنت أسد عليها السلام لتعجب مما رأت من عجائب المشاهد و الوقائع، فلقد سبق لها و أن شهدت ما يماثل هذه المناظر، فقد روي في روضة الواعظين عن النيسابوري: أن فاطمة بنت أسد عليها السلام حضرت ولادة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم، فلما كان وقت الصبح قالت لأبي طالب: رأيت الليلة عجباً، يعني حضور الملائكة و غيرها فقال: انتظري سبتاً تأتين بمثله فولدت أميرالمؤمنين عليه السلام بعد ثلاثين سنة.

في واقعة الولادة المباركة هذه تفاخرت الأم و ابنها، أما الأم، فقد خرجت بعد ثلاثة أيام في الكعبة، خرجت في اليوم الرابع، و على يدها وليدها قائلة لمن يستفهمها: أني فُضّلتُ على من تقدمني من النساء، لأن آسية بنت مزاحم قد عبدت اللَّه سراً في موضع لايحب اللَّه أن يعبد فيه إلا اضطراراً ، و أن مريم بنت عمران عليها السلام هزت النخلة اليابسة حتى أكلت منها

رطباً جنياً، و إني دخلت بيت اللَّه الحرام فأكلت من ثمار الجنة و أرزاقها، فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف و قال: يا فاطمة عليها السلام سميه علياً عليه السلام، فهو علي عليه السلام، و اللَّه العلي الأعلى يقول: شققت اسمه من اسمي، و أدبته بأدبي،

و أوقفته على غامض علمي و هو الذي يكسر الأصنام و يمجدني، فطوبى لمن أحبه و أطاعه، و ويل لمن أبغضه و عصاه(1).

إنّ انفطار جدار الكعبة لفاطمة بنت أسد عليها السلام هو دليل قاطع على طهر الوالدة و الوالد و الوليد معاً، و على أن فاطمة بنت أسد عليها السلام و بعلها أباطالب كانا على ملة إبراهيم الموحدة فولد الإمام علي عليه السلام هاشمياً من أبوين هاشميين موحدين اللّه تعالى قبل ظهور الإسلام و بزوغ نوره، و لولا توحيدهما لما انشق جدار الكعبة، لتضع زوجة أبي طالب وليدها المبارك داخل كعبة محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم.

قال سيد الشعراء في القرن الثاني الهجري إسماعيل الحميري:

وَلَدَتْهُ في حَرم الإله و أمنه *** و البيتِ حيثُ فِناؤه و المسجد

بيضاءُ طاهرةُ الثيابِ كريمةٌ *** طابتْ و طابَ وليدُها و المولِدُ(2)

إنّ من حق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أن يفتخر فخراً إضافياً بواقعة الولادة هذه، فلم تقع الأعين على الوليد عارياً من القوابل أو المقربات من نسوة القوم ... إنها فقط أمه من شهدت ولادته و بضعة نسوة صديقات من سالف الزمان و غابره، لم يعاصرنه و لم يعاصرهن.

1- علي محمد علي دخيل، فاطمة بنت أسد عليها السلام، م. س، ص19.

2- أبوحيدر عبد الزهرة الخزاعي، الإمامة عقيدة قرآنية، العارف للمطبوعات، ط1، 1431هـ -2010 م، ص152.

إنّ ولادة النور يوم مولد النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم كانت سبقاً و إيذاناً بولادة شطره النور الآخر يوم مولد الوصي عليه السلام، فعن أبي عبداللّه عليه السلام قال: إن اللّه كان إذ لا كان فخلق الكان و المكان، و خلق نور الأنوار الذي نورت منه الأنوار، و أجرى فيه من نوره الذي نوّرت منه الأنوار، و هو النور الذي خلق منه محمداً صلي اللّه عليه و آله و سلم و علياً عليه السلام، فلم يزالا نورين أولين إذ لا شيء كوّن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبداللّه و أبي طالب عليه السلام(1).

وكما كان طهر الأب و الأجداد، مثله كان طهر الأم و الأمهات ففي قول للإمام علي عليه السلام أنّ النبي محمداً صلي اللّه عليه و آله و سلم قال: إنا (أول) أهل بيت عليهم السلام قد أذهب اللّه عنا الفواحش ما ظهر منها و ما بطن.

و قال النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم: إِنّ في قوله «وَاجْنُبْنِي وَبَنِيّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ»(2) فانتهت الدعوة إلي و إلى علي عليه السلام.

و في خبر (أنا دعوة إبراهيم)، و إنّما عنى بذلك الطاهرين لقوله: نقلت من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات لم يمسني سفاح الجاهلية.

1- رجب البرسي، مشارق أنوار اليقين...، م. س، ص60 ، نقلاً عن الكافي 1/ 441 باب مولد النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم، حديث9.
2- سورة إبراهيم: 35.

وقد شارك الوصـي علي عليه السـلام أخاه النبي محمداً صـلي اللّه عليه و آله و سلم هذا الأمر فلم تحمله سوى الأرحام المطهرات، لينتقل من صـلب و رحم مطهر إلى آخر، حتى اسـتودعته العناية الإلهية رحم فاطمة بنت أسد عليها السـلام التي كانت أماً للنبي صلي اللَّه عليه و آله و سـلم قبل الو صـي، و ما فتئ يناديها محمد رسول اللَّه صـلي اللَّه عليه و آله و سـلم بـ (يا أماه) حتى الوفاة فمن هي أول الفواطم في حياة علي عليه السلام؟

ص: 37

أول الفواطم... أم محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم و علي عليه السلام

كـانت أحضـان أول الفواطم هي مهـد علي بن أبي طالب عليه السـلام و مأمنه، ففي حضن فاطمـة بنت أسـد عليها السـلام الطاهر الحنون تفتحت وردة حياة الإمام، و ترعرعت في ظل أسرة مؤمنة موحدة مستقرة تظللها المحبَّة و التفاهم و الانسجام.

ففاطمـة بنت أسد عليها السـلام زوج أبي طالب، و أبوطالب زوج فاطمة بنت أسد عليها السـلام، و لا إلى غيرها ركن، فجاءته بالبنين في كل عقد من الزمان بصبي، كالدرر الكريمة يعز أن يستكثرها الزمان أو يجود بمثلها.

و قبـل ميلاد علي، أصـغر الأبناء و أشـد الجواهر نـدرة و لمعاناً، كانت أول الفواطم قـد مارست دور الأم لأكثر من ثلاثين عاماً، فكانت أماً لصبيانها و بناتها و كذلك أتحفت الوجود بتربيتها و عنايتها لخير الخلق و سـيد البشـر (محمد بن عبداللّه صـلي اللّه عليه و آله و سلم) عليه صلوات اللّه و على آله.

إنّ وقفـة متأنيـة عنـد هـذه العلاقـة الحميميـة ما بين النبي محمد صـلي اللّه عليه و آله و سـلم و زوجة عمه هي جديرة بالبحث و التفكير و التقصي. فمن الطبيعي أن يولي أبوطالب، رعايته و اهتمامه لابن أخيه الصغير يتيم الأبوين، و بعد وصية لازمة من الجد عبدالمطلب(1)، أمّا النادر فهو رعاية فاطمة بنت أسد عليها السلام

1- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص118.

لابن (حماها) و حبها له و تفانيها في خدمته سنين قاربت العقدين من الزمان، و مبادلة الصبي اليتيم لها هذا الود في مواقف و أحاديث توثق عمق العلاقة العائلية الكريمة التي و فرتها هذه المرأة -النموذج، لصبيانها الخمسة من دون تفريق بينهم أو حسد أو ضغينة، بل أنها أعجزت المتعارف عليه من العادات و القيم بتفضيلها ابنها (محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم) على بقية أخوته بنص تصريح النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم بذلك.

لقد كان النبي محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم يعامل فاطمة بنت أسد عليها السلام كما يعامل ابن بر أماً، و ظل يبرها حتى بعد زواجه.(1)

إنّ أول أحاديث الفخر بهذه الأم الرؤوم من قبل ولدها النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم قوله لولدها الوصي: «يا علي عليه السلام لك أشياء ليست لي، منها أن لك زوجة مثل فاطمة عليها السلام و ليست لي مثلها عليها السلام، و لك ولدان من صلبك و ليس لي مثلهما من صلبي، و لك مثل خديجة أم أهلك و ليس لي مثلها حماة ، و لك صهر مثلي و ليس لي

صهر مثلي، و لك أخ في النسب مثل جعفر و ليس لي مثله في النسب، و لك أم مثل فاطمة بنت أسد عليها السلام الهاشمية المهاجرة و ليس لي مثلها.(2)

1- عبدالرحمن الشرقاوي، علي عليه السلام إمام المتقين، مؤسسة مدين للطباعة و النشر، مطبعة برستش، ط1، 1423ه_ / 2002م، ص16.

2- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، 2، انتشارات ذوي القربى، تحقيق: يوسف البقاعي، ط3، 1429 ه_ق، 1387 ه_ش ، المطبعة سليمان نزادة، قم - طهران. ص194.

و من الطبيعي أن يذكر النبي صـلي اللّه عليه و آله و سـلم الإمام علي عليه السـلام بالفخر بكل هذه الشمائل، ولكن لا أحد يفضل أماً على عليه السـلام أمه الطبيعية، إلا إذا كانت له نعم الأم من بعد يتم، و هذا ما كانت عليه فاطمة بنت أسد عليها السـلام. فقال فيها محمد صـلي اللّه عليه و آله و سـلم هـذا القول الفصـل بأنهـا أمـا فاقت بالمثال جميع الأمهات حتى أم خير الرسل صـلي اللّه عليه و آله و سـلم و خاتم الأنبياء و هو يسميها بالاسم و ينعتها (بالهاشمية المهاجرة) تأكيداً منه على إعزازها و توقيرها.

قد فصّلتْ كتب السير الحديث في فضل هذه المرأة المؤمنة و أسهبت إلى حد التواتر، و منها قوله صلي اللّه عليه و آله و سلم: «لم نلق بعد أبي طـالب أبر بي منها»(1) و قوله فيها «رحمك اللّه يا أمي! كنت أمي بعـد أمي تجوعين و تشـبعيني و تعرين و تكسـيني، و تمنعين نفسـك طيب الطعام و تطعميني تريـدين بـذلك وجه اللّه عزّوجل و الدار الآخرة»(2) ففاطمة عليها السـلام هنا لاتتصنع الإحسان مرضاة لزوج أو عشـير أو جار يرقب فعلها، بل إنها تريـد مرضاة الخالق في كلّ ما أغدقته على ولدها (محمد صـلي اللّه عليه و آله و سـلم) من إيثار و محبّة فائقة.

ولكننا لن نعجب من حسن صنيعها لو تتبعنا سيرة حياة أول الفواطم، و وجدناها تنبع من أصول الأنبياء، التي أشار إليها أبوطالب في

1- علي محمد علي دخيل ، فاطمة بنت أسد عليها السلام ، م. سر، ص42.

2- الموفق بن أحمد الخوارزمي (568 هـ)، المناقب، 1، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ص33.

خطبته عند نكاح فاطمة بنت أسد عليها السلام: «الحمد للّه رب العالمين، رب العرش العظيم، و المقام الكريم، و المشعر و الحطيم، الذي اصطفانا أعلاماً و سدنة، و عرفاء و خلصاء، و حجة بهاليل أطهار من الخنا و الريب، و الأذى و العيب، و أقام لنا المشاعر، و فضلنا على العشائر نخب آل إبراهيم و صفوته، و زرع إسماعيل، في كلام له ثم قال: و قد أسد و سقت المهر و نفذت الأمر فاسألوه و اشهدوا فقال تزوجت بنت أسد: زوجناك و رضيناك، ثم أطعم الناس فقال أمية بن الصلت:

أغمرنا عرس أبي طالب *** و كان عرساً لبن الحالب

أقرؤه البدو بأقطاره *** من راجل خف و من راكب

فنازلوه سبعة أحصيت *** أيامه-ا للرجل الحاسب(1)

إن تلكم الكلمات التي قالها أبوطالب هي عين اليقين في توحيده اللّه و تعبده لرب الأرباب و افتخاره بالانتساب لخير أنساب الأنبياء و هذا ما أشار إليه النبي محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم مراراً، فعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سألت رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم عن ميلاد علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: سألتني عن خير مولود ولد في شبه المسيح، إن الله تبارك و تعالى خلق علياً من نوري و خلقني من نوره و كلانا من نور واحد ، ثم أن اللّه عزّوجل نقلنا من

1- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب -2، م. س، ص197.

صلب آدم في أصلاب طاهرة إلى أرحام زكية فما نقلت من صلب إلا و نقل علي معي فلم نزل كذلك حتى استودعني خير رحم و هي و استودع علي خير رحم و هي فاطمة بنت أسد عليها السلام».(1)

لقد تربى النبي محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم و الإمام علي عليه السلام في كنف ذات الأسرة و ذات المربية، العالية الشأن، و لم يكن حب فاطمة بنت أسد عليها السلام و أبوطالب لمحمد صلي اللّه عليه و آله و سلم من ترف و فضلة غنى، فقد كان أبوطالب لا مال له،(2) و مع ذاک كان حبه للرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم حباً شديداً لايحبه ولده، و كان لاينام إلا إلى جنبه، و يخرج فيخرج معه، و صب به أبوطالب صبابة لم يصب مثلها بشيء قط.(3)

تمر الأيام ببيت فاطمة بنت أسد عليها السلام، و الزاد فيه قليل فلايأذنوا لأولادهم بالأكل من دون حضور الحبيب محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم، فيأتي القول: «كما أنتم حتى يحضر ابني». و كان صبية أبي طالب يصبحون رمضاً شعثاً،

و يصبح رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم دهينا كحيلاً،(4) في صورة رائعة من عناية الأم بصبيها الأثير.

1- جواد جعفر الخليلي ، أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام القسم الأول، الإرشاد للطباعة و النشر و دار الهدى، ط2، بيروت - لبنان ، 1452 هـ - 2001 م، ص20.

2- ابن سعد، الطبقات الكبرى -ج1، ص119.

3- المصدر نفسه، ص120.

4- " قل أن يسود فقير وساد أبوطالب " للمزيد ينظر: شرح ابن ابي الحديد، 1 / 29.

لقـد كانت فاطمـة بنت أسـد عليها السـلام شـريكة أبي طالب في هذه الرعاية للرسول صـلي اللّه عليه و آله و سـلم، فقد كانت تقدمه على أولادها براً به، و عطفاً عليه، حتى يسميها (أماه). و إذا ما استذكرها في أحاديثه قال عنها: «إنها كانت من أحسن خلق اللَّه صنيعاً بي، بعد أبي طالب. و كانت أمي بعد أمي التي ولدتني. إن أباطالب كان يصـنع الصنع، و تكون له المأدبة، و كان يجمعنا على طعامه، فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيباً فأعود فيه».(1)

لقد شبّ «محمد بن عبد اللَّه صـلي اللَّه عليه و آله و سـلم» في ظل رعاية فاطمة عليها السلام و زوجها، فكانا أفضل أبوين غذيا ابنهما بكل مكرمة حميدة، فمع فاطمة عليها السلام و أبي طالب شب النبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم يكلؤه اللَّه و يحفظه و يحوطه من أمور الجاهلية و معايبها...

حتى إذا بلغ مبلغ الرجـال كـان أفضـل قومه مروءة و أحسـنهم خلقـا، و أكرمهم مخالطـة، و أحسـنهم جواراً. و أعظمهم حلمـاً و أمانـة، و أصدقهم حديثاً و أبعدهم من الفحش و الأذى. و ما رُئي مُلاحياً و لا ممارياً أحداً حتى سماه قومه الأمين.(2)

وإذا ما صـرفنا النظر عن الآيات و الأحاديث و رجعنا إلى السـيرة التاريخية للنبي صـلي اللَّه عليه و آله و سلم و الوصي لوجدنا اقتران تاريخ محمد صلي اللَّه عليه و آله و سلم بتاريخ علي لايكاد

1- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب و السنة و التاريخ، محمد الريشهري، ج1، ص70.
2- ابن سعد، الطبقات الكبرى -ج1، ص121.

يفترقان حتى يلتقيا مجدداً، فإذا ذكرت نشأة محمد صـلي اللّه عليه و آله و سـلم ذكرت بيت أبي طالب و فاطمة بنت أسد عليها السلام، و إذا ذكرت بعثة محمد صلي اللَّه عليه و آله و سلم و دعوته إلى الإسلام ذكرت عليا عليه السلام و أباه و دفاعهما عنه(1) و سابقة فاطمة بنت أسد عليها السلام في الإيمان و التصديق و الهجرة و المبايعة.

لقد بادلت فاطمة بنت أسد عليها السلام النبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم حباً بحب و إيثاراً بإيثار و فضلاً بفضل، فها هي تضع وليدها علي بعد ثلاثين عاماً من ولادة أخيه محمد صـلي اللَّه عليه و آله و سـلم، فتلقفه منها شوقاً لضمه تحت جناحه فيغدو لصيقاً به، لايفارقه. فهما قد خلقا من نور واحد.(2)

تذكر السير

في خبر طويـل أن فاطمـة بنت أسـد عليها السـلام رأت النبي صـلي اللَّه عليه و آله و سـلم يأكل تمراً له رائحـة تزداد على كل الأطايب من المسك و العنبر من نخلة لاشـماريخ لها، فقالت: ناولني أنل منها، فقال لها: «لاتصـلح إلا أن تشـهدي معي: أن لا إله إلا اللَّه و أني محمد رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم، فشهدت الشهادتين، فناولها فأكلت فازدادت رغبتها و طلبت أخرى لأبي طالب فعاهدها أن لاتعطيه إلا بعد الشهادتين فلما جن عليها الليل اشتم أبوطالب نسماً ما اشتم مثلها قط،

1- محمدجواد مغنية، فضائل الإمام على عليه السلام منشورات دار الهلال و دار الجواد للطباعة و النشر، ط2، 198، بيروت ، ص31.
2- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب2، ص196.

فأظهرت ما معها فالتمس منها فأبت عليه إلا أن يشـهد الشـهادتين فلم يملك نفسه أن شهد الشهادتين غير أنه سألها أن تكتم عليه لئلا تعيره قريش فعاهدته على ذلك، فأعطت ما معها و أدى إلى زوجته، فعلقت بعلي في تلك الليلة].(1)

لقد أطعم اللَّه عزّوجل سيدالأوصـياء علي عليه السـلام و أمه فاطمة بنت أسد من ثمار الجنة قبل الولادة و بعد الولادة، ففي رواية شـعبة بن قتادة عن أنس عن العباس بن عبدالمطلب، و في رواية عن الحسن بن محبوب عن الإمام الصادق عليه السلام، إن جدار البيت العتيق عندما انفتح من ظهره و دخلت فاطمة عليها السلام، فيه ثم عادت الفتحة و التصقت و بقيت فيه ثلاثة أيام، فأكلت من ثمار الجنة فلما خرجت قال علي عليه السلام: «السلام عليك يا أبه

1- محسن باقر القزويني، علي بن أبي طالب عليه السـلام رجل المعارضـة و الدولـة، دارالعلوم للتحقيق و الطباعـة و النشـر و التوزيع ط1، لبنان، 1425هـ - 2004 م، ص17، نقلاً عن: [قال سـلمان المحمدي: سمعت حبيبي رسول اللّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم يقول: كنت أنا و علي عليه السـلام نوراً بين يدي اللَّه و طيفا اللَّه ذلك النور و يقدسه قبل أن يخلق آدم بأربعة عشـر ألف عام، فلما خلق اللَّه آدم ركز ذلك النور في صـلبه، فلم نزل في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبدالمطلب فجزء أنا و جزء علي... أورده ابن عساكر في تاريخ دمشق ترجمة الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام، ج1، ص137، عن سند صحيح و وثقه لسان الميزان ج3، ص229 و ميزان الاعتدال ج8، ص23 و رواه الإمام أحمد بن حنبل في الحديث 252 من كتاب الفضائل و رواه الخوارزمي في الفصل 14 في المناقب ص88].

و رحمة اللّه و بركاته» ثم تنحنح و قال: بسم اللّه الرحمن الرحيم ««قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ»،(1) فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم:«قد أفلحوا بك أنت و اللَّه أميرهم، تميرهم من علمك فيمتارون، و أنت واللَّه دليلهم و بك واللَّه يهتدون»، و وضع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم لسانه في فيه فانفجرت اثنتا عشرة عيناً، قال فسمي ذلك اليوم يوم التروية، فلما كان من غده و بصر علي برسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم سلم و عليه و ضحك في وجهه و جعل يشير عليه فأخذه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم فقالت فاطمة عليها السلام: عرفه فسما ذلك اليوم عرفة».(2)

و ما ان مرّت على ولادة الطفل أيام حتى قال النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم لفاطمة بنت أسد عليها السلام: اجعلي مهده بقرب فراشي. فلبت السيدة فاطمة عليها السلام طلب العزيز محمد صلى اللَّه عليه و آله و سلم، و وضعت مهد وليدها جنب فراشه.(3) و قد ورد عن فاطمة بنت أسد عليها السلام قولها أنها لما وضعت علياً عليه السلام، و جاءت به إلى الدار امتنع عن ثديها ثلاثة أيام فكان النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم يأخذه و يغذيه من ريقه.

يقول الحسين بن زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام «سمعت زيداً أبي لايقول: كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم يمضغ اللحمة

1- سورة المؤمنون: 1.

2- بن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب/2، ص198.

3- محمد رضا عباس محمد الدباغ، سيرة المرتضى بأسلوب قصصي ميسر، شكوري مطبعة قلم، ط1، 2005 م، إيران، ص58.

و الثمرة حتى تلين و يجعلها في فم علي عليه السلام و هو صغير في حجره».(1)

و قد أشار الإمام علي عليه السلام لتلك العناية و الرعاية الأثيرتين اللتين خص بها الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم الأكرم الإمام علي عليه السلام فيصفها بالقول:«و قد علمتم موضعي من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم بالقرابة القريبة، و المنزلة الخصيصة، و ضعني في حجره و أنا ولد، يضمني إلى صدره و يكتنفني في فراشه، و يمسني جسده، و يشمني عرفه، و كان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، و ما وجد لي كذبة في قول، و لا خطلة في فعل، و لقد قرن اللَّه به صلى اللَّه عليه و آله و سلم من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم و محاسن أخلاق العالم، ليله و نهاره، و لقد كنت أتبعه إتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، و يأمرني بالاقتداء به، و لقد كان يجاور في كل سنة بحراء ، فأراه و لا يراه غيري، و لم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم و خديجة و أنا ثالثهما، أرى نور الوحي و الرسالة، و أشم ريح النبوة صلى اللَّه عليه و آله و سلم...».(2)

لم يكن الإمام علي عليه السلام طفلاً عادياً، فلقد حباه الإله بكل الشمائل و الصفات الحميدة، بل لقد قلده منتهاها حتى انحسرت عن غيره محاسنها و أردفت به دون غيره على و فرتها، ففي الشجاعة، و هو طفل

1- شرح ابن أبي الحديد، م3، ص251.

2- الأنصاري، أهل البيت عليهم السلام... إمامتهم... حياتهم/ص 225.

كانت أمه فاطمة بنت أسد عليها السلام أول من تحرى فيه بواكير بزوغها، كانت تشده بالقماط فتجعله قماطين فشقهما، فإذا جعلته ثلاثة و زادت في سماكته من جلد و حرير فلم يجديها نفعاً، فاضطرت إلى تركه بدون قماط، وكان أبوه أبوطالب يجمع له أولاده و أولاد أخوته و يأمرهم بمصارعته، فكان علي يحسر عن ذراعيه، و يصارع الكبير منهم و الصغير فيصرعه، و في ذات يوم كان يسير مع طفل أكبر يسير مع طفل أكبر منه سنة، فما شعر إلا و الطفل يهوي في البئر على رأسه، فأسرع علي وأخذ برجله وأنقذه».(1)

و لاعجب، فلقد كان علي عليه السلام على هيئة الأسد قلبا و قالباً غليظاً منه ما استغلظ، دقيقاً منه ما استدق.(2) و كانت والدته و والده يدركان ما يمتلكه علي من شجاعة و صلابة، و يذكر أن أباطالب كان شديد الحفاظ على محمد صلى اللّه عليه و آله و سلم فكان يبادل مكان نومه فيأخذه ويضعه في فراش علي عليه السلام و يضع علياً عليه السلام مكانه، مع العلم كان لأبي طالب أربعة من الأولاد أصغرهم علي عليه السلام، و لما سئل عن سبب إيثار علي عليه السلام بهذا الفداء و هذه التضحية. أجاب: إن لعلي عليه السلام من الشجاعة ما ليس لسواه.(3)

1- محمد جواد مغنية، فضائل الإمام علي عليه السلام، م. س، ص29.

2- بن شهر آشوب، مناقب أبوطالب - 3، ص353.

3- مهدي محبوبة، ملامح من عبقرية الإمام، تقديم و تمهيد: هاشم محمد الباججي، إصدارات العتبة العلوية المقدسة قسم الشؤون الفكرية و الثقافية، المعارف للمطبوعات، بيروت -لبنان، العراق -النجف الأشرف، 2011 م، ص135.

و قد تميز الإمام علي عليه السلام حتى في أسرته الصغيرة، و كان الأبرز ما بين أخوته.

فعن أسماء بنت عميس قالت: حدثتني أم هانئ بنت أبي طالب قالت:«كان علي من أجود الناس، لقد كان أبوه يوجه معه باللطف إلى بعض أهله، فيقول: يا أبه، هـذا قليل زده، ثم يأتي أمه فاطمة بنت أسد عليها السـلام، فيقول: يا أمه زيدي عليه من نصـيبي: فتفعل، و لقد كان يدفع إليه وإلى عقيل الشيء يسوي بينهما، فيميل عقيل عليه، ويقول له: أعطيت أنت أكثر مما أعطيت أنا ! فيضعه على نصيبه بين يديه، و يقول له: «خذ منه ما تريد».(1)

لقد بقي علي في أسـرته حجر الأساس و قطب الرحى، حتى عندما شاءت إرادة السماء أن تضمه إلى جنب أخيه و ابن عمه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سـلم و هو في السادسـة من عمره عندما تعرضت قريش لأزمة اقتصادية خانقة، و كانت و طأتها شديدة على أبي طالب عليه السلام إذ كان رجلاً ذا عيال كثير، و كهفا يلوذ به المحتاج و الفقير، بحكم مركزه الاجتماعي في مكة، فأقبل الرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم مع أعمامه للتخفيف عن أبي طالب و أخذ أحد أبنائه كل واحد منهم.

1- علي الأحمـدي الميـانجي، عقيـل بن أبي طالب ، تحقيق و مراجعـة مجتبى فرحي، دارالحـديث للطباعـة و النشـر، ط 1، إيران -لبنان، ص75.

فكانت قسمة رب الأرباب أجلى برهاناً و أوفى اقتساماً، فعلي لمحمد صلى اللّه عليه و آله و سلم، و محمد صلى اللّه عليه و آله و سلم لعلي عليه السلام، ما كان لهما أن يفترقا أكثر من بضع سنين، و إن كانا لم يفترقا قط. كان الإمام علي عليه السلام بهذه الانتقالة الربانية من كنف فاطمة بنت أسد عليها السلام إلى كنف ابن عمه قد أصبح حلقة و صل بين بيت النبوة صلى اللّه عليه و آله و سلم و أسرته و شاء المهيمن العزيز أن يكون بيت أبي طالب أول بيت يدخله الإسلام، يبدأ بعلي عليه السلام، ثم يتلاحق أفراد العائلة واحداً بعد واحد.(1)

فقد ذكر ابن الجوزي أن فاطمة بنت أسد عليها السلام كانت أول امرأة بايعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم بمكة بعد خديجة عليها السلام، و يذكر ابن أبي الحديد أنها أسلمت بعد عشر من المسلمين، و كانت الحادية عشرة، و أن فاطمة عليها السلام أول امرأة بايعت الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم من النساء(2) أما هجرتها فحكاية تروي أنها هجرة الفواطم مع علي عليه السلام أسد الإسلام و فارسه.

خرج علي عليه السلام بالفواطم يريد المدينة حسبما أمره الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم فأدركه ثمانية فرسان ملثمون معهم (جناح) مولى لحرب بن أمية.(3)

و ما كانت مسيرته بالفواطم هذه مهمة سهلة، فقد قضى الليالي الثلاث التي سبقتها في مكة يؤدي أدوار البطولة التي أناطها به النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم، أعظمها

1- علي محمد علي دخيل، فاطمة بنت أسد000، ص28.

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة /ج1، ص40.

3- مهدي محبوبة، ملامح من عبقرية الإمام، ص204.

فداؤه بنفسه في المبيت في فراشه، ثم رده للودائع إلى أربابها ثم جمعه لبنات و نساء أهله و الهجرة بهن إليه.(1)

قال المفيد: فقام علي عليه السلام به أحسن القيام ورد كل وديعة إلى أهلها، و أعطى كل ذي حق حقه و حفظ بنات نبيه صلى اللّه عليه و آله و سلم و حرمه و هاجر بهن ماشياً على قدميه يحوطهن من الأعداء، و يكلاهن من الخصماء و يرفق بهن في المسير، حتى أوردهن عليه المدينة على أتم صيانة و حراسة و رفق و رأفة و حسن تدبير...».(2)

و لقد ظل في رحلته تلك ليالي أربع عشرة وحيداً يسبح في بحر لجي من الرمال تحته و من الأنجم و الكواكب فوقه(3) و همه حفظ الفواطم و إيصالهن مبتغاهن، و هن فاطمة بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم و أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، و فاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب و فاطمة بنت الحمزة تنفيذاً لأوامر سيده و حبيبه و أخيه التي بعثها إليه بكتاب جاء فيه: «بسم اللّه الرَّحمن الرِّحيم من عبداللّه و ابن عبديه محمد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، أما بعد يا علي عليه السلام أن كنت تسأل عن الانصار فجزاهم اللّه عني

1- محمد الدباغ ، سيرة المرتضى، ص72.

2- الشيخ المفيد، الإرشاد، منشورات المطبعة الحيدرية و مكتبتها في النجف الأشرف، 1962م -1381هـ، ص23.

3- عزيز السيد جاسم، على سلطة الحق، تحقيق و تعليق: صادق جعفر الروازق، منشورات الاجتهاد و العزيز للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، 2000م، قم، ص71.

خيراً، فلقد أتوني بمفاتيح دورهم و بذلوا أنفسهم دوني، فإذا وصلك كتابي فاحمل إلي الفواطم و هلم أنت معهن و السلام».(1)

رافقت فاطمة بنت أسد عليها السلام ابنها الشجاع مهاجرة من مكة في وضح النهار، فكان هو فتاها الذي ما فارقته علامات البأس و القوة و الشجاعة طفلاً رضيعاً و صبيا يافعاً، لقد خرج علي بالفواطم في وضح النهار و هو الأمر الذي استصعبه المحيطون به فنصحوه بالتخفي، جادله عمه العباس بن عبدالمطلب فقال له: إنّ محمداً صلى اللّه عليه و آله و سلم ما خرج إلا خفية، و قد طلبته قريش أشد الطلب، و أنت تخرج جهاراً، في أثاث و هوادج و مال و رجال و نساء، تقطع بهم السباسب و الشعاب بين القبائل، ما أرى لك ذلك، و أرى أن تمضي في خفارة من خزاعة، فقال له علي عليه السلام:

إن المنية شربة مورودة *** لاتجزعن و شد الترحيل

إن ابن آمنة النبي محمد *** رجل صدوق قال من جبريل

أرخ الزمام و لاتخف *** فاللّه يرديهم عن التنكيل

إني بربي موقن و بأحمد *** و سبيله متلاحق بسبيلي(2)

1- محمد جواد الطبسي، حياة الصديقة فاطمة -دراسة و تحليل، مؤسسة بوستان كتاب قم، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ط1، 1423هـ، 1381 ش، قم، ص72.

2- المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دارالكتب الإسلامية، ج6، ص542.

ثم إن أميرالمؤمنين عليه السلام إلا أقبل حتى صعد على الصفا و نادى: يا معاشر قريش إني خارج غدا بالفواطم فمن أراد منكم أن يتبعني فليفعل، ثم نزل و صعد على المروة و فعل مثل ذلك، فلما أصبح الصباح حمل الفواطم و سار قاصداً إلى المدينة.(1)

ما الذي أراده علي بن أبي طالب عليه السلام بفعل هذا؟

هل هي فورة الشباب و حماسته دفعت به إلى هذا الموقف؟

أم أن تحديه لقريش و شراسة معركتها ضد الإسلام و رسوله و المؤمنين كان فيه استهانة بكل المخاطر و ما سيلاقيه من المتربصين؟

ألم تكن خطوته الجريئة هذه مخاطرة بسلامته و سلامة الفواطم ممن برفقته؟

لا هذا... و لاذاك.

إنّ عليّاً عليه السلام لما أرادها مأثرة تضاف إلى بقية مآثره في الملأ، و ليعلم القاصي و الداني، و القريب و البعيد برحلته الإيمانية هذه، و ليقلدها عاراً لقريش المعتدية مدى الدهور و الأيام.

فها هي قريش اجتمعت و تحاورت بالقول:(2) هذا ابن أبي طالب قد خرج من بين من بين أظهرنا و قد أورثنا الذل و العار، ثم دخلوا الكعبة، و خروا سجداً للأصنام و سألوها النصر على علي عليه السلام.

1- محمد جواد الطبسي، حياة الصديقة فاطمة عليها السلام، ص73.

2- المصدر نفسه.

أمّا عليٌ عليه السلام فقد خرج بالفواطم، و تبعه أيمن بن أم أيمن مولى رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم، و أبو واقد، يسوق الرواحل و يعنف بها، فقال له الإمام علي عليه السلام: ارفق بالنسوة أبا واقد، فإنهن ضعائف.

فقال أبو واقد: إني أخاف أن يدركنا الطلب، فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

ليس إلا اللّه فارفع ضنكا *** يكفيك رب الناس ما أهمكا(1)

و قال له: أربع عليك، فإن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم قال لي: يا علي عليه السلام إنهم لن يصلوا من الآن إليك بما تكرهه.

إنّ علياً عليه السلام و هو في خضم أداء هذه المَهمَّة الجسيمة، لايفكر بطول الرحلة و مشقة الطريق، و لايعبأ بمن سيدركه من فرسان قريش، إنّ أكبر همه ينصبٌ في تلك اللحظات أن يخفف وطئ الغربة و الهجرة عن ديار مكة الحبيبة و أن لا تتجشم النسوة معه متاعب مضاعفة من سرعة المسير، بل إن الإمام لم يقتصر على الطلب من الحادي الرفق و الترفق في الخطو، فها هو قد مر عليه السلام براعي إبل فقال له: «إذا سألك عني أحد فقل ها هو قريباً متوانياً في مشيه»، فأقبلت قريش حتى مروا بذلك الراعي فقالوا له: هل رأيت رجلاً من صفته كذا و كذا و معه خمسة هوادج ؟ قال: لعلكم تعنون علي بن أبي طالب عليه السلام قالوا: بلى، قال: ها هو قريب منكم.(2)

1- المجلسي، بحار الأنوار، 6، ص542.

2- محمد جواد الطبسي، حياة الصديقة فاطمة عليها السلام، ص73.

و قبل وصول قريش بفوارسـها السـبعة و ثامنهم مولى الحارث بن أمية و كان يُدعى جناحاً، إلى ركب الفواطم أمر علي عليه السـلام كل من أيمن و أبي واقـد بأن ينيخا الإبل و يعقلاها فتقدم و أنزل النسوة، ثم أقبل ناحية الفوارس قائلين له: ظننت أنك خارج بالنسوة؟ أرجع لاأبا لك: قال علي عليه السلام: فإن لم أفعل ؟ قالوا: لترجعن بأكثرك شعراً، و أهونه بك من هالك. ودنا الفوارس من المطايا ليثيروها فحال علي بينهم و بين النساء لكي لايسيء أحد لأي منهن.(1)

و نازلهم فارس الإسـلام و أسده فكان عليه السـلام يشدّ على قدميه شد الفرس أو الفارس على فرسه، فغار على أصـحابه فشد عليهم بسـيفه شدة ضيغم و هو يرتجز و يقول:

خلوا سبيل الجاهد المجاهد *** آليت لاأعبد غير واحد

فتفرَّق عنه القوم و هو يجول وحيـداً بينهم و أعين الفواطم ترقب المنازلـة بقلوب و اجفـة إلى ربها سائلـة النجاة و النصـرة، و هكـذا عاد إليها منصوراً ليواصل الرحلة بعد أن نزل في ضجنان يوم و ليلة و لحق به عليّ نفر من المستضعفين من المؤمنين، فصلى ليلته تلك هو و الفواطم، طوراً يصـلون و طوراً يذكرون اللَّه قياماً و قعوداً و على جنوبهم، فلم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر، فصـلى عليه السلام بهم صلاة الفجر ثم سار مواصلاً الرحلة لايفتر من ذكر اللَّه، و الفواطم كذلك فنزل الوحي بقوله تعالى: (الَّذِينَ

1- محمد رضا الدباغ، سيرة المرتضى، ص86.

يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الأَرْضِ» إلى قوله: «فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاأُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثى»(1) و الذكر هنا علي والأنثى من الفواطم.(2)

و لم تكن هـذه الآية الوحيدة التي نزلت بشأن فاطمة بنت أسد عليها السـلام أول الفواطم في حياة علي عليه السـلام، فعن جعفر بن محمد عليه السـلام: أن فاطمـة بنت أسـد عليها السـلام أول امرأة هاجرت إلى رسول اللّه صـلي اللّه عليه و آله و سـلم من مكـة إلى المدينـة على قدميها، و عن مقاتل الطالبيين عن جعفر بن محمد: إن فاطمة بنت أسد عليها السـلام أم علي كانت حادية عشـرة في السابقة إلى الإسـلام و كانت بدوية، و لما نزلت هذه الآية «أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا جاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبايِعْنَكَ»(3) كانت فاطمة عليها السلام أول امرأة بايعت رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم.(4)

و كذلك قال ابن عباس، فهي أول امرأة هاجرت من مكة إلى المدينة ماشية حافية، و هي أول امرأة بايعت الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم أول امرأة بايعت الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم بمكة بعد خديجة عليها السلام.(5)

وإذا كان المسلمون يتفاضلون بالهجرة، و المهاجرون أفضل من الذين لم يهاجروا، و كلا وعد اللّه الحسنى، و المهاجرون الأولون هم

1- سورة آل عمران، آية191 ـ 195.

2- علي محمد علي دخيل، فاطمة بنت أسد عليها السلام، ص34.

3- سورة الممتحنة، اية 12.

4- البرهان في تفسير القرآن: 4 / 327.

5- علي محمد علي دخيل، فاطمة بنت أسد، ص36.

أفضل من اللاحقين، فهم نواة هـذا الـدين و أسـسه الذي قام عليه، ففاطمة عليها السـلام هي أولى بالفخر فهي أول مهاجرة إلى اللّه و رسوله صلي اللَّه عليه و آله و سـلم... «الَّذِينَ آمَنُوا وَ هـاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِي سَبِيـلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللّهِ وَ أُولئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ».(1)

لقد أولى النبي محمد صـلي اللَّه عليه و آله و سـلم و الإمام علي عليه السلام أمهما فاطمة بنت أسد المهاجرة المبايعة كل رعاية و عناية في المدينـة المنورة، و كـانوا يخصونها بالتعظيم، فقـد كان النبي صـلي اللَّه عليه و آله و سـلم دائم الوصل لها و كان يزورها و يقيل في بيتها، و يحترمها احتراماً عظيماً، و قد وافتها المنية في حياة النبي صـلي اللَّه عليه و آله و سـلم و شـهدها رسول اللَّه صـلي اللَّه عليه و آله و سلم، إذ أوصت إليه حين حضرتها الوفاة، فقبل وصيتها و صلي عليها.(2)

و من شدّة تقوى هذه الفاطمية الصالحة أنّها سمعت رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم يقول: يُحشر الناسُ يوم القيامة عراة.

فقالت: واسوأتاه.

فقال رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم: فإني أسأل اللَّه أن يبعثك كاسية.

و سمعته يقول: أو يذكر عذاب القبر.

فقالت: واضعفاه.

1- سورة البقرة: 20.

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج1، ص40.

فقال لها: إني أسأل اللّه أن يكفيك ذلك.(1)

و قد استجاب الباري لسؤال حبيبه، فأوفى بوعده لها الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم، و فعل في دفنها ما لم يفعله مع أحد قط... فعندما حضرتها الوفاة جاء علي عليها السلام باكياً منتحباً إلى الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم ينعي إليه أمهما الرؤوم العطوف.

قال أميرالمؤمنين عليه السلام: لما ماتت فاطمة بنت أسد عليها السلام بن هاشم كفنها رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم في قميصه، و صلى عليها، و كبر عليها سبعين تكبيرة، و نزل في قبرها، فجعل يومي في نواحي القبر كأنه يوسعه، ويسوي عليها و خرج من قبرها و عيناه تذرفان، و حثا في قبرها، فلما ذهب قال له عمر بن الخطاب يا رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم رأيتك فعلت على هذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحد.

فقال: يا عمر إن هذه المرأة كانت أمي بعد أمي التي ولدتني إن أبا طالب كان يصنع الصنع، و تكون له المأدبة ، وكان يجمعنا على طعامه ، فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيباً فأعود فيه، وإن جبريل السلام أخبرني عن ربي عزّوجل أنها من أهل الجنة، و أخبرني جبريل الا أن اللّه تعالى أمر سبعين ألفاً من الملائكة ليصلون عليها.(2)

1- سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزغلي البغدادي (581 - 654 هـ)، تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة، تحقيق: حسين تقي زادة، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت السلام، ط1، 1426 هـ، مطبعة: ليلى، ص120.
2- المستدرك على الصحيحين، 3 / 108.

و إن حسن صنيع الرسول الأكرم صلي اللّه عليه و آله و سلم مع أمه فاطمة بنت أسد عليها السلام عند وفاتها حديث متواتر تذكره مصادر الفريقين، و يعطي صورة صادقة لما كانت عليه هذه المؤمنة الجليلة، بل إن أول الفواطم قد تميزت في حياتها برعايتها لخير خلق اللّه ابن آدم محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم و أخيه علي عليه السلام، وكذا تميزت في وفاتها وبما قام به النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم من ممارسات إيمانية قل أن أتى بها مع غيرها . فها هو الصحابي عمار بن ياسر يستفهم النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم قائلاً: فداك أبي و أمي يا رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم لقد صليت عليها صلاة لم تصل على أحد قبلها مثل تلك الصلاة.

فيجيبه الابن البار بأمه: يا أبا اليقظان، و أهل ذلك هي مني، لقد كان لها من أبي طالب ولد كثير، و لقد كان خيرهم كثيراً، و كان خيرنا قليلاً، فكانت تشبعني و تجيعهم و تكسوني و تعريهم، و تدهنني و تشعثهم.(1)

و قد روى ابن الأثير: أن رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم كفن فاطمة بنت أسد عليها السلام في قميصه، واضطجع في قبرها، و جزاها خيراً.

وكذا سأله ابن عباس: ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بهذه، فقال: إنه لم يكن بعد أبي طالب أبر بي منها، إنما ألبستها قميصي لتكتسي من حلل الجنة و اضطجعت في قبرها ليهون عليها عذاب القبر.(2)

1- البحار، المجلسي، ج9، ص17.

2- ابن أبي الحديد، شرح نعج البلاغة، ص4.

بل أن بعض الروايات تزيـد في تفصـيل الحادثـة و تداعياتها على من حضـرها. قال ابن دأب: فاطمة بنت أسد عليها السـلام بن هاشم التي خاطبها رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم في لحدها، و كفنها في قميصه، ولفها في ردائه، و ضمن لها على

اللّه أن لاتبلى أكفانها، و أن لاتبدي لها عورة، فلايسلط عليها ملكي القبر، و أثنى عليها عند موتها، و ذكر حسن صنيعها به.(1)

و قـد ذكر علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي (ابن الصـباغ) كيفية مخاطبة الرسول صـلي اللّه عليه و آله و سـلم لها في لحدها، فقال: فاطمـة بنت أسد عليها السـلام بن هاشم بن عبدمناف، تجتمع هي و أبوطالب في هاشم و أبوطالب في هاشم، أسـلمت و هاجرت مع النبي صلي اللّه عليه و آله و سـلم، و كانت من السابقات إلى الإيمان، و بمنزلة الأم من النبي صـلي اللّه عليه و آله و سلم، فلما كفنها النبي صلي اللّه عليه و آله و سـلم بقميصه، و أمر أسامة بن زيد، و أبا أيوب الأنصاري، و عمر بن الخطاب، و غلاماً أسود، فحفر قبرها، فلما بلغوا لحدها حفره رسول اللّه صـلي اللّه عليه و آله و سـلم بيده، و أخرج ترابه، فلما فرغ اضـطجع فيه و قال: اللّه الذي يحيي و يميت و هو حي لايموت، اللّهم اغفر لأمي فاطمـة بنت أسد عليها السـلام، و لقنها حجتها، و وسع عليها مدخلها، بحق نبيك محمد صـلي اللّه عليه و آله و سـلم، و الأنبياء الذين من قبلي، فإنك أرحم الراحمين.(2)

1- علي محمد علي دخيل، فاطمة بنت أسد عليها السلام، ص52.

2- علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي المشهور بابن الصباغ (ت 855 هـ)، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، مطبعة العدل، النجف الأشرف، بدون تاريخ، ص14.

و هكـذا انتهى دور أول الفواطم في حياة الإمام علي عليه السـلام، بعد أن قلدته شـرف الولادة و النسب الطاهر، و سـبق الإسـلام و الهجرة والمبايعة للرسول الأعظم صلي اللَّه عليه و آله و سلم، و أدت مهمة الأمومة العظيمة لمحمد صلي اللَّه عليه و آله و سلم و علي عليه السلام معاً وحدّثت عن النبي صـلي اللَّه عليه و آله و سـلم أكثر من (46) حديثاً وصـحبت آمنة بنت وهب في ولادتها و خديجة عليها السلام في زواجها و الزهراء عليها السـلام في هجرتها ، فحظيت بالحسـنة في الدنيا و الآخرة وحباها الرسول صلي اللَّه عليه و آله و سلم بأفضل بره لها في حياتها و بعد مماتها.

سلام على فاطمة بنت أسد عليها السلام يوم ولدت و يوم توفاها اللَّه إلى جواره الكريم، و يوم تبعث حية في عليين مع أولادها الأبرار محمد صلي اللَّه عليه و آله و سلم و علي عليه السلام و جعفر الطيار.

أم فاطمة عليها السلام... أم ثانية

من بيت أبي طالب إلى بيت محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم...

و من حضانة فاطمة بنت أسد عليها السلام إلى احتضان و رعاية أم فاطمة عليها السلام خديجة عليها السلام بنت خويلد.(1)

فبعد وجه أمه الرؤوم أول الفواطم اللواتي مهرن حياة الإمام علي عليه السلام بختمهن المؤثر... ها هو علي ينضوي تحت ظل ربة الأسرة المحمدية خديجة الكبرى عليها السلام.

ففي سن السادسة من عمره فارق علي عائلته الأولى لينتقل للعيش و النضج في عائلته الثانية ليقضي تحت ظلالها الوارفة أهم سني عمره، كانت فيها زوج النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم و أم المؤمنين السيدة خديجة الكبرى عليها السلام، هي

1- هي خديجة عليها السلام بنت خويلد بن أسد، عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي إلى أن ينتهي نسبها إلى عدنان، و أمها فاطمة بنت زائدة الأصم من ولد فهر بن مالك، و أم فاطمة هالة بنت عبد مناف. للمزيد ينظر: يوسف بن قز علي البغدادي سبط بن الجوزي (581 - 654 هـ)، تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة، تحقيق: حسين تقي زادة / ج2، مركز الطباعة و النشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام، ط1، 1426 هـ ق، مطبعة: ليلى، ص303؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى 14/8 - 15) في ترجمة أم المؤمنين خديجة عليها السلام)، محمد جواد مغنية، فضائل الإمام علي عليها السلام، ص21.

والدته و مربيته و مرشدته و رفيقته في السبق للإسلام و الإيمان و الصلاة.(1)

ففي ما يقارب الخمسة عشر عاماً(2) عاشها الوصي علي عليه السلام في بيت النبي محمد صلى اللّه عليه وآله و سلم كانت أم فاطمة الزهراءعليها السلام فيها خير زوجة للرسول الأكرم صلى اللّه عليه وآله و سلم و خير رعاية لشؤون بيته، و خير مربية و أم ثانية لعلي عليه السلام، و كأنها تردّ جميل صنع أبي طالب و زوجه فاطمة سلام اللّه عليها بنت أسد يوم حصّنا الحبيب محمد صلى اللّه عليه وآله و سلم من عوادي الزمان و اليتم فكانا أباً و أماً و عائلة كريمة ليتيم عبدالمطلب.

و هنا لابد من وقفة متأنية في فهم عملية تبادل الأدوار هذه ما بين عائلة النبي محمد صلى اللّه عليه وآله و سلم و عائلة الإمام علي عليه السلام، فلا شيء يمكن تركه للصدفة، دور من الأدوار التي مرت بها كلا الشخصيتين كانت بتدبير رباني

1- وفيت خديجة أم المؤمنين عليها السلام بعد وفاة أبوطالب بشهر و خمسة أيام و كانت وفاته للنصف من شوال في السنة العاشرة من حين نبئ رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله و سلم و هي يومئذ بنت خمس وستين سنة، فاجتمعت على رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله و سلم مصيبتان موت خديجة بنت خويلد، و موت أبي طالب عمه للمزيد ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ص125، ابن الأثير. الكامل في التاريخ، ج2، ص291.

2- جاء في كتاب الرياض النضرة للمحب الطبري/ ج2 / ص30 عن عمر بن الخطاب إنه قال: أشهد على رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله و سلم لسمعته يقول: لو أن السموات السبع و الأرضين السبع وضعت في كفة، و وضع إيمان علي في كفة لرجح إيمان علي عليه السلام.

على وفق حساب دقيق لكي تبقى الشخصيتان لصيقتين أحدهما بالأخرى.(1)

فمحمد صلى اللّه عليه وآله و سلم اليتيم ذو الست سنوات ينتقل إلى بيت أبي طالب ليكون له أباً و فاطمة بنت أسد سلام اللّه عليه أماً و علي عليه السلام أخاً حتى انتقاله إلى بيت الزوجية شاباً في العشرين.

و في موقف مطابق ينتقل الصبي علي عليه السلام ذو الست سنوات إلى بيت النبي محمد صلى اللّه عليه وآله و سلم، لضائقة مالية أو معاشية،(2) ويبقى في ظل أسرته البديلة حتى

1- أما أنه لم يفارق في مشاهده إلا بتبوك، فهو من المسلّمات، و أما تقاربهم في الأوجه الأخرى فقد أشار إليها الإمام علي عليه السلام محدثا عن نفسه: «... و قد علمتم موضعي من رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله و سلم بالقرابة القريبة أو المنزلة الخصيصة، وضعني في حجرة وأنا ولد، يضمن إلى صدره، و يكنفني في فراشه، و يمسني جسده، و يشمني عرقه، و كان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، ما وجد لي كذبة في قول، و لا خطلة في فعل، و لقد قرن اللّه به صلى اللّه عليه وآله و سلم من لدن أن كان فطيمًا أعظم ملك من ملائكة يسلك به طريق المكارم و محاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره ، و لقد كنت أتبعه إتباع الفيصل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به ، ولقد كان يجاور في كل سنة بحِراء، فأراه و لا يراه غيري، و لم يجمع بيت واحد في الإسلام غير رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله و سلم و خديجة عليها السلام و أنا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة، و أشم ريح النبوة صلى اللّه عليه وآله و سلم...» ينظر: الأنصاري، أهل البيت عليهم السلام...، ص225، ابن أبي الحديد / م3، ص250.

2- جاء في تاريخ الطبري و البلاذري و تفسير الثعلبي و الواحدي و شرف النبي صلى اللّه عليه وآله و سلم و أربعين الخوارزمي و درجات محفوظ السبتي و مغازي محمد بن إسحاق و معرفة أبي يوسف القسوي أنه قال مجاهد: كان من نعمة اللّه على علي بن أبي طالب عليه السلام أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة (ضيق و قحط)، و كان أبوطالب ذا عيال كثيرة، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله و سلم لحمزة و العباس: «إن أباطالب كثير العيال، و قد أصاب الناس ما ترون من هذه الأزمة فانطلقا بنا نخفف من عياله»، فدخلوا عليه و طلبوه بذلك فقال: إذا تركتم لي عقيلاً فافعلوا ما شئتم... فأخذ حمزة جعفراً... و أخذ العباس طالباً... و أخذ رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله و سلم علياً عليه السلام و هو ابن ست سنين كسنه يوم أخذه أبوطالب فربته خديجة عليها السلام و المصطفى صلى اللّه عليه وآله و سلم، إلى أن جاء الإسلام و تربيتهما أحسن من تربية أبي طالب و فاطمة بنت أسد عليها السلام، فكان مع النبي صلى اللّه عليه وآله و سلم إلى أن مضى و بقي علي عليه السلام بعده، و في رواية أن النبي صلى اللّه عليه وآله و سلم قال: «اخترت من اختار اللّه لي عليكم علياً عليه السلام». و هناك رواية مغايرة بذكرها أبوالقاسم في أخبار أبي رافع من ثلاثة طرق: أن النبي اللّه صلى اللّه عليه وآله و سلم حين تزوج خديجة عليها السلام قال لعمه أبي طالب: «إني أحب أن تدفع إلي بعض ولدك، يعينني على أمري، و يكفيني و أشكر لك بلاءك عندي». فقال أبوطالب: خذ أيهم شئت فأخذ علياً عليه السلام. للمزيد ينظر: بن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب/ 22، ص205.

البلوغ، و حتى بعد انتهاء ظروف الضائقة التي كانت سبباً في اصطفاء محمد صلى اللّه عليه وآله و سلم العلي عليه السلام ربيباً له.

و ما قلناه في حق فاطمة بنت أسد عليها السلام و تميز رعايتها و إيثارها لمحمد صلى اللَّه عليه وآله و سلم من دون أبنائها و بناتها في الصفحات السابقة، نعاود قوله في حق خديجة الكبرى عليها السلام ذات الزوج و الأبناء، و التي لم تذكر لنا المصادر موقفاً سلبياً واحداً لها بإزاء علي الصبي و الفتى البالغ المرافق لزوجها في ليله و نهاره و حله و ترحاله،(1) فلم تأخذها الغيرة النسائية لحظة إلى

1- من خطبة الإمام علي عليه السلام المسماة الناصعة « ولم يجمع بيت في الإسلام غير رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله و سلم و خديجة عليها السلام و أنا ثالثهما، أرى نور الوحي و الرسالة، و أشم روح النبوة صلى اللَّه عليه وآله و سلم و لقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه»، فمن استقى عروقه من منبع النبوة صلى اللَّه عليه وآله و سلم و رضعت شجرته ثدي الرسالة و تهدلت أغصانه من نبعة الإمامة، و نشأ في دار الوحي و ربّي في بيت التنزيل و لم يفارق النبي صلى اللَّه عليه وآله و سلم له في حال حياته إلى حال وفاته لايقاس بسائر الناس. للمزيد ينظر: ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب/ 2، ص206.

استكثار هذا الحب و المشاركة الحميمية التي خص بها النبي محمد صلى اللّه عليه وآله و سلم ابن عمه علياً عليه السلام.

لقد نكح رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله و سلم خديجة بنت خويلد عليها السلام و هو ابن خمس و عشرين سنة و خديجة عليها السلام يومئذ ابنة خمس و عشرين أو ثمان و عشرين،(1) و في بعض الروايات أربعين سنة،(2) و كانت خديجة عليها السلام المسماة بالطاهرة) في الجاهلية، الجاهليّة، امرأة حازمة عاقلة شريفة مع ما أراده اللَّه من كرامتها باقترانها بالنبي محمد صلى اللَّه عليه وآله و سلم، ففي أحد بيوتات مكة ولدت خديجة الكبرى لأسرة ذات مكانة و شرف، و هي يومئذ أوسط قريش نسباً، و أعظمهم شرفاً و أكثرهم مالاً و كل قومها كان حريصاً نكاحها لو قدر على ذلك.(3) فلما أرسلت

1- دلائل النبوة صلى اللَّه عليه وآله و سلم و معرفة أحوال صاحب الشريعة، أبوبكر البيهقي، تحقيق: (عبدالمعطي قلعجي)، منشورات دارالكتب العلمية -دار الريان للتراث، 1988، اج 2 ، ص70. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد ، تحقيق: علي محمد عمر منشورات مكتبة الخانجي، 1421 - 2001. أنساب الأشراف، البلاذري، تحقيق: سهيل زكار، ج1، ص 108.

2- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص532.

3- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ص131.

إلى النبي صلى اللّه عليه وآله و سلم خاطبة إليه نفسها قال لأعمامه و خرج معه حمزة بن عبدالمطلب و أبوطالب الذي ألقى خطبة النكاح،(1) فتزوجها محمد صلى اللَّه عليه وآله و سلم فولدت له أولاده كلهم، إلا إبراهيم، و هم: زينب، و رقية، و أم كلثوم، و فاطمة و القاسم و به كان يكنى و عبد اللَّه و الطاهر و الطيب وقيل: إن عبداللَّه ولد في الإسلام هو و الطاهر و الطيب، أما القاسم و الطاهر و الطيب فهلكوا في الجاهلية.(2)

لقد شاءت العناية الإلهية أن يفقد النبي محمد صلى اللَّه عليه وآله و سلم أولاده الذكور الواحد تلو الآخر و لم يبق في أحضانه من الولد إلا علي عليه السلام، فكان خير عوض لخديجة عليها السلام أم المؤمنين و زوجها، و أبر ولد لوالديه، فلم يفارقهما في ليلهما و نهارهما حتى وفاتهما.(3)

إنّ السرد التاريخي للوقائع لم يسعفنا كثيراً في هذه الناحية، فلم يتعرض للجزئيات المتعلقة بحياة أم المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام إلا أن

1- قال أبوطالب: الحمدللَّه الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، و زرع إسماعيل، و ضئضئ معد و عنصر مضر، و جعلنا حضنة بيت المتكلفين بشأنه، وسواس حرمه، القائمين بخدمته... ثم ابن أخي هذا محمد بن عبداللّه صلى اللَّه عليه وآله و سلم لايوزن به رجل إلا رجح به شرفاً و نبى صلى اللَّه عليه وآله و سلم و فضلاً و عقلاً... و هو و اللَّه بعد هذا، له نبأ عظيم، و خطر جليل، و قد خطب إليكم رغبة في كريمتكم خديجة عليها السلام. للمزيد ينظر: مريم فضل اللَّه، المرأة في ظل الإسلام، ص 125.

2- ابن الأثير، الكامل في التاريخ/ ج1، ص532.

3- محمد جواد مغنية، فضائل الإمام علي عليه السلام، ص32.

هنـاك إشارات يمكن أن ترسم بعض معالم شخصـيتها المتميزة ، ففي تاريـخ دمشق ورد أنها ولـدت قبل عام الفيل بخمس عشـرة سـنة ، و يحدد بعض المؤرخين ولادتها بأنها سنة 68 قبل الهجرة، و قد فتحت فتحت أم فاطمة الزهراء عليها السلام بصرها في بيت مجد و سؤدد، و رياسة، و نشأت على الأخلاق الحميدة واتصفت بالحزم و العقل و العفّة.

لقـد كان بيت النبي محمـد صـلي اللَّه عليه و آله و سـلم و خديجـة الكبرى عليها السـلام واحة من الدعة و الاسـتقرار و الطمأنينة، و كانت حياتهما أنموذجاً رائعاً للحياة الزوجيـة التي يريـدها اللَّه عز وجل لخير خلقه و لمن اقتـدى به. من هنا بدأ رسول اللَّه صـلي اللَّه عليه و آله و سلم من عائلته الصـغيرة ثورة التغيير، بإنشاء نواة الأسـرة المؤمنة المتكوّنة من علي عليه السلام و خديجة عليها السلام و زيد، من ابن عمه و ساعده الأيمن، و خديجة عليها السـلام زوجته الوفية الصابرة، بهذه الأسـرة شاءت القدرة الإلهية أن يشق النبي صـلي اللَّه عليه و آله و سلم العظيم مجرى التاريخ، و أن يفتح طريقاً وسط التيار. وأن يقاوم بتلك الأسـرة الانحراف، و أن يحدث منها موجاً هادراً يتحول شـيئاً فشيئاً إلى تيار جارف للوثنية و الجاهلية.(1)

ذكر المؤرخون أنّ رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم و منذ السابعة و الثلاثين من عمره الشريف أخذ يتهيأ لتلقي مسؤولية الرسالة، فكان يتحنّث شهراً من كل

1- محسن باقر القزويني، علي بن أبي طالب عليه السلام رجل المعارضة و الدولة، ص27.

سنة يأخذ معه أهله و لاسـيّما في السـنة التي تلقى فيها الوحي، فالنبي صـلي اللّه عليه و آله و سـلم كان يعمل على نقل أسـرته الكريمة من أجواء ذلك المجتمع الجاهلي إلى رحاب اللّه تعالى.

و قـد تشـربت نفس علي النامية كل العوامل الإيجابية من تعامل الزوجة المثالية (أم فاطمة عليها السـلام) مع عائلتها، و هو يشاهد بأم عينيه صور الحب و الإخلاص تتجسـد يومياً في تعامل أفراد أسـرته مع بعضـهم بعضاً أحبّ الرسول الأكرم صـلي اللّه عليه و آله و سـلم زوجه خديجة عليها السـلام و أحبته، و أخلص لها و أخلصت له، فلم يكن يرى في الدنيا من النساء من تعادل خديجة عليها السلام منزلة و حظوة فهي أول من آمن برسالته، و صدق دعوته، و بذلت ثروتها الطائلة في سبيل اللّه تعالى، و من أجل نشر الدعوة الإسلاميّة، فتحملت مع رسول اللّه عذاب قريش و مقاطعتها و حصارها.(1)

و في بيت رسول اللّه صـلي اللّه عليه و آله و سـلم بـدا علي الا مرحلة جديدة من حياته بانفصاله عن الأب و الأم و عن الأخوة و انضوائه في كنف ابن عمه وهو في السادسة، مهد السبيل إلى اتصاله المباشر بالنبع الأصيل الذي تولى تعليمه وتهذيبه.(2)

1- حسن السعيد، المرأة المسلمة هموم و تحديات، ص249.

2- محسن باقر القزويني، علي بن أبي طالب عليه السلام رجل المعارضة و الدولة، ص21.

و هكـذا توجهت مشاعر الأبوة لـدى محمـد نحو علي ابن عمه و أخيه و ولـده، و كذا الأمر مع مشاعر الأمومة لدى خديجة نحو علي فكان ابنها البار المتنسم خطاهما في السراء والضراء، لم يفارقها حتى مماتها.

وإن صـحت رواية أبي رافع،(1) في التحاق علي ببيت خديجـة الكبرى عليها السـلام منذ تأسـيس بيت الزوجيّة، فإنّ تربية فاطمة بنت أسـد عليها السلام و أبي طالب ليست بأقل أثراً من تربية النبي محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم و خديجة بنت خويلد ، ولكن ما يميزها أن النبي صلي اللّه عليه و آله و سـلم و زوجه قـد حُرمـا الصبي تلو الآـخر فعوضـا بـالصبي علي فتركّزت نحوه جـل رعايتهمـا وحبهما إياه، و كانت تربيتهما له تربيـة و تهيئـة للإسـلام و دوره المسـتقبلي فيه و لـدينا أن هـذه الرواية أقرب إلى حقيقة الأمور و مساراتها اللاحقة، في اصـطفاء محمد صـلي اللّه عليه و آله و سـلم لعلي عليه السلام لأوجه منها : إنّ الإمام عليّاً عليه السلام أكد في خطبه المشهورة مراراً ملازمته للنبي اللّه صـلي اللّه عليه و آله و سلم منذ الولادة حتى الوفاة من دون مفارقة، و لو كانت هناك حقائق أخرى لهذا الاصطفاء لأشار إليها الإمام في كلامه و خطبه.

1- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب/ 2، ص205.

فضـلا عن ذلك فإنّ النبي محمداً صلي اللّه عليه و آله و سلم كان بحاجة فعلية بعد زواجه بخديجة عليها السلام إلى من يكون معه من بيت أبي طالب عائلته الأصل التي ربّته و أغـدقت عليه حنانها و رعايتها الكبيرة، فكان أخذه لعلي عليه السـلام عن سـبق تدبير عاش النبي محمد صلي اللّه عليه و آله و سـلم و علي مع خديجة الكبرى عليها السـلام أربعاً و عشـرين عاماً و بضـعة شـهور، هي مدة زواجهما المبارك،(1) وكانت هـذه الأسـرة المثاليـة واحـة الفضـيلة في صـحراء الجاهلية وبحبوحة السـعادة في دنيا الشـقاء آنذاك يعمرها الحب ويشد أواصـرها الإخلاص.(2)

و قـد اسـتمرَّ هـذا الحب و الوفـاء والإخلاص حتى بعـد موتها، و لم تسـتطع أي من زوجاته أن تحتل مكانها في نفسه وهو القائل فيها: (ما أبـدلني اللّه خيراً منها، كانت أم العيال، و ربة البيت، آمنت بي حين كذبني الناس، و واسـتني بمالها حين حرمني الناس، و رزقت منها الولد وحرمت من غيرها).(3)

و هكذا تشارك هؤلاء الثلاثة السكن و اللقمة الهنية و نور الإيمان، فبزغ نور الإسلام في قلوب الثلاثة (محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم، و خديجة عليها السلام، و علي عليه السلام) في آن

1- محمد جواد مغنية، فضائل الإمام علي، ص17.

2- موجز، ص12.

3- موجز، ص104.

فقد بعث النبي صـلي اللّه عليه و آله و سـلم يوم الاثنين وصـلى علي يوم الثلاثاء فكانت خديجة عليها السـلام و علي عليه السـلام أول من أسلما، و صلى مع النبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم.(1)

و عن أنس بن مالك قال: بعث النبي صـلي اللَّه عليه و آله و سـلم يوم الاثنين و أسلمت خديجه عليها السلام في آخر ذلك اليوم وأسلم علي عليه السلام يوم الثلاثاء.(2)

و كانت الحياة الزوجية تسير موفقة هادئة، و كان رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم قبل البعثة يقسم وقته بين بيته و تجارته و عبادة ربه، و كان يـذهب إلى غار حراء للتعبـد و التأمل و التفكير و لايعلم بهـذا الحال إلا رفيقه الإمام علي عليه السـلام و زوجه ورفيقة الدرب خديجة الكبرى عليها السلام.(3)

و حتى هنا، فإنّ الأم وربـة البيت خديجة عليها السـلام تضـرب مثالاً في التضـحية فما كانت لتضـيق بهذه الخلوات التي تبعد عنها زوجها محمد صـلي اللَّه عليه و آله و سلم و ولدها علي عنها أوقاتاً طويلة ، و لاكانت تتدخل في شؤونه أو تقطع عليه صفو تأملاته بل هيأت له كل أسباب الراحة ووسائل الاستقرار النفسي و الهدوء

1- في قول للإمام علي عليه السلام: لقد عبدتُ الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة سبع سنين، و قوله: كنت أسمع الصوت و أبصر الضوء سنين سـبعاً و رسول اللَّه صـلي اللَّه عليه و آله و سلم حينئذ صامت ما أذن له في الإنذار و التبليغ. للمزيد ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة/ ج1، ص41 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ / ج1، ص546.
2- سعيد أبومعاش / ج1، فضائل أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في القرآن الكريم، دارالمودة، مطبعة اعتماد، ط1، ص32.
3- حسن السعيد، المرأة المسلمة، ص250.

و الطمأنينة و الاطمئنان.(1) بل أنّ علياً عليه السلام كان يحمل لرسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم أيام التحنّث الزاد و الماء من بيت خديجة الكبرى عليها السلام إن لم تحمله الخادم، فكانت خديجة عليها السلام و كان عليّ عوناً للنبي صلي اللّه عليه و آله و سلم على تعبده إلى اللّه عز وجل.(2)

إن تشابك هذا الثلاثي الإيماني و تماسكه كان على أشده قبل علانية الدعوة و بعدها، فها هم يعلنون ارتباطهم الروحي و القلبي و الوجداني أمام بيت اللّه الحرام في صلاة جامعة ما كانت تعرفها العرب وقريش من قبل ففي موقف متواتر يذكر لنا عفيف الكندي ما حضره وشهده بالقول: -

كنت امرءاً تاجراً فقدمت مكة أيام الحج، فأتيتُ العباس فبينما نحن عنده إذ خرج رجلٌ فقام تجاه الكعبة يُصلي ثم خرجت امرأة تُصلي معه ثم خرج غلام فقام يصلي معه، فقلت يا عباس ما هذا الدين. فقال: هذا محمد بن عبداللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم ابن أخي ، زعم أن اللّه أرسله و أن كنوز كسرى و قيصر ستفتح عليه و هذه امرأته خديجة عليها السلام آمنت به و هذا الغلام علي ابن أبي طالب عليه السلام آمن به، و أيم الله ما أعلم على ظهر الأرض أحداً على هذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة، قال عفيف: ليتني كنتُ رابعاً.(3)

1- غادة الخرسا، ص118.

2- جاء في أعيان الشيعة ج1، ص373 نقلاً عن: محسن باقر القزويني، علي بن أبي طالب عليه السلام رجل المعارضة والدولة ، ص28.

3- ابن الأثير، الكامل في التاريخ / ج2، ص57.

إنّ سبق الوالدة و الولد هنا في إجابة دعوة الأب للدين الجديد أمر مسلم به ، فلقد سبقت خديجة بنت خويلد عليها السلام جميع الخلق في إجابتها و تصديقها و مؤازرتها للزوج الحبيب،(1) و كذا كان سبق علي للإيمان بدعوة البشير النذير، قال أبونعيم في حلية الأولياء: «إن قوله تعالى: و اركعوا مع الراكعين، نزلت في رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم و علي خاصة، و هما أول من صلى و ركع» و في سنن ابن ماجه و تفسير الثعلبي أن علياً عليه السلام صلى مع النبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم مستخفياً سبع سنين و أشهراً. و في تاريخ الطبري أن علياً عليه السلام قال: أنا عبداللَّه و أخو رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم، و أنا الصدّيق الأكبر لايقولها بعدي إلا كاذب مفتر، صليت مع رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم سبع سنين.(2)

و قال ابن عباس: لعلي أربع خصال ليست لأحد غيره، و ذكر منها أنه أول عربي و عجمي صلى مع رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم.(3)

وكان رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم إذا حضرت الصلاة - و هي تعبد قبل أن تفرض الصلاة ليلة الإسراء خرج إلى شعاب مكة ، و خرج معه علي بن أبي طالب عليه السلام فيصليان ، فإذا أمسيا، رجعا... فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا.(4)

1- محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي عليه السلام، ص47.

2- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ص247.

3- المحب الطبري، الرياض النضرة / ج2، 1953، ص208.

4- عبدالرحمن الشرقاوي، علي إمام المتقين عليه السلام/ ج1، ص17.

ثم إن أباطالب سأل علياً عليه السلام و قد و جده يصلي: "ما هذا الدين الذي أنت عليه؟!" فقال: "يا أبت آمنت باللّه و رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم و صدقته بما جاء به و صليت معه اللّه و اتبعته" فقال له: "أما إنه لم يدعك إلا إلى خير، فالزمه". و هكذا كان حال فاطمة بنت أسد عليها السلام التي كانت أول امرأة تسلم بعد أم المؤمنين خديه، و تبعهما ابنهما جعفر عندما أمره والده بالصلاة على يسار النبي و قد و جده يصلي و علي على عليه السلام يمينه بالقول: «صل جناح ابن عمك».(1)

إنّ القارئ لمواقف النجوم المحمدية و العلوية في بيت النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم و الوصي، يصل إلى نتيجة خلاصتها، إن كلا البيتين بيت واحد و الأسرتين أسرة واحدة، تشابهت و تناظرت في كل الأمثال و الأقوال و المواقف المبدئية و وقوعها تحت ذات الشدائد و المحن، لقد أعانت أم الإمام علي عليه السلام فاطمة بنت أسد عليها السلام ولدها على طاعة ربه، لأنها قد أسلمت بعد خديجة عليها السلام، بل أن أباه قد أعانه على اتباع ابن أخيه محمد صلى اللّه عليه وآله و سلم . و كذلك أخوه جعفر الطيار ذوالجناحين السابق إلى الإسلام و الهجرة و المبايعة، فإذا أضيف إلى ذلك أن علياً عليه السلام قد عاش في بيت النبوة صلي اللّه عليه و آله و سلم مع خير البرية و مع خير النساء خديجة بنت خويلد عليها السلام، و رأى ما لم يره غيره، و سمع

1- عبدالرحمن الشرقاوي، علي إمام المتقين عليه السلام، ج1، ص8.

ما لم يسمعه سواه و هو في سنوات التكوين و الحداثة، فوعى ما رأى و سمع، و أشرب حب اللّه و رسوله صلي اللّه عليه و آله و سلم منذ نعومة أظفاره و عليها درج(1) فأضحى كما قال فيه رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم: «أشبهت خُلقي و خَلقي».(2)

و سنرى الأسرتين تعود لتصبح أسرة واحدة و العائلتين يلتئم شملهما ثانية على سفوح شعب أبي طالب في حصار دام ثلاث سنوات قاست فيه عائلة علي ابن أبي طالب عليه السلام الأصلية و البديلة معاً أقسى أنواع المحاصرة و التضييق الاجتماعي و الاقتصادي و النفسي في معركة خاضتها هذه العائلة المندمجة و المنصهرة في حب اللّه و رسوله و دعوته من دون غيرها من أسر مكة.

تجمع مسلمو بني هاشم في شعب أبي طالب ليوفروا الحماية للرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم و دعوته، و مع استمرار الحصار لثلاث سنوات، حتى اضطر المحاصرون في بعض الأيام أن يقتاتوا على حشائش الأرض فهزلت أجسامهم و هدت قواهم، وزادت قريش من حلقة الحصار فضاعفت المحنة على بني هاشم، فكانت هذه السنوات هي آخر أيام قضاها الإمام علي عليه السلام مع والده أبي طالب و والدته الثانية أم فاطمة الزهراء عليها السلام خديجة عليها السلام، و قد كانت أيام الحصار لعلي بوصفها معسكراً للفتوة وإثبات الجدارة في تحمل

1- محمد بكر إسماعيل، فقيه الأمة و مرجع الأئمة علي من أبي طالب عليه السلام، الناشر شهاب الدين، المطبعة كلها، قم -ايران ، ط1، 1427 ه_ -2006م. ص34.

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة/ ج1، ص53.

المسؤولية، إذ قضى في الشعب أفضل مدد الشباب، إذ دخلها و عمره سبع عشرة عاماً، و خرج منها و عمره عشرون عاماً،(1) فكانت تجربة جديدة في حياته عودته على الفداء بامتثال أوامر والده أبي طالب في أن يبيت في مكان رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم و إيهاماً لقريش و إحباطاً لخططها في القضاء على النبي المصطفى صلي اللَّه عليه و آله و سلم. أو في خروجه من الشعب ليلاً إلى مكة سراً ليأتي بالطعام.(2)

إلا ـ أن أيام الحصار كانت أشد وطأة على أم المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام، لقد خرجت من بيتها لتنضم إلى بني هاشم، و قد جاوزت الستين من عمرها و عادت إلى بيتها بعد ثلاث سنوات عجاف نالت منها كثيرا من المتاعب و المصاعب، فلزمت فراشها حتى حم القضاء فأسلمت روحها الطاهرة إلى خالقها في العام الذي خرجت فيه من حصار شعب أبي طالب، و قيل إنها ماتت بعد ثلاثة أيام من موت أبي طالب فكان ذاك العام عام الأحزان للنبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم و آل بيته و المؤمنين.(3)

وبوفاة خديجة عليها السلام لها فقد النبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم الحبيب و العون و المواسي، وفقد علياً عليه السلام الأم الرؤوم التي رعته سنوات ترعرعه و نماه ورفيقة درب إيمانه و سبقه و صلاته، حقاً إنه عام الأحزان فقد الإمام علي عليه السلام فيه أحب الناس

1- محسن باقر القزويني، علي بن أبي طالب عليه السلام رجل المعارضة والدولة، ص41.

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة/ ج13، ص256.

3- حسن السعيد، المرأة المسلمة هموم و تحديات، ص251.

إلى قلبه و أكثرهم عطفا عليه والده أبي طالب و والدته -أمه الثانية خديجة بنت خويلد عليها السلام.

لقد كانت خديجة عليها السلام لها تنثر العطاء، في كل الاتجاهات، و تبذر القيم أنى حلّت، و تواصل الدرب الصعب على الرغم من فداحة الخطب و وعورة المسلك، بنكران مميز للذات حتى أتتها بشارة السماء على لسان جبريل عليه السلام ببيت في الجنة من قصب لانصب فيه و لاصخب.

إن وفاة سيدة المؤمنات و سابقتهن إلى الإسلام خديجة عليها السلام التي شهد لها الرسول الأعظم صلي اللّه عليه و آله و سلم بالكمال بين النساء،(1) كانت خسارة فادحة لعلي بن ابي طالب عليه السلام، فقد تركت فراغاً في حياته ما كان لأحد أن يسده إلا امرأة من جنس خديجة عليها السلام بل ثمرة فؤادها، و ابنتها الحميمة و الأثيرة، فاطمة الزهراء عليها السلام التي رافقت الإمام في سني شبابه، وغدت خديجة عليها السلام في البال أماً و أم زوجة، حري أن يفاخر بها الإمام على العالمين، مصداقاً لقول الرسول الكريم له مراراً : «يا علي لك أشياء ليست لي، ... و لك مثل خديجة عليها السلام أم أهلك و ليس لي مثلها حماة ...».(2)

1- بن شهر آشوب، مناقب يل أبي طالب/2، ص194.

2- مريم فضل اللّه، المرأة في ظل الإسلام، ص143.

فاطمة الزهراء عليها السلام... أغلى الفواطم

في الخلق ذرى ، و في الروح سنى...

هي بضعة النبي المصطفى صلي اللّه عليه و آله و سلم و زوج الوصي المرتضى...

البتول فاطمة الزهراء عليها السلام، أغلى الفواطم التي خطت بأثرها في صفحة حياة الإمام علي عليه السلام، و بآصرة القرب منها كان يفتخر بالقول: «ألا أخبرك عني و عن فاطمة عليها السلام؟ كانت ابنة رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم و أكرم أهله عليه، و كانت زوجتي، فجرّت بالرحى حتى أثرت في يدها، و استقت بالقربة حتى أثرت في نحرها، و قمّت البيت حتى أغبرت ثيابها، و أوقدت تحت القدر حتى (دنست ثيابها) و أصابها من ذلك ضرّ».(1)

و فاطمة عليها السلام بنت محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم هي المرأة العظيمة التي لولاها لما خلق اللّه السموات و الأرض و لولاها لما خلق اللّه الأنبياء و الأوصياء، إذ قال عز من قائل كما في الحديث القدسي الشريف مخاطباً نبيه الكريم: «يا أحمد صلي اللّه عليه و آله و سلم لولاك لما خلقت الأفلاك، و لولا علي عليه السلام لما خلقتك، و لولا فاطمة عليها السلام لما خلقتكما».(2)

1- سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص/ ج2، ص338. رواه الشيخ الصدوق في الباب 88 من علل الشرائع ص366 ؛ و رواه أبو نعيم في ترجمة فاطمة الزهراء عليها السلام العالم من حلية الأولياء2/ 41 رقم 133، و رواه الطبراني في الحديث 235 من كتاب الدعاء ص95.

2- محمد جواد مغنية، حياة الصديقة فاطمة عليها السلام، ص9.

و هـذه العلاقـة السـببية التي أوجـدها الخالق عز وجل في حتمية الوجود، و في الخلق يظهر الضـرورة الإلهية في خلق فاطمة الزهراء عليها السلام و جعلها حلقة الوصل ما بين النبوة صلي اللّه عليه و آله و سلم و الإمامة ، فكانت الزهراء عليها السلام ليكونا.

و مولاتنـا سـيدة النسـاء هي قرّة عين أبيهـا المصـطفى صـلي اللّه عليه و آله و سـلم، و هي من بعـد ذلـك قرّة عين بعلهـا علي عليه السـلام المرتضـى، و مثلما كان علي بن أبي طالب عليه السلام في عين النبي محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم منذ أبصر النور، هكذا كانت فاطمة عليها السلام بنت محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم في عين علي عليه السلام منذ أبصرت النور.

ففي بيت النبوة ترعرعا معاً تحت وارف ظل النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم و رعاية زوجه خديجة الكبرى عليها السلام، و لما كانت فاطمة عليها السـلام هي أصـغر أبناء الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم و أحبهم إليه، و لم يكن يرى غيرها منزلة عنده، كذلك كانت فاطمة عليها السلام في عين علي و وجدانه أحب الخلق إليه بعد والدها، و لم ير من النساء ما تعادلها محبة و منزلة في قلبه.

و لسوف نكتشف عوالم علي عليه السلام و الزهراء عليها السلام مفصلة في فصل لاحق، ولكن هنا لابد من ذكر إضاءات تشرق على أذهاننا و نحن نتصفح زوايا آصرة الود و التكامل ما بين هذين المخلوقين المنزهين المطهرين من الرجس، ما بطن منه و ما ظهر.

الإضاءة الأولى: تذكر لنا أنّ أباطالب اللا لم يقترن بغير فاطمة بنت أسد عليها السلام أم الإمام علي عليه السلام، و لم يقترن محمد الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم بغير خديجة عليها السلام

بنت خويلد أم المؤمنين لها، و لم يشرك امرأة أخرى في حياته طوال سني عمرها المبارك، و هكذا كان الحال لدى الإمام علي عليه السلام الذي لم يتزوج بغير فاطمة الزهراء عليه السلام الا حتى فارقت الحياة بظلامتها الشهيرة.

إنّ هذا التكامل و الاندماج الكلي مع النصف الآخر أمر محمود و نادر، يكاد يفتقد في العديد من العلائق الزوجيّة و يبعد العلائق الأسرية -إن افتقدته- عن الاستقرار و الطمأنينة. لذا غدا شخص علي عليه السلام و فاطمة عليها السلام بعد اقترانهما السماوي -الأرضي، يمثل الامتداد الطبيعي للنبوة صلي اللّه عليه و آله و سلم، وبيتهما بيت الرسالة و هما مع والدهما النبي المصطفى صلي اللّه عليه و آله و سلم، و ولديهما الحسن و الحسين عليهما السلام (آل البيت عليهم السلام) الذي أذهب الله عنه الرجس وطهرهم تطهيرا.

فأظهر بيت الإمامة (بيت علي و فاطمة عليهما السلام) أفضل و أبهى مزايا و ظروف الأسرتين، أسرة النبي محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم و علاقته مع زوجته أم فاطمة عليها السلام، و أسرة أبي طالب و علاقته مع زوجته فاطمة بنت أسد عليها السلام، أم علي عليه السلام.

الإضاءة الأخرى : إنّ الإمام عليّا عليه السلام عندما أطل على الدنيا، باركت السماء إطلالته و هيئت لها كل المسببات الإعجازية ، و هكذا كان الأمر مع إطلالة الزهراء عليها السلام على دنيا الوجود متناظرة مع مسببات ميلاد الوصي اللا إعجاز في التكوين و التشكيل و الظهور، و ما قبل الظهور.

فقد أجمعت المصادر التاريخيّة على أن فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تحدث أمها خديجة الكبرى عليها السلام و هي في بطنها مواساة و تأسياً لها عن مفارقة المجتمع المكي لها.

و يظهر الإعجاز الآخر جلي الوضوح و البرهان، في منع اقتران علي و الزهراء عليهما السلام من أحد آخر، فكان زواجهما أمراً رتبته العناية الإلهية بحذافيره، كما جاء على لسان الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم، إن فاطمة عليها السلام زوجت من علي عليه السلام في السماء قبل الأرض.

و سنذكر بالتفاصيل، جزءاً يسيراً مما حفلت به كتب السير عن ذكر تفاصيل هذا الزواج و دقائق حياة الإمام علي عليه السلام مع أغلى الفواطم وعناية والدها بتجهيزها و إيثاره إياها من دون الآخرين، في متابعة تأثيث بيت الزوجية و نوع المقتنيات و ملازمته إياهما لإرشادهما مبادئ المعاملة الأسرية و الزوجية منذ ليلتهم الأولى و رعايته لهذه الأسرة المحمدية حديثة التكوين و رعايته لها حتى آخر يوم من عمره الشريف.

فأضحى هذا البيت و أهل هذا البيت، هم أهل بيت النبي صلى اللّه عليه و آله و سلم أعلام الهدى و الرشاد، و أئمة المتقين جميعاً ، و الرسول الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم فَرَطهم على الحوض يوم القيامة ، ليسقي المؤمنين و المؤمنات من جرعة لكل واحد منهم لا يظمأ بعدها أبداً .

لقـد تمازجت روح الإمام علي مع روح الزهراء عليهما السـلام في الـدنيا والآخرة، فحبهما وحب والدهما وولديهما علامة الإيمان والنجاة من النار، وإذا كان علي بن أبي طالب عليه السـلام قسيم الجنة و النار، فإنّ فاطمة الزهراء عليها السلام تشفع يوم القيامة مدّ بصرها فيمن شاء اللَّه عز وجل أن تشـفع له، وإنها لخير نساء أهل الجنة في أعلى عليين مع أمها خديجة الكبرى عليها السـلام أكمل النساء إيماناً و أصدقهن يقيناً، و هي بضـعة خير خلق اللَّه و خاتم رسـله صـلى اللَّه عليه و آله و سلم. و هذا ما سنتناوله باستفاضة في الفصل اللاحق. بعد أن نعرج على فاطمة أخرى عليها السـلام في حياة الإمام علي عليه السـلام، فمن دون كل الزوجات اللواتي اقترن بهن الإمام بعد وفاة مولاتنا سـيدة نسـاء العـالمين، تظهر لنا السـيرة العطرة لسـيدة جليلـة مميزة هي أم البنين (فاطمـة بنت حزام) أم بطل الشـريعة أبي الفضل العباس عليهما السلام. فلماذا هذه الزوجة بالذات التي حظيت بكل هذه المكانة الرفيعة بين أزواج علي عليه السلام؟

هذا ما سنتحدث عنه في الصفحات اللاحقة.

ص: 83

علي و أم البنين عليهما السلام... فاطمة أخرى

يحق لي أن أطلق على مولاتنا أم البنين عليها السلام لقب (المظلومة) سرداً و تاريخاً، فهذه السيدة الجليلة ذات المأثرة العظيمة لا تذكرها المصادر إلا بالنزر اليسير أو أقل من ذلك!! و لايعرف سبب هذا التغافل أو التجاهل حقاً إلا أن تاريخنا الإسلامي كان ملكاً للحكومات الظالمة الجائرة.(1)

و الحق أنّ هذه السيدة الجليلة لو لم يكن لها من المآثر إلا تضحيتها بأولادها الأربعة لكفاها فخراً و عزاً و ذكراً مدى الدهر، فكيف و هي زوج الوصي علي المرتضى عليه السلام و والدة بطل الشريعة أبي الفضل العباس عليه السلام؟

1- محمد اليعقوبي، انتصاراً لأم البنين عليها السلام -هل كان للخنساء أربع أولاد استشهدوا في معركة القادسية؟ مركز الإمام المهدي عج الله فرجه الشريف للدراسات الإسلامية، النجف الأشرف، 1424هـ - 2003م، ص46. يتناول المؤلف في كتابه هذا بالبحث والتقصي والتفسير لماذا تجاهل التاريخ مأثرة أبناء أم البنين عليها السلام لها الشهداء الأربعة في معركة الطف الخالدة الذين ضحت بهم دون أخيهم الإمام الحسين عليه السلام. و سلطت الأقلام الضوء مركزاً على تضحية الخنساء بأولادها الأربعة في معركة القادسية و يخلص إلى نتيجة مفادها أن هذه الرواية موضوعة وأنها لا أساس لها من الصحة من خلال مناقشة السند ورجاله والمتن ورواته.

أما اقترانها بالإمام علي عليه السلام فحدث تذكره الكتب ولكن باقتضاب. فعلي عليه السلام لم يتزوج في حياة فاطمة الزهراء عليها السلام كما ذكرنا من قبل حتى توفيت عنده.(1) ثم تزوج بعدها أم البنين عليها السلام و هي (فاطمة بنت حزام الكلابية) مع زوجات أُخريات تتفاوت الروايات في عددهن.

و قد اختلف المؤرّخون في عدد النساء اللاتي تزوجهن الإمام علي عليه السلام اختلافاً كثيراً، فابن أبي الحديد يذكر في كتابه (نهج البلاغة) إنه تزوج بعد فاطمة رضي اللّه عنها ست نسوة، و يذكر الشبلنجي في كتاب (نور الأبصار) أنهن سبعة، أما المقريزي في كتابه (اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا) أنهن ثمانية و هو ما قاله الطبري في (تاريخ الأمم والملوك).(2) و يزيد ابن شهر آشوب في عددهن إلى تسعة مع ذكر أسمائهن وأولادهن وأنسابهن.(3)

و يذكر المؤرخون أنّ الإمام علي عليه السلام عندما أراد الزواج بعد وفاة الزهراء عليها السلام الاسأل أخاه عقيل بن أبي طالب أن يختار له امرأة بعينها و صفاتها، و كان عقيل يعد واحداً من أربعة من قريش عالماً بالأنساب

1- ابن الأثير، الكامل في التاريخ -ج3، ص245.
2- محمدبكر إسماعيل، فقيه الأمة و مرجع الأئمة علي بن أبي طالب عليه السلام، ص81.
3- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب - 3، ص349.

و الأخبار، و هو من الثقات في معرفة الأنساب لذلك استشاره في الأمر.(1)

فقد روي أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قال لأخيه عقيل: «...انظر إلى امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب...».

فقال له: تزوج أم البنين الكلابية عليها السلام، و اسمها فاطمة بنت حزام عليها السلام، و كانت عالمة...(2)

و في روايـة أخرى مماثلة، روي أن أميرالمؤمنين عليها السـلام لاقال لأخيه عقيل... «انظر إلى امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلـد لي غلاماً فارسا». فقال له: تزوج أم البنين الكلابية عليها السـلام، و اسـمها فاطمة بنت حزام ، و كانت عالمة... فتزوجها أميرالمؤمنين عليه السلام، فولدت له العباس و جعفر و عبداللّه و عثمان... فكلهم قتلوا في نصرة الحسين عليه السلام.(3)

وبعض المصادر تذكر اسم ابنها الأخير عثمان باسم آخر (عبدالرحمن).(4) و لابقية لهم غير العباس.

1- أبوعثمـان عمر بن بحر الجاحظ (255 هـ)، البيان و التبيين، تحقيق و شـرح عبدالسـلام محمـد هارون، مكتبـة المثنى ببغداد و مكتبة الخانجي بمصر ط2، 1960، ص323.

2- علي الأحمدي الميانجي، عقيل ابن أبي طالب، تحقيق و مراجعة مجتبى فرجي، دارالحديث للطباعة و النشـر، ط1، إيران - قم/ بيروت -لبنان، 1420هـ، ص33.

3- أبوالفرج علي بن الحسـين بن محمد الأصفهاني(356هـ)، مقاتل الطالبيين، تحقيق: أحمد صـفر، قم، انتشارات الشريف الرضي، ط1، 1405 هـ، ص90.

4- محمدبكر إسماعيل، فقيه الأمة...، ص83.

وإذا كان اسمها (فاطمة بنت حزام عليها السلام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد)(1) من بني كلاب، فإنّ لقبها أم البنين (الأربعة) قد غلب على اسـمها فاطمة، و أصحاب السير يرون موقفاً مبكراً لإيثار هذه المرأة المسلمة العظيمة الشأن، إذ يذكر أنها طلبت من الإمام علي عليه السلام بعد زواجه منها أن لاياديها باسـمها (فاطمة) مجرداً في البيت!؟ و عندما سألها أميرالمؤمنين عليه السلام عن السبب وراء طلبها هذا، قالت له صادقة: أنها ترى الأسى والتوجع في عيون أولاد الزهراء عليها السلام؛ لأنّ اسم والدتهم يطرق سمعهم فيجدد أحزان فراقها لهم.

إيثار وأي إيثار من زوجة جديدة، و محبّة ورعاية تغدقها على أولاد (ضـرتها)، و لقد بقيت خصلة الإيثار هذه ملازمة لفاطمة عليها السلام أم البنين طوال عمرهـا وحتى بعـد استشـهاد الإمـام على عليه السـلام، و من لايسـتذكر بفخر و تأثر موقفها الجميل - الجليل يوم رجوع ركب الحسين الا إلى المدينة المنورة بعد واقعة الطف الأليمة.

إنّ النظريـة الإسـلامية ترى أن الأسـرة تمثل وحدة رئيسة ومركزية في بناء المجتمع، و لايمكن أن يبنى المجتمع الصالح و يتكامل من دون بناء الأسرة الصالحة.(2)

1- يذكر المفيد في الإرشاد، ص186: (إن أم البنين بنت حزام بن خالد بن دارم).

2- محمـدباقر الحكيم، الزهراء عليها السـلام -أهداف. مواقف. نتائج، مؤسـسة تراث الشـهيد الحكيم، مطبعة العترة الطاهرة/ ط1، النجف الأشرف، 2006، ص36.

و بعض النسوة قـد يوفقن لأن ينهضن بـدور مهم في الجانب الأسـري و الجانب الجهادي و العقائـدي، و لقد وفقت (أم البنين فاطمة عليها السلام) زوجة الإمام في الرعاية المنزلية و في ترتيب وضع الأسرة و جعلها أسرة قوية صالحة متماسكة، فكانت أماً لبنيها الأربعة و من قبلها أماً لأولاد فاطمة الزهراء عليها السـلام، كيف لاتكون هكذا و قد اختارها الإمام علي عليه السـلام الا بعد تفحص و تدبر و اسـتشارة لتلد له فوارس و أبطال هيئوا جميعاً لموقف عظيم في كربلاء.

لقـد زرعت (أم البنين) في نفوس أولادها حب آل الرسول صـلي اللَّه عليه و آله و سـلم و طاعـة أولي الأمر منهم، أبيهم و من بعده أخوتهم الحسن والحسـين عليهمـا السـلام الاـ فكـانوا أطوع إليه من بنـانه في الجود بالنفس يوم عاشوراء و هو أقصـى غايـة الجود. و لقـد تلقت نبأ استشـهاد بنيها الأربعة، العباس و عبداللَّه و عثمان و جعفر في معركة كربلاء سـنة 61 هـ بقولها: (الحمـد للَّه الذي جعل أولادي فداء لأبي عبد الله الحسين عليه السلام)، و الحسين عليه السلام يعني رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم والإسلام فهم فداء عبدالله للإسلام.(1)

و لانغفل عن واقع حال الظرف المعاشـي الذي عاشـته هذه المرأة المؤمنة تحت كنف أميرالمؤمنين عليه السلام و قد لازمته طوال حياته في أقسى الظروف الاجتماعية و السياسية التي حفلت بها أيام الإمام يوماً بيوم، قال

1- محمد اليعقوبي، انتصاراً لأم البنين عليها السلام، ص44.

العقاد في كتابه عبقرية الإمام: «أما معيشة علي عليه السلام في بيته بين زوجاته و أبنائه فمعيشة الزهد و الكفاف، و أوجز ما يقال فيها أنه كان يتفق له أن يطحن لنفسه، و أن يأكل الخبز اليابس الذي يكسره على ركبته، و أن يلبس الرداء الذي يرعد فيه، و أن واحداً من رعاياه لم يمت عن نصيب أقل من النصيب الذي مات عنه، و هو خليفة المسلمين».(1)

لقد سكنت زوج الإمام في بيته في المدينة مع زوجاته و أولاده و أحفاده، و لما بويع الإمام بالخلافة، و انتقل إلى الكوفة أبى أن ينزل القصر الأبيض المعروف بقصر الإمارة إيثاراً للخصاصة التي يسكنها الفقراء، و لم يبن آجرة على آجرة، و لا لبنة على لبنة، و لا قصبة على قصبة.(2) و كان أهل بيته عليهم السلام معه تحكمهم فضائله و خصاله الإسلامية الرفيعة، فهم أولى الناس باتباعها وانتهاجها.

كان الإمام علي عليه السلام يصوم و يطوي و يُوثر بزاده، و فيه أنزل الباري عز وجل: «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا».(3) و روى المفسرون أنه لم

1- محمد جواد مغنية، فضائل الإمام علي عليه السلام، ص41. (نقلاً عن عبقرية الإمام للعقاد و أسد الغابة إبن الأثير).

2- المصدر السابق.

3- سورة الإنسان: 9، 10.

يكن يملك إلا أربعة دراهم، فتصدق بدرهم، فتصدق بدرهم ليلاً و بدرهم نهاراً و بدرهم سراً و بدرهم علانية،(1) فأنزل فيه: «الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةٌ».(2) و هو الذي كان يكنس بيوت الأموال و يصلي فيها، و هو الذي قال: يا صفراء، ويا بيضاء غري غيري، و هو الذي لم يخلف ميراثاً، و كانت الدنيا كلها بيده إلا ما كان من الشام.(3)

فعلي بن أبي طالب عليه السلام سيد الزهاد في الدنيا، و أهل بيته عليهم السلام أولى باتّباعه في طبعه و طباعه، و هو الذي ما شبع من طعام قط، و كان أخشن الناس مأكلاً و ملبساً، قال عبداللّه بن أبي رافع: دخلت إليه يوم عيد، فقدم جراباً مختوماً، فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً، فقدم فأكل، فقلت: يا أميرالمؤمنين عليه السلام، فكيف تختمه ؟ قال: خفت هذين الولدين أن يُلتاه بسمن أو زيت.(4)

إن عدالة الإمام علي عليه السلام في سيرته الدنيوية بين العباد، كانت امتداداً لتطبيقه عدالته في محيط أسرته وعائلته ما بين زوجاته و أولاده، لذا يذكر لنا التاريخ أي واقعة أو حادثة تذكر لإحدى زوجات الإمام علي عليه السلام في

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ص47.

2- سورة البقرة: 274.

3- ابن أبي الحديد، في شرحه، ص47.

4- المصدر نفسه، ص50؛ محمد جواد مغنية، فضائل الإمام علي عليه السلام، ص42 و ما بعدها.

حياته أو بعـد مقتله و استشـهاده، تشـير إلى اختلافهن أو تنافسـهن أو عـدم رضاهن تحت أي ظرف حياتي يومي، ما يظهر بشـكل جلي أن تعامل أميرالمؤمنين عليه السلام مع نساء بيته قد جسدت خلاصة معالم الأسرة المسلمة في تماسكها و صونها لخصوصيات و دقائق أمورها العائلية.

إنَّ شدة محاسـبة الإمام علي عليه السلام لنفسه و خشيته من اللَّه تعالى، لاتعني قسوته و جفاف نبعه الإنساني في تعامله مع أهل بيته عليهم السـلام، كما قد يتوهم بعضـهم من المطلعين على سـيرته، فإن كان أبوتراب هو سيدالمتقين و العابدين، فلقد ضرب المثل في حسن خلقه، فكان بشر الوجه، مع طلاقة المحيا و التبسّم.(1)

ولكنّ أعـداءه عـابوا عليه ذلـك، و أرادوا الانتقـاص من هيبته في ذكر هـذه الخصـلة منه، قـال عمر بن العـاص لأهـل الشـام: «إنه ذو دعابة شديدة»،(2) فقال علي عليه السلام: «عَجَبًا لَابْنِ النّابِغَةِ يَزْعُمُ لَأَهْلِ الشّامِ أَنّ فِيّ دُعَابَةً وأَنّي امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ،(3) أُعَافِسُ(4) و أُمَارِسُ(5)».

1- الأنصاري، حياة أهل البيت عليهم السلام/ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ص232.

2- الدعابة: المزاح. لسان العرب: "دعب".

3- تلعابة: كثرة المزاح و المبالغة في اللعب.

4- المعافسة: المداعبة.

5- الممارسة: أريد بها هنا ملاعبة النساء.

و قد أخذها عمرو بن العاص عن عمر بن الخطاب؛ لقوله له لمّا عزم على الاستخلاف: «اللّه أبوك لولا دعابة فيك !».

و قال معاوية لقيس بن سعد: «رحم اللّه أباالحسن عليه السلام: «رحم الله أباالحسن عليه السلام، فلقد كان هشّاً بشّاً ذا فكاهة».(1) فقال قيس: «نعم، كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم يمزح و يبتسم إلى أصحابه، و أراك تسرُّ حسواً في ارتغاء(2) و تعيبه بذلك؟ أما واللّه لقد كان تلك الفكاهة و الطلاقة أهيب من ذي لبدتين قد مسّه الطوى ، تلك هيبة التقوى ، وليس كما يهابك طعام أهل الشام».

و علق ابن أبي الحديد بعد نقل الكلام السابق بقوله: «و قد بقي هذا الخُلق متوارثاً متناقلاً في محبيه و أوليائه إلى الآن، كما بقي الجفاء و الخشونة و الوعورة في الجانب الآخر، و من له أدنى معرفة بأخلاق الناس وعوائدهم يعرف ذلك».(3)

لقد ترك علي عليه السلام الا بعده زوجات عدّة، فبعضهن توفاهن اللّه عزّوجل إبّان حياته و كانت أم البنين فاطمة الكلابية عليها السلام ممن تركهن الإمام بعده،(4) فلم يتزوجن بعده، فكن بهذا الحال كحال زوجات النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم

1- الأنصاري، حياة أهل البيت السلام، ص233.

2- مثل يضرب لمن يُظهر أمراً و هو يريد غيره.

3- ابن أبي الحديد، شرح النهج...، ص25.

4- بن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب -3، ص351.

محمد صلى اللّه عليه و آله و سلم من أمهات المؤمنين، كما أن أم البنين عليها السلام كانت إحدى زوجات علي بن أبي طالب عليه السلام الحافظات لنسله الكريم بحفظ الباري لذرية العباس الا ابن الكلابية.(1)

وتبقى السيدة الجليلة مولاتنا أم البنين عليها السلام حافظة كذلك لكل ما يمت بصلة لزوجها وإمامها المرتضى عليه السلام، فلم تذكر المصادر أنها قد حدثت بحديث واحد نقلاً عن النبي صلى اللّه عليه و آله و سلم و آل بيت النبي صلى اللّه عليه و آله و سلم والإمام علي عليه السلام ، وأغلب الظن أنها كانت من النساء المؤمنات المخدرات النادرات الوجود في امتثالهن لتعاليم السماء، في حفظ أسرار بيوتهن، و أدائهن لدورهن المرسوم في حفظ العيال و تنشئتهم على أسس إسلامية إيمانية حقيقية، لذا لم نجدها قد أخذت تحدث وتحدث عن أدق تفاصيل حياتها مع الإمام على عليه السلام سبيل المثال!! بل أنها حفظت ذكرى أميرالمؤمنين عليه السلام حتى بعد استشهاده فكانت خير أم و معين و مناصرة لأسرته الشريفة المطهرة، فدفعت بأولادها الفوارس الأربعة تحت لواء أخيهم الحسين عليه السلام، و كانوا طوع يمينه، كما كانوا كذلك لأخيهم الأكبر الإمام الحسن عليه السلام الا بعد فقدانهم الأبيهم بمقتله، حتى أن السيدة زينب الكبرى عليها السلام رأتها شريكة لهم في المصاب بعد واقعة الطف وعودة السبايا إلى المدينة و قد منعت

1- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص246.

الدخول عليها لغيرها من النساء، بحسب ما تذكر الروايات الموثوقة.

إنّ كرامـة هـذه المرأة العظيمة من كرامة اقترانها بسـيد الأوصـياء و حسن تبعلها له، يضاف إليها موقفها المشـهود الذي لايغفل و لايندثر، و سيبقى ماثلاً أمد الدهر في أذهان المؤمنين، إن أم البنين فاطمة عليها السـلام بنت حزام الكلابية(1) بإيثارها و تفانيها في سبيل المبدأ، حين جعلت من أولادها، فلذات كبدها أضاحي تقدم واحداً تلو الآخر فداء لابن زوجها الإمام الحسـين عليه السلام، تضرب المثل الأعلى لكل امرأة مسلمة مؤمنة.

فأم البنين عليها السـلام في موقفها المشـرف هذا تمنحنا الدليل القاطع على أنها مؤمنة عالمة، و أن أبا عبداللّه عليه السلام هو ليس أخاً أكبر لأولادها واجب الطاعـة والامتثال فحسب، بل هو إمام يطاع، و التزامه واجب شـرعي و هـذا ما دأبت عليه و ما غذته لأبنائها في الحياة حتى الممات.

لقـد أصـاب أبوالحسن عليه السـلام يوم تخير بين النسـاء فاختار أم البنين فاطمـة عليها السـلام، لتنتمي إلى حلقـة النور من الفواطم اللائي عايشن أيام الإمام من المهد إلى اللحد.

1- عبدالحسين الأميني، الغدير -5، دارالكتاب العربي، بيروت، ط عام 1379 هـ، ص209.

الفَصْلُ الثاني علي و الزهراء عليهما السلام

إشارة

- قبل الزواج... بعد الزواج

- قبل وفاة النبي صلى اللّه عليه و آله و سلم... بعد الوفاة

ص: 95

قبل الزواج... بعد الزواج

قبل اقتران الإمام علي بالزهراء عليهما السلام كان سقف البيت الذي أظلهما سقفاً واحداً، هو سقف بيت الرسول الأكرم صلي اللّه عليه و آله و سلم.(1) فقد ربّى الإمام علي عليه السلام الا في حجر النبي الأكرم صلي اللّه عليه و آله و سلم و شهد مشاهده كلّها إلّا غزوة تبوك،(2) إذ أقام مع رسول الله صلي اللّه عليه و آله و سلم ثلاثا و ثلاثين سنة، عشر منها قبل البعثة، و ثلاث عشرة سنة بعدها، و عشر سنين في المدينة بعد الهجرة، و عاش بعد ما قبض النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم ثلاثين سنة إلا خمسة أشهر و أيام.(3)

و أمّا الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام، فأجمعت أحاديث أئمتنا المعصومين عليهم السلام و كذلك علماء السِّير في أن ولادتها المباركة كانت بعد النبوة المحمدية صلي اللّه عليه و آله و سلم لاقبلها، و هي أصغر بنات رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم.

قال أبوسعد الواعظ في كتاب شرف النبي بباب العشرين: إنّ جميع أولاد رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم ولدوا قبل الإسلام، إلّا فاطمة عليها السلام و إبراهيم عليه السلام فإنّهما ولدا

1- عبدالفتاح عبدالمقصود، في نور محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم... فاطمة الزهراء عليه السلام، تحقيق: شوقي محمد، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية - المعاونية الثقافية، مركز التحقيقات والدراسات العلمية، ط1، 1326 هـ ق، 2005 م، المطبعة خاتم، إيران - طهران. ص326.

2- محمد علي الأنصاري، أهل البيت عليهم السلام، ص225.

3- المصدر نفسه، ص211.

في الإسلام.(1) و هكذا اتفق الرواة على أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام كانت الصغرى في ذرية الرسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم وإن اختلفوا في تحديد السنة التي ولدت فيها، إلا أنه روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنها ولدت بعد النبوة صلي اللَّه عليه و آله و سلم بخمس سنين، أما الإمام علي عليه السلام فقد ولد قبلها بخمس عشرة سنة.(2)

و قد أقامت مع أبيها بمكة ثماني سنين، و بالمدينة عشر سنين، و أقامت مع الإمام علي عليه السلام الا بعد وفاة رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم خمسة و سبعين

1- سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص -الجزء الثاني، ص317 و ما بعدها، إذ يذكر أنّ ولادتها كانت قبل النبوة صلي اللَّه عليه و آله و سلم بخمس سنين و يستشهد بعدة مصادر منها: كما في ترجمتها من الطبقات الكبرى لابن سعد 19/8، و من الاستيعاب لابن عبد البر4 1899/ و سيد أعلام النبلاء للذهبي2/ 119 و في الإصابة لابن حجر 54/8. هذا وإن المشهور عند الإمامية أنها ولدت سنة خمس من المبعث بمكة في العشرين من جمادي الآخرة باب مولد الزهراء عليها السلام من كتاب الحجة من أصول الكافي للكيليني 1/ 458، وتاج المواليد للطبرسي ص21، و مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب3/ 405. و قيل: كان مولدها في سنة اثنتين من المبعث، فللمزيد ينظر: مسار الشيعة للشيخ المفيد ص31، و مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ص 793 وغيرها من المصادر. وإن كان المشهور من السيرة للزهراء عليها السلام أنها كانت تحدث أمها خديجة عليها السلام الا من بطنها وتصبرها عند حملها بها وبعد هجران نساء مكة لها كما في: شجرة الطوبى، لمحمد صلي اللَّه عليه و آله و سلم مهدي الحائري / ج2، ص247 و ما بعدها، و حياة الصديقة فاطمة عليها السلام، لمحمد جواد الطبسي، ص13.

2- محمد جواد مغنية، فضائل الإمام علي عليه السلام، ص21.

يوماً، و في رواية أربعين يوماً، و توفيت و هي بنت ثمان عشرة سنة و خمسة و سبعين يوماً.(1)

ويذكر بن شهر آشوب في مناقبه(2): ولدت فاطمة عليها السلام بمكة بعد النبوة صلي اللّه عليه و آله و سلم بخمس سنين، و بعد الإسراء بثلاث سنين، في العشرين من جمادي الآخرة، و أقامت مع أبيها بمكة ثماني سنين، ثم هاجرت معه إلى المدينة فزوجها من علي بعد مقدمها المدينة بسنتين، أول يوم من ذي الحجة، و روي أنه كان يوم السادس، و دخل بها يوم الثلاثاء لست خلون من ذي الحجة بعد بدر. و قبض النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم و لها يومئذ ثماني عشرة سنة و أشهر و عاشت بعده اثنين وسبعين يوماً، ويقال: خمس و سبعون يوماً، و قيل: أربعة أشهر، و قال القرباني: قد قيل: أربعون يوماً؛ و هو أصح.

و ولدت الحسن عليه السلام و لها اثنتا عشرة سنة. و توفيت ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة من الهجرة ومشهدها بالبقيع، و قالوا أنها دفنت في بيتها. وقالوا قبرها بين قبر رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم و بين منبره.(3)

1- سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، الباب الحادي عشر: ترجمة خديجة الكبرى و فاطمة الزهراء عليها السلام، ص369.

2- بن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب -3، فصل الزهراء عليها السلام في حليتها و تواريخها عليها السلام، ص405.

3- المصدر نفسه، ص406.

إنّ المهم في كلّ ما أوردناه ليس ذكر التواريخ و التثبت منها على الرغم من أهمية هذه المسألة -، ولكن المهم هو الاستدلال على حقيقة هي وحدة المناخ و البيئة التي تربّى فيها كلّ من علي و فاطمة عليهما السلام، ففي ذات المناخ الإيماني و العقدي سمت روحهما و تجرّدت ذواتهما من أدران الجاهلية وشوائبها، فتطهرا و اندمجا ليشكلا أهل البيت عليهم السلام الذي أذهب اللَّه عزوجل عنهم الرجس و الفواحش.(1)

في مناخ الإيمان و العقيدة نشأت فاطمة الزهراء عليهما السلام و ترعرعت في كنف أبيها الرسول الأعظم صلي اللَّه عليه و آله و سلم، و رعاية أمها خديجة أم المؤمنين عليها السلام

1- قوله تعالى: «إِنّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» سورة الأحزاب آية 33، و قد أجمع المفسرون أنها نزلت في الرسول الأعظم و علي و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام. رواه أحمد و الطبراني عن أبي سعيد الخدري والترمذي و الحاكم عن أنس في ذخائر العقبى 24 و المستدرك على الصحيحين3 / 158 و الصواعق المحرقة لابن حجر 85 قال: أكثر المفسرين على أنها نزلت في علي و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام. و سئلت عائشة رضي الله عنها عن أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقالت: و ما عسيت أن أقول فيه وهو أحب الناس إلى رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم، لقد رأيت رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم وقد جمع شملته على علي و فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام و قال: هؤلاء أهل بيتي اللَّهم أذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا. و قالت أم سلمة: في بيتي نزلت «إِنّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ» الآية ، فأرسل رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم إلى علي و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام فقال هؤلاء أهل بيتي عليهم السلام. و عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم: أنزلت هذه الآية في خمسة ، في و في علي و حسن و حسين و فاطمة عليهم السلام.

و قـد أغـدقا عليها العطف والحنان مما يفوق الوصف.(1) رضـعت عليها السـلام من ثدي الإيمان، و تربّت في حجر الإسـلام ونهلت من معينه الصافي فكان الرسول الأعظم صلي اللّه عليه و آله و سلم الوالد العطوف، والمربي الشفوق، و المعلم،

الكريم، و المؤدب الحليم.

لم تكن الزهراء عليها السـلام وحيدة أبويها، فقد رزقا أيضاً بالقاسم و عبداللّه و قد توفاهما الله و كذلك زينب و رقية و أم كلثوم، ولكن فاطمة الزهراء عليها السلام كانت الوحيدة الأثيرة لدى العائلة، و كان لها دور تاريخي في حياة أبيها النبي الكريم صلي اللّه عليه و آله و سلم و بعد وفاته... و حتى يومنا هذا، فقد نشأت الزهراء عليها السلام في بيت كلّه أمجاد و شرف و أخلاق ربانية و واكبت أحداث بدء الدعوة الإسلاميّة لحظة بلحظة.(2)

لقد اكتنفت رعاية الرسول صـلي اللّه عليه و آله و سلم و زوجه كلا من علي و فاطمة عليهما السلام معاً، و لقد ذكرنا مشاهد من هذه الرعاية في المباحث السابقة، أما الإمام علي عليه السـلام فقد كان شاباً عندما ولدت الزهراء عليها السـلام، فكانت له أختاً صـغرى -وربيبة أثيرة، و وديعة كبرى أوصاه بها أبوها في حياته و بعد وفاته.

فهو ينظر إليها بعين الإكبار و الإجلال طفلة تدرج أمام عينيه في الدار، لها سمات أبيها وصفاته، تكاد تكون صورة مصغرة من الحبيب

1- مريم نورالدين فضل اللّه، المرأة في ظل الإسلام، ص175.
2- غادة الخرسا، المرأة في الإسلام، ص 145.

محمد صـلي اللّه عليه و آله و سـلم، أو هي كذلك بالفعل. كانت فاطمة عليها السـلام كالشـمس تخرج من تحت السـحاب، و كانت أشبه الناس خَلقاً و خُلقاً و منطقاً برسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم.(1)

رافق الإمام علي فاطمة عليهما السلام في كل مراحل حياتها المليئة بالأحداث، الحافلة بالمصاعب والمتاعب، المشحونة بالمحن و الآلام. كـان معها منـذ طفولتها عنـدما ذهبا مع أبويهما العظيمين إلى شـعب أبي طالب، و شاهـدها هناك تتجلّد على الرغم من طفولتها وسـنيها القليلة على ما لاقوا من شـظف العيش و شدّة الحصار وأذية قريش. ما لايتحمله جسدها الصغير، و تظهر من القوة والجلد ما يعجز عن مثله الكبار، كيف لا؟ و هي غرس محمد الهاشمي.

إن سـنوات الحصار الثلاث لم تأكل من أجسادهم وقواهم ، وأيام وليال من أعمارهم فحسب، بل إنها كلفتهم غالياً لقـد فقدوا بسـبب تلك السـنين وذلك الظرف العصـيب أعزة وأحبّة واحـداً تلو الآخر ، فكان فقـدهما الأم العظيمـة خديجة الكبرى عليها السـلام الاعلام و الأب المحامي و المدافع أبا

1- محمد جواد مغنية، فضائل الإمام علي عليه السـلام، ص21. عن أنس بن مالك قال: سألت أمي عن صـفة فاطمة عليها السـلام فقالت: كانت كأنها القمر ليلة البدر أو الشـمس كفرت (ستره وغطاه) غماما، أو خرجت من السحاب، و كانت بيضاء بضة (البيضاء الممتلئة). و عن عطاء عن ابي رباح قال: ...روي أنها كانت مشـرقة الرباعية. و عن جابر بن عبداللَّه: ما رأيت فاطمة عليها السـلام تمشي إلا ذكرت رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سـلم، تميل على جانبها الأيمن مرة، و على جانبها الأيسر مرة. للمزيد ينظر: بن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب - 3 ، ص 405 .

طالب) في محنة واحدة وسنة واحدة خطبا فادحاً ألم بهما و برسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم الذي عبّر عن أحزانهم الجامعة هذه خير تعبير بوصفه ب_ (عام الأحزان).(1)

فقدت الزهراء عليها السلام أمها خديجة عليها السلام و هي في حدود الخامسة من عمرها، أو أكثر بقليل -بناءً على ولادتها بعد البعثة بخمس سنين، و كانت الزهراء عليها السلام الصغيرة بعمرها، الكبيرة بمكانتها من رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم تحاول أن و هي تملأ الفراغ الحاصل من فقد أمها خديجة عليها السلام، فكانت تحن على أبيها، ذلك الحنان الذي جعله يكنيها ب_" أم أبيها".(2)

في هذه السنوات المبكرة و من خلال هذه المحنة العصيبة، أخذ الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم علية يهيئ من حوله لفكرة ربانية أخذت تتجلى و تترسخ، مفادها أن فاطمة عليها السلام ليست ابنة الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم و أحب الخلق إلى قلبه و أقربهم إلى نفسه فحسب، بل يؤكد على مقامها و مرتبتها و منزلتها و المهمة العظيمة المناطة

1- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص208 و ما بعدها. يذكر ابن سعد في طبقاته لما توفي أبوطالب و خديجة بنت خويلد و كان بينهما شهر و خمسة أيام اجتمعت على رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم مصيبتان فلزم بيته و أقل الخروج و نالت منه قريس ما لم تنال و لاتطمع به؛ للمزيد ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ2 : 90.

2- هذا من كناها المشهورة، ينظر : مناقب آل أبي طالب 30، ص 357؛ محمد علي الأنصاري، أهل البيت/ فاطمة الزهراء السلام ، ص169.

بها: «فاطمة عليها السلام بضعة مني من أغضبها أغضبني».(1) و «إنما فاطمة عليها السلام بضعة مني يؤذيني ما آذاها».(2)

فكان النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم يؤكد علاقته بفاطمة عليها السلام، و يوضح مقامها و مكانتها في أمته، و هو يمهد لأمر عظيم و قدر خطير يرتبط بفاطمة وعلي و ذريتهما عليهم السلام الطاهرة، و بالأمة الإسلامية كلّها، كان صلي اللّه عليه و آله و سلم يؤكد ذلك ليعرف المسلمين مقام فاطمة عليها السلام و مكانة الأئمة من ذريتها، ليعترفوا بحقها و يحفظوا لها مكانتها و منزلتها، فيقول: «فاطمة عليها السلام بضعة مني يغضبني ما يغضبها... و إن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي و سببي و صهري».(3)

أخذ النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم يولي فاطمة عليها السلام بضعته الطاهرة جلّ رعايته، في وقت تمر به الدعوة الإسلامية بأصعب إرهاصات وجودها و انتشارها، فقد انتقل الرسول الأعظم صلي اللّه عليه و آله و سلم من مرحلة سابقة إلى مرحلة لاحقة، ففي المرحلة

1- موجز سيرة الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم، ص107. نقلاً عن: البخاري / ج2 / ص185، مسند أحمد/ ج4 / ص 332، مستدرك الحاكم/ ج3 / ص154.

2- المصدر نفسه، نقلاً عن: مسند أحمد/ ج4 / ص5، خصائص النسائي/ ص25، و فيه: (من أذى رسول اللّه خصائص النسائي/ ص25، و فيه: فقد حبط عمله).

3- مريم فضل اللّه، المرأة في الإسلام، دارالزهراء للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، ط1 ، 1979 م - 1399هـ. ص176 ، نقلاً عن: ينابيع المودة، للقندوزي الحنفي، ص219.

الأولى كان يجد خديجة الكبرى عليها السلام في البيت خير مؤمنة و ناصرة لقضيته و في الخارج يأزره عمه أبوطالب ظهيراً و سانداً و مدافعاً.

أمّا في هذه المرحلة فقد أدت الزهراء عليها السلام دور أمها، و نهضت بتلك المهمة الكبيرة و تمثلت الدور المناط بها فأجادت فيه، و كذلك غدا ابن عمّه علي بن أبي طالب عليه السلام بديلاً عن أبيه فكان ناصراً و أخاً و وزيراً و وصياً.

وإنْ كانتِ المصادر التاريخيّة لاتسعفنا بذكر كثير عن دقائق الحياة العائلية في بيت النبوة صلي اللّه عليه و آله و سلم حينذاك، إلا أنّ الأدلة تشير إلى أن فاطمة عليها السلام لم يعد يراها من الرجال في بيت أبيها إلا النبي محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم علة و الوصي فها هو النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم يسأل ابنته يوماً(1): أي شيء خير للمرأة؟ قالت: ألا ترى رجلاً و لايراها رجل. فضمها إلى صدره و قال: ذرية بعضها من بعض و نحن لانفهم من جواب سيدة النساء إلّا الدلالة على حصانتها وعفتها، و إلا فأي شيء أعظم شرفاً للمرأة و أكثر خيراً لها من أن ترى رجلاً كعلي عليه السلام و تلد للإنسانية الحسن والحسين عليهما السلام؟!

ملأت سيدة النساء حياة علي منذ إطلالتها على الوجود، فكانت خير نساء الأرض، و خير كفء له، حتى أنّ الإمام علي عليه السلام المكتمل شباباً و عنفواناً و خصالاً لم يقدم على الاقتران بأي امرأة أخرى قبلها ، و كانت

1- محمد جواد مغنية، فضائل الإمام علي عليه السلام، ص22.

قرة عين النبي صـلي اللّه عليه و آله و سـلم، وإحـدى الودائع التي ألزمه بها ابن عمه قبل هجرته إلى المدينة، فسار برفقتها وسائر الفواطم(1) في وضح النهار قاهراً صـلف قريش و كبريائها، و قد مضـى الركب عبر الصـحراء يغذ السـير مستظلاً بسيف علي بن أبي طالب عليه السلام الذي شهره بوجه فرسان قريش المطاردة له. مانعاً لها من أن تلحق أي أذًى برواحل الفواطم.

و ما كان دفاع علي عليه السـلام و شـجاعته بالمنظر الجديـد على فاطمـة عليها السـلام، فلطالما شـهدت له مواقفه العديـدة في الدفاع عن الإسـلام ونبيه وأتبـاعه، فكيف كـان موقفه و هو يرى الحويرث ينخس بعير فاطمـة عليها السـلام محاولاً رميها إلى الأرض؟ و كانت فاطمة عليهـا السـلام يومئـذ خفيفـة نحيلـة الجسم، قـد أنهكتها الأحـداث الجسام التي لقيتها، و لم ينسَ النبي صـلي اللّه عليه و آله و سـلم فعلة الحويرث النكراء هذه و قد سـماه مع النفر الذين عهد النبي صـلي اللّه عليه و آله و سـلم إلى أمرائه بقتلهم يوم الفتح الأكبر في العام الثامن للهجرة وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، وكان علي بن أبي طالب عليه السلام أحق هؤلاء الأمراء بقتل الحويرث و قد فعل.(2)

إن هجرة علي عليه السلام بمعية الفواطم كانت حدثاً مشهوداً و محموداً عند النبي محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم و المسلمين، حتى أنّ الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم كان في أشدّ الشوق للقاء

1- و هن فاطمة الزهراء عليها السلام، و والدته فاطمة بنت أسد و فاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب و فاطمة بت حمزة بن عبدالمطلب، و قد فصلنا الحديث عن ذلك في مبحث سابق.
2- مريم فضل اللّه، المرأة في الإسلام، ص179.

أحبته، علي و فاطمة عليهما السلام، و ما كان النبي الأكرم صلي اللّه عليه و آله و سلم ليدخل يثرب من دونهم مع أنَّ أصحابه كانوا دائمي الحث بذلك، فكان يمتنع بالقول: (ما أنا بداخلها حتى يقدم ابن عمي وابنتي).(1)

و عند وصول الركب سالماً إلى قبا سرّ الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم بسلامة الوصول و لقاء الأحبة و قال: (أدع لي عليا عليه السلام) قيل: لايقدر أن يمشي، فأتاه النبي اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم و اعتنقه وبكى، رحمة به، لما بقدميه من ورم، وتفل في يديه و أمرهما على قدميه، فلم يشتكهما بعد حتى استشهد.(2)

إنّ بعض المصادر تنكر هذا القول(3)، و تذكر أنّ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لقد سارت على قدميها حتى المدينة هي و أختها أم كلثوم و لم يكن برفقتهما الإمام علي عليه السلام، كما في تراجم سيدات بيت النبوة صلي اللّه عليه و آله و سلم.

للدكتورة بنت الشاطئ، و القول المشهور و القاطع إنّ الإمام علياً عليه السلام هو الذي سار بالفواطم حتى المدينة امتثالاً لرغبة النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم و تنفيذاً للمهمات التي أوصاه بها.

1- موجز سيرة الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم و أهل البيت، تأليف و نشر: لجنة التأليف -مؤسسة البلاغ، ص111.
2- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب و السنة و التاريخ، محمد الريشهري، ج1، ص171.
3- ابن سعد، الطبقات الكبرى -ج1 ، ص237.

و من المجافي للعقل أن يترك الإمام علي عليه السلام فاطمة الزهراء عليها السلام تسير على قدميها و معه الرواحل، و لقد أسهبنا في شرح ظروف هذه الواقعة المشهورة في السير في مبحث سابق.

و في المدينة المنورة، و في بيت الرسول العظيم صلي اللّه عليه و آله و سلم أقامت فاطمة عليها السلام تملأ بيت أبيها بعد الوحشة، و تسهر على راحة ذلك الوالد العظيم، ولكن فاطمة عليها السلام الشابة النضرة، ذات الشرف و الجمال و المجد الرفيع، أخذت تتجه إليها الأنظار، و يحدّث بعض الصحابة نفسه بأن يحظى بشرف الاقتران بها.(1)

كل واحد منهم يمني نفسه في أن يدنو من هذا الفضل العظيم، في أنْ يُصبح صهراً للنبي المصطفى صلي اللّه عليه و آله و سلم، جاء في كتاب ذخائر العقبى(2): إنّ أبابكر خطب إلى النبي فاطمة عليها السلام، فقال له: لم ينزل القضاء بعد، فخطبها عمر، فأجابه بما أجاب، صاحبه، ثم خطبها عديد من كبار قريش، و كان الجواب واحداً.(3) و خطبها عبدالرحمن بن عوف و بذل لها مهراً غالياً فتأذى النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم منه و تناول كفاً من الحصى، و قال له: إنك لتهول علي بمالك فتحول الحصى درّاً، و خطبها عثمان بن عفان فردّه النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم كذلك...

1- ذخائر العقبي، احمد بن عبد الله الطبري، ص39.

2- نفس المصدر، ص30.

3- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج8 ، ص20.

و يتبين من خلال إجابة الرسول الاكرم صـلي اللّه عليه و آله و سلم لأميرالمؤمنين سلام اللّه عليهما في الزواج من الزهراء عليها السلام وردّ سواه كانا بأمر اللَّه سـبحانه، و في ذلك دليل على فضل أميرالمؤمنين عليه السلام و كرامته و منزلته عنداللَّه تعالى و الزهراء عليه السلام سيدة نسـاء العـالمين لابـد أن يكون كفؤها سـيد رجال الأمـة بعـد رسول اللَّه صـلي اللَّه عليه و آله و سـلم، و من هنا جاءت مقاييس الاختيار و الترجيح على لسان الرسول صـلي اللَّه عليه و آله و سـلم و هو يبين لابنته البتول عليها السلام الا فضل أميرالمؤمنين عليه السلام، قال صلي اللَّه عليه و آله و سلم:

«زوجتك سيداً في الدنيا و الآخرة، و إنه لأول أصحابي إسلاماً، و أكثرهم علماً و أعظمهم حلماً» و اليوم الآخر.(1)

لذا روي عن النبي صـلي اللَّه عليه و آله و سـلم أنه قال: «لو لـم يخلق الله علياً عليه السـلام ما كان لفاطمة عليها السـلام كفء». و قال ابن عباس: «كانت فاطمة عليها السـلام بنت رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم تذكر فلايذكرها أحد لرسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم إلا أعرض عنه فقال سعد بن معاذ الأنصاري لعلي عليه السلام: إني واللَّه ما أرى رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم يريد بها غيرك، دخل علي عليه السـلام على النبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم و جلس بين يديه و لم يتكلم فابتدره النبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم لأنه عرف أنه جاء خاطباً و قد منعه الحياء عن الكلام فقال له: ما حاجتك؟ فقال: يا رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم ذكرت فاطمة عليها السلام بنت رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم فقال: "مرحبا و أهلاً"

1- الاستيعاب، ابن عبد البر، ج3، ص36.

أو قال: «مرحباً إنّ الله أمرني أن أزوجك ابنتي».(1) فخرج علي عليه السلام يزهو فرحاً و مسروراً فقالوا له: ما وراءك ؟ فأخبرهم ، فقالوا: لقد زوجك ابنته فلما علموا ذلك عتبوا على النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم فقال: «ما أنا زوجته ولكن اللّه زوجه».(2)

إن اقتران علي و الزهراء عليهما السلام لم يكن زواجاً اعتيادياً أو أمراً عائلياً تمّت في إتمامه عائلة الزوجين، و لمَّا كان الأمر على هذه الأهمية، فإنّ الإمام عليّا عليه السلام لم يكن ليتقدم في طلب خطبة الزهراء عليها السلام الا من أبيها قبل أن يأتي الأمر الإلهي، ثم يلتمس الموافقة النبوية صلي اللّه عليه و آله و سلم، ثم من بعد يقدم هو بنفسه، مع ما له من القرابة و السبق في الإسلام و الأفضلية في الصحبة و المواساة و الكفاءة و المؤاخاة.

وهناك رواية أخرى(3) لهذه الخطبة الميمونة، تذكر أنّ النبي المصطفى صلي اللّه عليه و آله و سلم حين اعتذر من تزويج فاطمة عليها السلام لعمر و أبي بكر اتجه إلى الإمام علي عليه السلام و هو يسقي في بستان نخل، فقالا: قد عرفنا قرابتك من

1- كاظم النقيب، أئمتنا قادة وهداة، مؤسسة الفكر الإسلامي للطباعة و النشر و التوزيع ، ط2، لبنان -بيروت، 1433 هـ_ 2012 م، مكتبة العلامة ابن فهد الحلي، كربلاء المقدسة - العراق، ص101. نقلاً عن: نور الأبصار ص42، كنز العمال ج6، ص: 218.

2- كاظم النقيب، أئمتنا قادة وهداة، ص102.

3- موجز سيرة الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم و أهل البيت عليهم السلام، تأليف ونشر: لجنة التأليف - مؤسسة البلاغ، ص112.

رسول اللّه صـلي اللّه عليه و آله و سـلم و قدمك في الإسلام، فلو أتيت إلى رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم فخطبت إليه فاطمة عليها السلام لزادك اللّه فضلاً إلى فضلك، و شرفاً إلى شرفك، فإنا نرجو أن يكون اللّه و رسوله صلي اللّه عليه و آله و سلم إنما يحبسانها عليك.

فانطلق عليه السـلام فتوضأ ثم اغتسل و لبس كساءه، و صلّى ركعتين و لبس نعليه، وأقبل إلى النبي اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم و كان في منزل أم سـلمة، فسـلّم عليه، فردّ عليه السـلام و جلس بين يديه، ينظر إلى الأرض، فقال له النبي صـلي اللّه عليه و آله و سلم: أتيت لحاجة؟ قال: نعم، أتيتك خاطباً ابنتك فاطمة عليها السلام، فهل أنت مزوجي يا رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم؟

قالت أم سلمة : فرأيت وجه رسول الله يتهلل فرحاً وسروراً ، ثم يبتسم في وجه علي عليه السلام. و دخل على فاطمة عليها السلام فقال لها: (إن علي بن أبي طالب عليه السـلام من قد عرفت قرابته وفضله في الإسلام، و إني سألت ربي أن يزوجك خير خلقه، و أحبهم إليه، و قد ذكر من أمرك شيئاً فما ترين؟). فسكتت فخرج رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم و هو يقول: (اللّه أكبر سكوتها إقرارها).

فأتاه جبرئيل عليه السـلام فقال: يا محمد صـلي اللّه عليه و آله و سلم، زوّجها علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنّ اللّه قد رضيها له، ورضيه لها.(1) و قال ابن عبـدالبر في الاستيعاب، و هو يترجم لعلي اللّه: إن رسول اللّه صـلي اللّه عليه و آله و سـلم قال لفاطمة عليها السـلام: إنّ زوجك سيدٌ في الدنيا

1- محمد علي الأنصاري، أهل البيت...، ص171. نقلاً عن البحار 93: 93، تاريخ سيدة النساء عليها السلام، باب تزويجها، الحديث4.

والآخرة، و إنه لأول أصحابي إسلاماً، و أكثرهم علماً، و أعظمهم حلماً.

وعن النبي اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم إنه قال لعلي عليه السلام: عاتبني رجال من قريش في أمر فاطمة عليها السلام، و قالوا: خطبناها إليك فمنعتنا، و زوجت عليا عليه السلام، فقلت: ما أنا منعتكم، و زوجته، بل اللَّه منعكم و زوّجه. فكفاءة علي لفاطمة عليها السلام ليست كفاءة نَسَبيّة فقط، و لاخلقية فقط، بل هي كفاءة سماوية إلهية في تعادلهما بالقرآن و تساويهما في ميراث النبوة صلي اللَّه عليه و آله و سلم، و في الحكمة و الهدى و الرحمة، و في افتراض الولاء والطاعة على الناس أجمعين.(1)

أسهبت كتب السير و المراجع التاريخيّة في وصف وشرح تفاصيل هذا الزواج، و خطواته و مقتنياته، حد التواتر و من مختلف المذاهب و الملل و الرواة، و هذا شيء ملفت للنظر، إذا ما أخذنا بالحسبان شدة التحفظ و التستر على ما يجري في البيوتات الكريمة، فكيف الحال والبيت بيت النبوة والولاية ؟!

إنّ التفكّر -هنا- يوصلنا إلى حقيقة مفادها: أنّ النبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم أراد تعريف المجتمع الإسلامي من حوله، و الأجيال المتوالية من بعده، أهمية و قدسية هذا الاقتران و عظمة هذه الأسرة الوليدة و امتداداتها

1- محمود جواد مغنية، فضائل الإمام علي عليه السلام، ص24.

المستقبلية في جسد الإسلام و روحه، و يذكّر أمته وأتباعه في كلّ قول و فعل قام به لاتمام هذا الارتباط الإلهي و متابعته لحيثياته المختلفة.

إنّ النبي المصطفى اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم، بامتناعه عن إجابة كل خاطب للزهراء عليها السلام وردّه، و من ثمّ تهلله و فرحه بطلب علي عليه السلام فيه رسالة بليغة لمن حوله أنّ اللّه سبحانه و تعالى هو من زوّج النور من النور(1)؛ ليرسّخ موعظة خلاصتها أنّ عليّاً و فاطمة عليهما السلام ليسا كأي عروسين في هذه الأمة، و أنه يوليهما ما يستحقان من محبّة و مكانة، و على الأتباع من هذه الأمة المرحومة، إطاعة و اتباع نبيها المختار في سلوكه المتفرّد هذا.

فضلاً عن ذلك فإنّ الإشارة إلى تلك العناية الكبيرة من النبي محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم و نسائه و أصحابه و مجتمع المدينة المنوّرة، بظروف اقتران الوصي علي عليه السلام ببضعة المختار فاطمة عليها السلام، لايعني أن زواجهما كان زواجاً أسطورياً أو فائق البذخ و الترف، نظراً لمكانة الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم بوصفه زعيماً وقائداً لأمة أخذت تنهض وتتسع في انتشارها.

1- جاء في ذخائر العقبى ص32، أن جبرئيل عليه السلام أتى إلى النبي محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم فقال: " يا محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم أتاني ملك فقال لي: يا نبي اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم إن اللّه يقرؤك السلام و يقول لك: إني زوجت فاطمة عليها السلام من علي عليه السلام في الملأ الأعلى فزوجها منه في الأرض"؛ وروى ابن شهر آشوب في مناقبه/ 3 ص398 عن كتاب ابن مردويه، قال ابن سيرين: قال عبيدة: إن عمر بن الخطاب ذكر علياً عليه السلام، فقال: ذاك صهر رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم، نزل جبرئيل على رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم فقال: (إن اللّه يأمرك أن تزوج فاطمة عليها السلام من علي عليه السلام).

و لو كـانتِ الزهراء عليها السـلام ابنـةً لأحـد ملوك الطوائف أو رؤساء عشائر ذلك الزمان، لكان عرسـها أكثر فخامـة وبـذخاً مما حظيت به الزهراء عليها السـلام كعروس، و هي سـيدة نساء العالمين و زوجها سـيد الوصـيين و أبوها نبي الأمـة صـلي اللَّه عليه و آله و سـلم و خاتم المرسـلين. و مع كـلّ ذلـك فـإنّ زواج الزهراء بعلي ملأ الكتب و المراجع التاريخيّـة بتفاصـيله ، وعـدد مقتنياته ، وما حوته دار العروسـين الشـابين، و كيف تم زفافهمـا، و مـا قيل فيه من الأهازيـج وكلمات الفرح والتبريك، و مَن شارك في الوليمـة، و كل قول وفعل قام به الرسول الأعظم صـلي اللَّه عليه و آله و سـلم علية حتى لحظة افتراقه عنهما، ليكون زواجهما أنموذجا يحتذى به من الشـباب المسـلم في كل زمان ومكان.

فعليٌ الشاب الممتلئ حيوية و فروسية وبطولة ، و إباء و عزة و شرف و قرابة و إخاء من الرسول صلي اللَّه عليه و آله و سلم لم يكن يمتلك ما يتزوج به غير (درع حطمية) أهداها له الرسول صلي اللَّه عليه و آله و سلم و هو الذي أشار عليه ببيعها ليتزوج بثمنها.(1)

قال أحمد في الفضائل: حدثنا إبراهيم عبداللَّه البصـري، حدثنا إبراهيم بن بشار، حدثنا سـفيان، عن ابن أبي نجيح، عن أبيه، قال: أخبرني من سمع علي بن أبي طالب عليه السلام يقول على عليه السلام منبر الكوفة: "لما أردت أن أخطب فاطمة عليها السلام إلى رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم ذكرت أنه لا شيء لي، ثم ذكرت عادته وصلته فخطبتها، فقال: و هل عندك شيء، قلت: لا، قال: فأين

1- المروي في السـير أن مهر الزهراء عليها السـلام كان ثمن درع حطمية كانت لعلي عليه السلام. للمزيد ينظر: سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، الباب الحادي عشر، ص319.

درعـك الخطميـة؟ فقلت: عنـدي -وكان رسول اللّه صـلي اللّه عليه و آله و سـلم قـد وهبها لي فأتيته بها، فانكحني إياها على عليه السـلام الدرع.(1)

باع علي عليه السـلام درعه إلى عثمان بن عفان بأربعمائة وثمانين درهماً، فصبها بين يدي النبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم،(2) فقبض منها قبضـة و قال لبلال: ابتع لنا بها طيباً وأمرهم أن يجهزوها فجعل لها سـريراً مشـروطاً و وسادة من أديم حشوها ليف و قربـة و كساء خيبري و مخضب، وقـد أولـم علي عليه السـلام وليمـة دعا إليها المسـلمين، فما كانت وليمة في ذلك الزمان أفضل من وليمته، و قد أقبل الناس إليها أرسالاً بعـد أن دعاهم إلى ذلك، و قد اسـتحيا من كثرة الناس و قلة الطعام فعلم رسول اللَّه صـلي اللَّه عليه و آله و سـلم ذلك، فقال: يا علي عليه السـلام إني سأدعو اللَّه بالبركة، قال علي عليه السـلام: فأكل القوم عن آخرهم طعامي و شـربوا شرابي و دعوا لي بالبركة، و صدروا وهم أكثر من أربعة آلاف رجل و لم ينقص من الطعام شيء،(3) ثم دعا رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم بالصحاف فملئت و وجه بها إلى منازل أزواجه ثم أخذ صـفيحة وجعل فيها طعاماً وقال: هذا لفاطمة عليها السلام و بعلها، حتى إذا انصرفت الشمس للغروب قال رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم: يا أم

1- المصدر نفسه؛ رواه أيضاً ابن سعد في ترجمتها من الطبقات الكبرى -8، ص24.

2- موجز سـيرة الرسول صـلي اللَّه عليه و آله و سـلم و أهل البيت عليهم السـلام)، تأليف و نشر: لجنة التأليف -مؤسسة البلاغ، ص113، نقلاً عن السيد محسن الأمين، المجالس السنية، ج3 / ص73 - 74.

3- كاظم النقيب، أئمتنا قادة وهداة، ص103، نقلاً عن: البحار للمجلسي ج43، ص96.

سلمة هلمي فاطمة عليها السلام، فانطلقت فأتت بها و هي تسحب أذيالها، و قد تصببت عرقاً حياء من رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم، فعثرت فقال رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم: أقالك الله العثرة في الدنيا والآخرة.(1)

إنّ الصورة البهيّة التي رسمت لنا آنفاً، تأخذنا إلى عوالم من المحبّة الأبويّة الخالصة، و المودة و الرحمة في أبهى صورها و أحلى تجلياتها، بين أب و ابنته، فعثرت؟! كلمة تأخذ بتلابيب الفكر، فاطمة عليها السلام بنت محمد صلي اللَّه عليه و آله و سلم.

سيدة نساء العالمين عليها السلام. ابنة الرسول صلي اللَّه عليه و آله و سلم، فتاة عروس مثل كل الفتيات في عمرها الغض، أصابها ما يصيب كل فتاة في خطوها هذا نحو البيت الجديد، و العالم الجديد، و الأسرة الجديدة، إلّا أنّ الزهراء عليها السلام، أصابت بعثرتها تلك – فقد جنت دعوة نبوية أبوية خالصة، فها هو الرسول صلي اللَّه عليه و آله و سلم أب شفوق يبادر إليها بلسانه، لسان الوحى و النبوة صلي اللَّه عليه و آله و سلم يسبقه قلبه المحبّ بالدعاء لها: (أقالك الله العثرة في الدنيا والآخرة).

فما أروعها من دعوة أب، و ما أجزلها من دعوة نبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم، هنيئاً للزهراء عليها السلام الدعوتين و المحبة من قلب واحد توله بمحبتها حدّ الإلحاح في ذكر أثر هذه المحبة في قلوب الآخرين، إن اتبعوا أثرها.

أمّا الزهراء عليها السلام فقد أقال اللَّه عثرتها فوقفت بين يدي النبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم فكشف الرداء عن وجهها حتى رآها اللَّه ثم أخذ بيدها فوضعها في يد علي عليه السلام

1- ابن سعد، الطبقات الكبرى/ 8، ص21.

و قال: بارك اللّه لك في ابنة رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم، يا علي عليه السلام نعم الزوجة فاطمة عليها السلام، و يا فاطمة عليها السلام نعم البعل علي عليه السلام، انطلقا إلى منزلكما و لاتحدثن حدثاً حتى آتيكما.(1)

قال علي عليه السلام فأخذت بيد فاطمة عليها السلام و انطلقت بها حتى جلست في جانب الصفة، و جلست في جانبها و هي مطرقة إلى الأرض حياءً مني مطرق إلى الأرض حياءً منها. ثم جاء رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم فقال: من ههنا؟ فقلنا: ادخل يا رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم مرحبا بك زائراً و داخلاً فدخل.(2)

و في رواية أخرى عن الإمام علي عليه السلام: (...فاستأذن رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم علينا، و علينا كساء أو قطيفة، قال: فتحشحشنا، فقال: مكانكما على حالكما، فدخل علينا فجلس عند رؤوسنا ودعا بماء، فدعا فيه بالبركة، ورشه علينا).(3)

و في الصباح كان النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم أول زائر لهما، فسأل عليا عليه السلام: كيف وجدت أهلك، فقال: نعم العون عل طاعة اللّه، و سأل فاطمة عليها السلام فقالت: خير بعل يا أبتاه صلي اللّه عليه و آله و سلم. فرفع النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم كفّيه و قال: اللهم اجمع شملهما، و ألف بين قلبيهما، و اجعلهما و ذريتهما من ورثة الجنة،

1- سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص319.

2- كاظم النقيب، أئمتنا...، ص104، نقلاً عن: كفاية الطالب، ص164.

3- ابن الجوزي، تذكرة الخواص -ج2، ص320.

و ارزقهما ذرية طيبة مباركة واجعل في ذريتهما البركة، و اجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك و يأمرون بما يرضيك.(1)

و أراد الإمام علي عليه السلام أن يلاطف رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم و يكشف للناس أنّ هذه العناية النبوية صلي اللَّه عليه و آله و سلم الفريدة بهذا الزواج، لم يكن لولا عظمتها و أهميتها عند النبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم فقال: يا رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم، أهي أحب إليك أم أنا؟ فقال: (هي أحب إلي منك، و أنت أعز علي منها).(2)

إنهما عروسان فتيان يبتغيان سبر غور محبّة الوالد و الأخ الرؤوم، فيسألان في أول صباحاتهما المشتركة... من أحب إليك؟! إنهما معاً كلاهما واحد عند النبي المصطفى صلي اللَّه عليه و آله و سلم و هما أحب إليه من كل الخلق على هذه الأرض.

فكيف كانت هي حياة الزوجين الشابين؟ وكيف كان علي الرجل والزوج يعامل فاطمة عليها السلام المرأة والزوجة؟ و كيف تم تقاسم الأدوار بينهما؟ ليجعلا من بيتهما المتواضع جنة على أرضه تهفو إليها قلوب المؤمنين، و تغدو واحة يركن إليها النبي محمد صلي اللَّه عليه و آله و سلم في كل حين.

و في البدء ما الذي كان يحويه هذا البيت المبارك الجديد؟ و ما الجهاز الذي جهز به علي فاطمة عليها السلام الغالية؟

1- كاظم النقيب، أئمتنا قادة وهداة، ص111. نقلاً عن: البحار للمجلسي ج43، ص117.

2- كاظم النقيب، أئمتنا قادة وهداة، ص111.

قـال هشـام: و أهـديت إليه في بردين، و في يـديها دملوجـان من فضـة، و معها خميلـة، و مرفقـة من أدم حشوها ليف، و قربـة، و مُنخُل، و جراب.(1)

و عن محمـد بن علي عليه السـلام قـال: (تزوج علي فاطمـة عليهما السـلام على إهاب شاة (و سـحق حبرة) و ذلك في رجب بعـد الهجرة بخمسة أشهر و بنى بها بعد مرجعه من بدر.

و في قول للإمام علي عليه السـلام: (لقـد تزوجت فاطمـة عليها السـلام، و ما لي و لها فراش غير جلـد كبش ننام عليه بالليل، و نعلق عليه الناضح بالنهار، و ما لي و لها خادم غيرها).(2)

أمّا أسـماء بنت عميس فقالت: لما أهـديت فاطمة عليها السـلام إلى علي عليه السـلام، لم تجد عنده إلا رملاً مبسوطاً، و وسادة، و كوزاً، و جرّة.(3)

و في رواية: إنّ الرسول اللّه صـلي اللّه عليه و آله و سلم جهزها بخميلة (وهي القطيفة) و معها قربة من أدم، و وسادة من أدم حشوها ليف، و جلد كبش، ينامان عليه بالليل، و يعلقان عليه في النهار، و رحى، و جرة.(4)

و لو جُمعت كلّ الروايات فإنّ جهاز فاطمة عليها هو: قميص و خمار لغطاء الرأس، و ثوب له زغب، وعباءة قصيرة بيضاء، و منشفة،

1- ابن سعد، الطبقات الكبرى -8، ص24.

2- ابن سعد، الطبقات الكبرى -8، ص22.

3- سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص/ ج2، ص324.

4- ما رواه ابن سعد في ترجمتها من الطبقات الكبرى -8 ص23 عن أبي جعفر الباقر عليه السلام.

و فرشان: أحدهما ليف و الآخر صوف، و مخدة ليف، و أربعة متكآت حشوها من نبات الأرض، و سرير من جريد النخل، و جلد كبش، و حصير، و ستار من صوف، و قدح من خشب، و رحى للطحن، و إناء من نحاس للعجن والغسيل، و قربتان: كبيرة و صغيرة، و وعاء من ورق النخل مزفت، و جرّة خضراء و كوزان من خزف، و منخل، و خشبة نصبها الإمام علي عليه السلام من الحائط إلى الحائط داخل البيت لتعليق الثياب، إذ لاخزانة و لاصندوق الثياب العرس.(1)

انتقلت فاطمة عليها السلام إلى بيت زوجها المتواضع، علي بن أبي طالب عليه السلام سعيدة راضية، في كنف زوجها قريرة العين سعيدة النفس، لاتفارقها البساطة، و لاتبرح بيتها خشونة الحياة، فهي زوجة الوصي علي بطل الإسلام، فكانت له كما كانت أمها لرسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم، تشاركه في جهاده و تصبر على قساوة الحياة.(2)

تقول بنت الشاطئ: لاأصف هنا مدى ما بعث في حياتها الزوجية التي عرفا خشونتها و قسوتها مادياً، من بهجة و أنس و إشراق.(3)

1- محمد جواد مغنية، فضائل الإمام علي عليه السلام، ص24.

2- موجز سيرة الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم و أهل البيت عليهم السلام، تأليف و نشر: لجنة التأليف -مؤسسة البلاغ، ص117.

3- مريم فضل اللّه، ص183. نقلاً عن تراجم سيدات بيت النبوة لبنت الشاطئ.

تمثلت في شخصية الزهراء عليها السلام الملاـ بوصفها زوجة ما لم يتوافر في غيرها من النساء الصالحات اللاتي تحدّث عنهن القرآن الكريم، و تحدّث عنهن الرسول الأكرم صلي اللّه عليه و آله و سلم و منهن: آسية بنت مزاحم، أو مريم ابنة عمران التي لم تتوافر لها ظروف أسرة كاملة لتضطلع بها، و كذلك لم تتوافر لآسية زوجة فرعون ظروف أسرة كاملة و صالحة في حركتها، فهي و إنْ كانت زوجة، لكن لم يكن لها أولاد، و كانت زوجة طاغية مستبد، و لم تكن قادرة على أن تعبّر عن تلك العلاقة القوية في أحكام الأسرة و علاقاتها و بنائها. أما خديجة عليها السلام فقد كان لها الأثر الكبير في الجانب الأسري، فهي زوجة رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم علل و أم ذريته؛ لأنّها أم الزهراء عليها السلام فهي تشبهها من هذه الناحية، ولكنّ الزهراء عليها السلام امتازت عن أمها في الأدوار الأخرى التي مارستها في حياتها، التي استطاعت أن تحفظ في شخصيتها قضية الموازنة بين هذه الأدوار.(1)

أمّا الإمام علي عليه السلام فقد كشف عن سمة العلاقة بينه و بين الزهراء عليها السلام، التي ظهرت واضحة بالتزامه وصية الرسول الكريم صلي اللّه عليه و آله و سلم، فقد روي عنه في حديث تزويجه بفاطمة عليها السلام، قال: ثم صاح بي رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم: يا علي عليه السلام، فقلت: لبيك يا رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم، فقال: أدخل بيتك و ألطف بزوجتك

1- محمد باقر الحكيم، الزهراء عليها السلام، ص36.

و أرفق بها، فإنّ فاطمة عليها السلام بضعة مني يؤلمني ما يؤلمها و يسرني ما يسرّها، قال علي عليه السلام: فواللّه ما أغضبتها و لاأكرهتها على أمر حتى قبضها اللّه عزّوجل، و لاأغضبتني و لاعصيت لي أمراً، و لقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني الهموم والأحزان.(1)

و عن الإمام الصادق عليه السلام: أوحى اللّه تعالى إلى رسوله صلي اللّه عليه و آله و سلم: قل لفاطمة عليها السلام لاتعصي علياً عليه السلام فإنّه لو غضب غضبت لغضبه. إنّ هذه الأقوال المتقابلة في فضل فاطمة و علي عليهما السلام تظهر كفاءة أحدهما للآخر من دون مواربة، فلقد عوتب النبي اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم في أمر فاطمة عليها السلام مراراً، فقال: (لو لم يخلق اللّه علي بن أبي طالب عليه السلام لما كان لفاطمة عليها السلام كفو) و في خبر (لولاك لما كان لها كفو على عليه السلام وجه الأرض).

و عن المفضل عن أبي عبداللّه عليه السلام قال: لولا أنّ اللّه تعالى خلق أميرالمؤمنين عليه السلام لم يكن لفاطمة عليها السلام كفوء على وجه الأرض آدم فمن دونه.(2)

و في شعر لابن حماد:

لو لم يكن خير الرجال لم تكن *** زوجته فاطمة خير النسا

و انتظمت حياة الزوجين في هذا البيت المبارك على نمط من الزهد و خشونة العيش في رضا و هدوء بال، فالدنيا حقاً لم تكن محبوبة

1- العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج43، ص134.
2- بن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب عليه السلام، ج2، ص207.

لديهما، فعن ابن عباس: أنّ فاطمة عليها السلام بكت للجوع و العري، فقال النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم: (اقنعي يا فاطمة عليها السلام بزوجك، فواللّه إنه سيد في الدنيا سيد في الآخرة).(1)

كان علي عليه السلام يعمل أجيراً في بعض الأوقات، ليكسب قوته بيده، و كان يأتيه رزق و عطاء وافر من وظيفته بوصفه مجاهداً في سبيل اللّه، و من الغنائم التي يغنمها المسلمون من العدو في ميادين الجهاد، ولكنه كان ينفق ذلك كله في سبيل اللّه، و لايحتفظ لأهل بيته إلّا الكفاف، ثقةً باللّه و توكلاً عليه، و تفانياً في طلب مرضاته.(2)

و منذ بدء حياتهما الزوجية قسمت الأدوار و المهمات ما بين علي و فاطمة عليهما السلام و كان حد الشروع في مهماتهما يبدأ من باب الدار إلى داخله من مسؤولية ربة البيت، و من باب الدار إلى خارجه من مسؤولية رب البيت، ولكن هذا لايعني عدم اتكال أحدهما على الآخر في بعض المهمات المزدوجة، فالإمام علي عليه السلام لم يكن دائم الاستقرار في داره، ففي كلّ المعارك التي خاضها المسلمون، كان سيفه البتار أول سيف يرفع من أجل إعلاء كلمة الحق، كلمة لا إله إلا اللّه محمد رسول الله صلي اللّه عليه و آله و سلم؛ ذلك أنّ فاطمة عليها السلام هي من تأخذ على عليه السلام عاتقها مسؤولية البيت كاملة فكانت خير مرب

1- ابن شهر آشوب، المناقب، ج3، ص365.

2- محمد بكر إسماعيل، فقيه الأمة و مرجع الأمة، ص60.

للعيـال و مدرسـة أنجبت للأمـة الإسـلامية خيرة الأبناء و البنات، سـيدي شـباب أهل الجنـة الحسن و الحسـين و زينب و أم كلثوم عليهم السلام.

فالزهراء عليها السـلام كانت ربة بيت تطحن الحنطة في بيتها، و تنظفه و هي في عين الوقت المرأة العالمة الفاضـلة، و في الوقت نفسه المرأة المجاهدة المدافعة عن مبادئها، هي التي منحت جميل رعايتها و وافر حنانها لأبنائها، و أعطت لزوجها كامل حقوقه، و وهبت لأبيها خالص عنايتهـا حتى كناهـا له بـ (أم أبيهـا)، إذ كانت عليه السـلام في رعايتها للأسـرة و البيت و ما يرتبط به في أعلى درجات الرعايـة، و بـذلك ضربت الزهراء عليها السلام المثل الأعلى(1) بوصفها زوجةً و أمّا مسلمة.

و كـذلك كان علي عليه السـلام عوناً لها وسـنداً حتى إذا اقتضت الحاجة أن يساعدها في أعمال المنزل، فعل، تأسـياً بفعل الرسول الأعظم صلي اللَّه عليه و آله و سـلم اللَّه في بيته، بل إنّ النبي صـلي اللَّه عليه و آله و سـلم لطالما أعان فاطمة و علي عليهما السـلام في تدبير بعض شؤونهما المنزلية.

عاشت فاطمة عليها السـلام في بيتها ربةً للبيت، تعنى بشؤون منزلها فلم يكن لديها خدم و لاعبيد و لاأجراء فكل حياتها كدح وجهاد كانت فاطمة عليها السـلام تطحن الشعير و تدير الرحى بيدها، و تصنع أقراص الخبز بنفسها، و تكنس البيت، وقد كان رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم و علي عليه السلام يريان

1- محمد باقر الحكيم، الزهراء عليها السلام، ص37.

ذلك من فاطمة عليها السلام فيشاركانها العناء و يهونان عليها متاعب الحياة، بل و كان علي عليه السلام و معه الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم يساعدانها في أعمال المنزل و تدبير شؤون البيت.(1)

فقد روي أن رسول الله صلي اللَّه عليه و آله و سلم دخل على فاطمة عليها السلام و هي تبكي، وتطحن بالرحى، و عليها كساء من أجلة الإبل، فلما رآها بكى و قال: يا فاطمة عليها السلام تجرعي مرارة الدنيا اليوم لنعيم الآخرة غداً، فقالت فاطمة عليها السلام: يا رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم، الحمد للَّه على نعمائه والشكر اللّه على آلائه. و في ذات يوم دخل النبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم على فاطمة عليها السلام و هي تطحن مع علي بالجاروش فقال: لأيكما أعقب، فقال علي عليه السلام: لفاطمة عليها السلام فإنّها قد أعيت، فقامت فاطمة عليها السلام، فطحن النبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم مع علي لفاطمة عليها السلام.(2)

عاشت فاطمة عليها السلام عند علي بضع سنين كزوجة، فكانت له كل الدنيا وبهجتها، فقد تغني امرأة عن كل نساء الأرض، بل قد تكون هذه الامرأة هي كل النساء، و هكذا كانت فاطمة الزهراء عليها السلام عند علي عليه السلام، و هو لايملك إلا قلبه وسيفه، و إلا علمه وإيمانه، و كانا يسكنا في بيت متواضع شمخ بهما و بذريتهما نحو الذرى فأصبح قبلة المحبة والمودة للنبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم وآل النبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم.

ومن هنا قال الرسول صلي اللَّه عليه و آله و سلم: (ليست الدنيا من محمد صلي اللَّه عليه و آله و سلم و لا آل محمد صلي اللَّه عليه و آله و سلم) و ماذا يصنع محمد صلي اللَّه عليه و آله و سلم وآل محمد صلي اللَّه عليه و آله و سلم بالدنيا، وقد خلقوا للخير و الرحمة

1- موجز سيرة الرسول صلي اللَّه عليه و آله و سلم وأهل البيت عليهم السلام، تأليف ونشر: لجنة التأليف -مؤسسة البلاغ، ص118.
2- المصدر نفسه.

والكرامة الدائمة، خلقوا للهدى إلى اللّه و دين الحق، و للوجاهة و الشفاعة غداً لمن أحبهم و أحبوه.(1)

و من هنا يتضح علاقة الإمام علي عليه السلام بالمرأة التي كانت صنواً له، و توأماً لروحه، علاقة رسخت للمفاهيم القرآنية في الرحمة و المودة و السكن، فكانت فاطمة عليها السلام لعلي عليه السلام جنته على الأرض، و رفيقة عمره الأثيرة، لم يفارقها منذ أبصرت عيناها النور و حتى أغمضتها واجدة على من حولها ممن ظلمها.

كانت فاطمة عليها السلام لعلي عليه السلام أغلى الفواطم منحته آصرة مصاهرة خير البشر و أورثته ابني رسول اللّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم، نسباً وسبباً لاينقطع إلى يوم القيامة، و كانت له زوجةً و وليفة و أماً و بضعة أسعدت أيامه و أسعدها، و ما كان لغيرها طيف في خياله، كما تحاول أن تدّعي بعض الروايات الموضوعة، فتلصق بالإمام علي عليه السلام فرية طلبه الاقتران بزوجة أخرى لغضبه من الزهراء عليها السلام، أو شكوى فاطمة عليها السلام حاشاها اللَّه من علي لفقره.(2)

1- محمد جواد مغنية، فضائل الإمام علي عليه السلام...، ص27.

2- سبط ابن الجوزي، ج2 - ص328 و ما بعدها. يذكر فيها: لما زوّج رسول اللّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم فاطمة عليها السلام من علي عليه السلام قالت: يا رسول اللّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم زوجتني من رجل فقير ليس له مال؟!) فقال لها رسول اللّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم: (أما ترضين أن اللّه تعالى اختار من أهل الأرض رجلين، أحدهما أبوك و الآخر زوجك؟). و في رواية: (زوجتني من عائل لاشيء له)، فقال لها رسول اللّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم: (أما ترضين أن يكون اللّه أطلع على أهل الأرض فاختار منهم رجلين، فجعل أحدهما أباك و الآخر بعلك).

إنّ أسـرة علي و فاطمـة و أولادهمـا عليهم السـلام كانت أنموذجاً إسـلامياً متفرداً في خصائصه و مميزاته، أغاض ديمومـة دعته و اسـتقراره حفيظة أعداء الإسـلام و المنافقين، فأخذوا يبحثون عن الثغرات في جدار هذه اللوحة الإيمانية السامية، و عندما لم يجدوها افتعلوها افتعالاً علهم يحدثون ثلمة في الصورة النقية البديعة لشخوص بيت آل النبوة الأطهار صلي اللّه عليه و آله و سلم.

فلطالما افتخر الإمام علي عليه السـلام باقترانه بالزهراء عليها السلام، ففي خطبته بالكوفة بعد منصرفة من النهروان، و بلوغه أنّ معاوية يسبّه و يلعنه ويقتـل أصـحابه، فقـام خطيبـاً فحمـد اللّه و أثنى عليه و صـلى على رسوله صـلي اللّه عليه و آله و سـلم قـال: (يـا أيها الناس لعلكم لاتسـمعون قائلاً يقول مثل قولي بعدي إلا مفتر، أنا أخو رسول اللّه صـلي اللّه عليه و آله و سـلم و ابن عمه و سيف نقمته... و أنا زوج البتول سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السـلام التقية النقية الزكية المبرة المهدية، حبيبة حبيب اللّه و خير بناته و سـلالته و ريحانة رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم...).(1)

أنظر أيها المتفكر في عمق هـذه الصـفات الجزيلة الواصـفة لصـفات الزهراء عليها السـلام، علي هنا زوج قد فارقته زوجته هذه مع أبيها من سنوات و سـنوات وأضـحى له من الزوجات بعدها تسعاً كما تذكر الروايات، و ها هو يذكرها فيتبتل بذكر محمود صفاتها، صفة صفة، أكاد أجد بين

1- محمد جواد مغنية، حياة الصديقة فاطمة عليها السلام...، ص41. نقلاً من معاني الأخبار، ص58؛ بشارة المصطفى، ص12.

الكلمات و السطور، نَطَقَ أبوالحسن... أنها حبيبة حبيب اللّه و ريحانته... و هي حبيبتي و ريحانتي... لولا الحياء و العفة و دلالة الموقف و المكان!!

لقد زاد أعداء أهل البيت عليهم السلام في الأساطير و الافتراءات و الأكاذيب، فكانوا يتهمون علياً عليه السلام ويفترون عليه بأقوال و أفعال، و يشكونه النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم و افتروا على الزهراء عليها السلام فاطمة بأنها كانت تشتكي من علي عند أبيها رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم.(1) فمن افتراءاتهم أنها شكت علياً عليه السلام من إهداء جعفر جارية له، و إنها شكت علياً عليه السلام في خطبته أسماء بنت عميس، و كذلك اشتد غمها من خطبة علي ابنة أبي جهل.(2)

إنّ كلّ هذه الأخبار باطلة ومن المجعولات، و إنّما وضعها الوضاعون للحط من كرامة الإمام علي أميرالمؤمنين عليه السلام الا حقداً و حسداً لاقترانه بالزهراء عليها السلام و إيثار النبي اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم لهما. و قد أسهبت كتب الفريقين في دفع هذه الأخبار و إيراد الحجج على بطلانها.(3)

يقول المجلسي اللّه في دفعه لهذه التهم و الافتراءات: (... إنّه لم يكن الإمام محتاجاً إلى غيرها، إذ كانت دائماً طاهرة مطهرة تقية نقية

1- ينظر: كتاب فاطمة الزهراء عليها السلام و الفاطميون للعقاد، ص30؛ يراجع: ابن سعد، الطبقات الكبرى/ ج8 ، ص26 ترجمة فاطمة عليها السلام.

2- محمد جواد الطبسي، حياة الصديقة فاطمة عليها السلام، ص157 و ما بعدها.

3- للمزيد ينظر: الإرشاد للمفيد، ص74 و 75؛ ذخائر العقبى، ص38، أمالي الطوسي، ص43؛ بحارالأنوار/ ج43، ص153... و غيرها الكثير.

و حوراء إنسية، و قد اللّه فيها صفات لم يجمعها لأحد من النساء من جمع الأولين و الآخرين، فأي امرأة كانت تشبه فاطمة عليها السلام بهذه الصفات و الملكات حتى يرغب الإمام علي عليه السلام إليها، نعم، لم يتزوج الإمام عليه السلام ما دامت فاطمة عليها السلام حية إكراماً و احتراماً و تعظيما لها صلوات اللّه عليها، كما لم يتزوج رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم على خديجة عليها السلام ما دامت حية).(1)

و من المسائل التي أثارها الحاسدون، هو وجود التنازع و التخاصم و التشاح بين علي و فاطمة عليهما السلام، فإنّه لايمكن -في الأعم الأغلب- أن يعيش الإنسان مدة تسع سنين مع زوجته و لايكون بينهما تنازع و تشاح في المسائل الجزئية؟

و هذا الكلام يصح لو كان علي و فاطمة عليهما السلام غير معصومين، و لأصبح التشاح ممكناً بينهما كما قد يتفق لكثير من الأزواج، و هكذا لو كان أحدهما غير معصوم لأـمكن أيضاً أن يكون الاختلاف و التنازع من قبل غير المعصوم، أما علي و الزهراء عليهما السلام بوصفهما معصومين، فلايتصور حتى الشكل الضعيف من التخاصم بينهما، فكيف بالشكل الحادّ الذي يحتاج أن يتدخل النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم في الصلح بينهما.(2)

1- محمد جواد الطبسي، حياة الصديقة فاطمة عليها السلام، ص165.

2- محمدبكر إسماعيل، فقيه الأمة، ص62 و ما بعدها.

ومما يكـذب هذه الروايات، أنّ أغلبية الناس قد يتفق فيهم التشاح ولكن لايخرج ذلك من إطار البيت، بل ينتهي بعفو الرجل عن زوجته، أو أن تعفو المرأة عن زوجها، و تنتهي بلاتـدخل الآخرين وإن كان المصـلح من ينتسب إليهما، فكيف بعلي بن أبي طالب عليه السـلام الذي نشأ في حجر رسول اللّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم، و تربّى تربيته، و أخذ من أخلاقه و علومه، و هكذا ابنة رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم، فكيف يتصوّر هذا التخاصم إلى الحد الذي يتدخل فيه الرسول صلي اللَّه عليه و آله و سلم بينهما.(1)

إنّ فاطمة عليها السلام كانت حجة اللّه، و هكذا علي كان حجة اللّه على الخلق، فلاشكّ أنّ كلّ أفعالهما و أقوالهما و حركاتهما و سكناتهما حجّـة على الآـخرين، بحيث كانـا أسوة للمسـلمين، فكيف يتصوّر أن يحصـل التنازع بينهما في بعض الأمور؟ و هما أحبُّ إلى رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سـلم و إلى أهل السماء، أو أحب من على وجه الأرض، أو أكرم الخلق على اللّه كما يصرّح به النبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم.

إنّ نظرةً واحدةً متجردةً إلى قول فاطمة عليها السـلام لعلي عليه السـلام حين الاحتضار تدحض كل الافتراءات، فضلا عن ذلك فإنّ حديث الإمام علي عليه السلام و خطبه عن فاطمة عليها السلام و حُسن معاشرتها يعد دليلا قويّاً على كذب هذه الروايات التي نقلت

1- محمد جواد الطبسي، حياة الصديقة فاطمة عليها السلام، ص166.

عنهما، و من ذلك شكواها في أمر الزواج، أو أن علياً عليه السلام رماها ببصره رمياً شحيحاً، أو أن رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم غضب من فعلها... و ما إلى ذلك من أكاذيب و هما أجل و أكرم من أن يتخاصما في أمور الدنيا كما قيل.(1)

قال ابن فتال النيسابوري: (فلما نُعيت إليها نفسها و دعت أم أيمن و أسماء بنت عميس، و وجهت خلف علي و أحضرته فقال : يا بن عم إنّه قد نعيت إلي نفسي، وإنني لأرى ما بي لاأشك إلا أنني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، و أنا أوصيك بأشياء في قلبي قال لها علي عليه السلام: أوصيني بما أحببت يا بنت رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم، فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت ثم قالت: يا بن عم ما عهدتني كاذبة و لاخائنة و لاخالفتك منذ عاشرتني، فقال: معاذ اللّه أنت أعلم باللّه و أبر و أتقى و أكرم وأشد خوفاً اللّه أن أوبّخك غداً بمخالفتي: فقد عزّ عليّ عليه السلام بمفارقتك و بفقدك...). ألم تقل لعلي حينما استأذنها الإمام عليه السلام للدخول الشيخين لعيادتها: يا بن عمي المنزل منزلک و لاإذن فيه... و أعوذ باللّه أن أعصيک طرفة عين.(2)

و يتجلى القول الفصل في هذا الأمر، قول الإمام علي عليه السلام بعد فقدها: فواللّه ما أغضبتها و لاأكرهتها على أمر حتى قبضها اللّه عزوجل،

1- محمد جواد الطبسي، حياة الصديقة فاطمة عليها السلام، ص169.

2- محمد جواد الطبسي، حياة الصديقة فاطمة عليها السلام، ص169... نقلاً عن: روضة الواعظين ص151؛ كشف العمة/ ج1، ص373.

و لاأغضبتني و لاعصيت لي أمراً، و لقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني الهموم و الأحزان).

ويقيناً أنّ الارتباط السماوي ما بين علي و الزهراء عليهما السلام قد منح الإسلام و الإنسانية مثالاً حياً و نابضاً بالعنفوان مدى الدهر لكل نواة أسرية تتشكل من الأوجه كافة، إيمانياً و اجتماعياً و اقتصادياً و روحياً.

ص: 132

قبل وفاة النبى صلي اللّه عليه و آله و سلم... بعد الوفاة

ما أن غادرت فاطمـة الزهراء عليها السـلام بيت أبيها محمد صـلي اللَّه عليه و آله و سـلم لتسـتقر في بيت علي عليه السـلام، حتى غدا بيتها المتواضع ذاك، واحة يركن إليها النبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم في كل حين.

فما كان الرسول صـلي اللَّه عليه و آله و سـلم ليقوى على فراق الحبيبين، أخيه و ربيبه و بضـعته الطاهرة، فكان دائم الزيارة لهما في غـدوه و رواحه للصلاة، بل إنّ المصادر تذكر بتواتر لدى الفريقين، أنّ بيت الزهراء عليها السلام هو أول مكان كان يقصده النبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم عند أوبته من غزواته.

روى الحاكم بإسـناده إلى ثعلبة الخشـني، أنه قال: (كان رسول اللّه صـلي اللَّه عليه و آله و سـلم إذا رجع من غزاة أو سـفر اسـتقبل المسجد فصلى فيه ركعتين، ثم ثنى بفاطمة رضي اللّه عنها، ثم يأتي أزواجه، فلما رجع، خرج من المسجد، تلقته فاطمة عليها السلام عند باب البيت تلثم فاه و عينها تبكي، فقال لها، فقال لها: يا بنية، ما يبكيك؟! قالت: يا رسول اللَّه صـلي اللَّه عليه و آله و سـلم، ألا أراك شعثاً نَصِباً قد أخلو لقت ثيابك !! قال : فإن الله عز وجل بعث أباك لأمر لايبقى على ظهر الأرض بيت مدر و لاشعر إلا أدخل اللّه به عزاً أو ذلاً حتى يبلغ حيث بلغ الليل).(1)

1- محمد علي الأنصاري، حياة أهل البيت عليهم السـلام، ص177 - 178. نقلاً عن المستدرك على الصحيحين3: 155، باب فضائل فاطمة عليها السلام.

و هنا نتوقف للتفكّر برهـة في مغزى هـذه الرواية، لنتصور بأذهاننا الموقف المتفرد لنبي الأمة ، زوج لديه عدد من الزوجات، يعود من سـفر طويل و قتال و حرب، فلايكون هدفه و مسـتقره إلا بيت ابنته فاطمة عليها السـلام لتكون أول من تكتحل عيناه برؤيتها من أهله!! أي محبة و أي شغف هذا سنجد في روايات على لسان النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم ما يسوغه.

و كم كان يبعـد بيت النبي صـلي اللّه عليه و آله و سـلم عن بيت فاطمة و علي عليهما السـلام؟! ...بضـعة خطوات لاغير، و مع ذلك نجده شغوفاً بمشاركتهم كل لحظات حياتهم، و متابعة دقائق أمورهم لحظة بلحظة، بمتابعة أبوية خالصة، و إسداء النصح إليهما و اسـتنزال البركة بدعائه المستديم لهما.

ومن شـدّة تعلقه بهما، جاء في الخبر، أنّ النبي محمداً صـلي اللّه عليه و آله و سـلم لم يطق فراقهما و لم تمض أيام على تحوّل فاطمة عليها السلام من داره إلى دار زوجها حتى صرّح لها برغبته في تحويلها إلى دار قريبة منه، ليأنس بهما، فحققت هذه الرغبة هوًى في نفسيهما، فعلم بـذلك حارثـة بن النعمان، و كان له دار ملاصـقة لدار النبي صـلي اللّه عليه و آله و سـلم، فتحوّل عنها من أجل أن تسـكن فيها فاطمة عليها السـلام و زوجها عليها السـلام و جاء رسول اللّه صـلي اللّه عليه و آله و سـلم إلى الـدار ليمهـد لهما سـبل الراحـة فيها، فقال له حارثـة بن النعمان، و هو من بني النجار: (إنّما أنا و مالي اللّه و رسوله صلي اللّه عليه و آله و سلم، واللّه يا رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم للمال الذي تأخذ مني أحب إلي من الذي تدع !).(1)

1- محمد بكر إسماعيل، فقيه الأمة...، ص58 - 59.

فقال رسول اللّه صـلي اللّه عليه و آله و سـلم: (صدقت، بارك اللّه عليك) و حولهما إلى هذا البيت الجديد، و أمر أن يُفتح باب من المسجد عليه، ليدخل عليها منه متى شاء و كيف شاء، فكان يغدو و يروح في سرور و حبور.

و سد الأبواب إلا باب علي و فاطمة عليهما السلام(1) هو إحدى الكرامات و الفضائل التي تفرد بها هذا البيت، إذ كانت تفتح على مسجد الرسول صـلي اللّه عليه و آله و سـلم أبواب عدّة من المهاجرين، و منهم الهاشـميون و من ضمنهم الحمزة و العباس أعمام رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سـلم و بينهم أقرب الصـحابة من المهـاجرين حتى آباء أزواج رسول اللّه صـلي اللّه عليه و آله و سـلم(أبوبكر و عمر)، فأمرَ رسول اللّه صـلي اللّه عليه و آله و سلم بسد جميع هذه الأبواب و منع الجميع من الدخول و الجلوس و المرور في المسجد، إذا كانوا جنباً و اسـتثني علي و فاطمة و الحسن و الحسـين عليهما السـلام، فكانت لهذه الحادثة اعتراضات صـريحة و غير صـريحة من الصـحابة و أعمامه فاضـطر له أن يصـعد المنبر و يبلغ الناس أنّ ما قام به من أوامر اللّه و نواهيه، و قد أخرج ذلك صـفوة المحدثين و الرواة من أعلم علماء أهل السنة و الجماعة وعن أقرب الصحابة.(2)

1- جواد جعفر الخليلي، أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام -القسم الأول، ص50.

2- الإمام أحمد في مسـنده، ج4 ص399؛ النسائي في السـنن الكبرى و الخصائص ص13 و 14 و ج1 ص1785 ، و ج2 ص26: ابن حجر في القول المسدد ص67؛ صحيح الترمذي و الهيثمي في مجمع الزوائد ج9 ص114؛ سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص24؛ ابن أبي الحديد في شرح النهج ج2 ص451؛ ابن كثير في تاريخ 79 ص342 و رواه في فتح الباري 7 ص12، و غيرهم.

و قـد أجمعوا على صـحة إسـناد هـذه الروايـة و كلهم ثقات... فقالوا: رسول اللّه صـلي اللّه عليه و آله و سـلم دعا الصـلاة جامعة حتى إذا اجتمعوا صـعد المنبر و لـم نسـمع الرسول اللّه صـلي اللّه عليه و آله و سلم تحميداً و تعظيماً في خطبه مثل يومئذ، فقال: يا أيها الناس ما أنا سددتها و لاأنا فتحتها بل اللّه فتحها و سدها ثم قرأ: «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى»(1) فقال رجل: دع لي كوة في المسجد فأبى و ترك باب علي مفتوحاً، فكان يدخل و يخرج منه و هو جنب.

فقد ورد عن بريرة الأسـلمي عن أبي سعيد الخدري قوله صلي اللّه عليه و آله و سلم: لايحلُّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري و غيرك (يقصد علياً عليه السلام)(2) و غيرها من الاحاديث.(3)

1- سورة النجم، آية 1 - 4.

2- المصدر نفسه، ص53 . نقلاً عن: الترمذي في جامعه 2 ص214 و البيهقي في سننه 7 ص66 و البزار وابن مردويه و بن منيع في مسنده و البغوي في المصابيح 2 ص267 و ابن عساكر في تاريخه و محب الدين الطبري في الرياض 2 ص193 و ابن كثير في تاريخه 7 ص343 و السبط بن الجوزي في تذكرته ص25 و ابن حجر في الصواعق و في فتح الباري 7 ص12 و السيوطي في تاريخ الخلفاء ص115 و الحلبي في السيرة ص375.

3- جاء في سنن البيهقي/ 7، ص65؛ و السيرة الحلبية - 3، ص375.

إنّ البيتَ الذي ضمّ عليّاً و الزهراء و أولادهما عليهما السلام كان له المكانة الرفيعة لدى الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم لتأكيد القرآن على هذه المكانة، فقد نزل قوله سبحانه: «فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ».(1) على قلب سيد المرسلين صلي اللَّه عليه و آله و سلم هو في المسجد الشريف، فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول اللّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم؟ قال: بيوت الأنبياء، فقام إليه أبوبكر، فقال: يا رسول اللّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم: أهذا البيت منها؟ مشيراً إلى بيت علي و فاطمة عليهما السلام، قال: نعم، من أفاضلها)(2) و إذا كان قرب النبي اللّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم من علي و فاطمة عليهما السلام و شدة إيثاره إياهما قد أثارت حفيظة المقربين منه من الأصحاب و الأقارب و الأعمام، فإنّ شدة حبّ النبي اللّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم لفاطمة و بعلها عليهما السلام قد أثارت حفيظة حتى زوجاته، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: كان رسول اللّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم يُكثر تقبيل فاطمة عليها السلام، فأنكرت عليه بعض نسائه، فقال له: (إنّه لما عرج بي إلى السماء، فأخذ بيدي جبرئيل، فأدخلني الجنة فناولني من رطبها فأكلتها؛ و في رواية: (فناولني منها تفاحة فأكلتها، فتحوّل ذلك نطفة في صلبي، فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة عليها السلام فحملت بفاطمة عليها السلام، ففاطمة عليها السلام حوراء إنسية، فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي). و دخل النبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم على فاطمة عليها السلام فرآها منزعجة فقال لها: (ما لك) قالت: الحميراء افتخرت على أمي أنها لم

1- سورة النور، آية 36.

2- جعفر السبحاني، الحجة الغراء على شهادة الزهراء عليها السلام، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، مطبعة اعتماد، ط 2، قم -إيران، 1423 هـ ق، ص18.

تعرف رجلاً قبلك و أن أمي عرفتها مسنة، فقال: (إن بطن أمك كان للإمامة و عاء).(1)

قد أثمرت شجرة النبوة صلي اللّه عليه و آله و سلم و وعاء الإمامة فأنجبت فاطمة الحسن الحسين عليهم السلام، فيستقبلهما رسول الله صلي اللّه عليه و آله و سلم كاستقباله لميلاد فاطمة و علي عليهما السلام و يسميهما حسناً و حسيناً عليهما السلام فلم يمض أكثر من عشرة أشهر إلا وجاءت الثمرة اليانعة الأولى لهذا الزواج المبارك، فقد وضعت الزهراء عليها السلام في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة غلاماً زكياً كان أشبه الناس بجده خاتم الأنبياء و المرسلين صلي اللّه عليه و آله و سلم.

و جاء اليوم الخامس من شهر شعبان من العام الرابع للهجرة فأنعم اللّه على أهل البيت عليهم السلام، إذ أنجبت فاطمة الزهراء عليها السلام مولوداً ذكراً جاء بعد مولد الحسن عليه السلام بحوالي أحد عشر شهراً. فكانوا أول أولاد رزق بهما الإمام علي عليه السلام أعقبهم زينب الكبرى و زينب الصغرى المكناة بأم كلثوم.(2) و قد أسقطت فاطمة الزهراء عليها السلام بعد وفاة النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم ذكراً كان سماه رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم و هو حمل محسناً.(3)

1- بن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب - 3 ، ص383.

2- محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ (المفيد) (المتوفى 413هـ)، ص186.

3- المصدر نفسه، ص187؛ بن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب - 3، ص394.

لقد شغل أولاد فاطمة و علي عليهما السلام موقعاً من نفس النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم هو موقع الولد الحبيب من قلب أبيه الحنون، و تبدأ هذه العلاقة الأبوية والروحية بين الرسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم، و الحسن و الحسين عليهما السلام من يوم الميلاد، فهي علاقة النبوة صلي اللّه عليه و آله و سلم بالإمامة، و علاقة حفظ الشريعة و قيادة الأمة بعد الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم بالتبليغ و الرسالة، لذا كان رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم لايحتضن الحسن و الحسين عليهما السلام و يقول: (كل ولد أب فإن عصبتهم لأبيهم، ما خلا فاطمة عليها السلام فإني أنا أبوهم و عصبتهم) و (هذان ابناي من أحبهما فقد أحبني).(1)

و ما كان الإمام علي عليه السلام ليضيق بهذا القول أو يتبرم منه، بل على العكس من ذلك لطالما أكد هذا القول في خطبه وأقواله، بأنّ الحسن و الحسين عليهما السلام وَلدا رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم الا اللّه من دون أولاده الذكور الآخرين. وما كان ليخالف قول النبي محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم فيهما: (إن اللّه عز وجل جعل ذرية كل نبي صلي اللّه عليه و آله و سلم من صلبه وجعل ذريتي من صلب علي بن أبي طالب عليه السلام).(2)

إنّ سعادةَ الرسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم كانت تكتمل كلّما حلّ ضيف جديد، و مولود جديد على بيت فاطمة و علي عليهما السلام، ولكن بقي للإمامين الزكيين الحسن

1- موجز سيرة الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم و أهل البيت عليهم السلام، تأليف ونشر: لجنة التأليف -مؤسسة البلاغ، ص119. نقلاً عن ذخائر العقبى للطبري ص121 و 124.

2- جواد جعفر الخليلي، أميرالمؤمنين...، ص239 و ما بعدها. و قد أورد المؤلف عشرات المصادر التاريخية التي روت هذه الأقوال المتواترة.

و الحسين عليهما السلام أفضلية نقل الإمامة، كونهما ابني رسول صلي اللّه عليه و آله و سلم الأمة، بنص قول النبي محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم عنهما: (ابناي هذان ريحانتاي في الدنيا ، ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا).(1)

و كان النبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم يبيت عند فاطمة و علي عليهما السلام حينا بعد حين، و يتولى خدمة الحسن و الحسين عليهما السلام، ففي إحدى هذه الليالي سمع الحسن عليه السلام يستسقي، فقام صلوات اللّه عليه وآله إلى قربة يعصرها في القدح، ثم جعل يعبه، فتناول الحسين عليه السلام فمنعه و بدأ بالحسن عليه السلام قالت فاطمة عليها السلام: (كأنه أحب إليك؟!)، قال: (إنما استقى أولاً).(2)

و على مرَّ السنين يمتلئ البيت بالأولاد من بنين وبنات و يحوط الجميع رعاية الرسول الأعظم صلي اللَّه عليه و آله و سلم وحبّه. تقول الدكتورة بنت الشاطئ: (لاأصف هنا ما كان لهذا الحبّ الأبوي من أثر عميق في إسعاد فاطمة عليها السلام التي أرهقها الحزن وأنهكها العبء شابة).(3)

عاشت فاطمة عليها السلام في بيت علي عليه السلام سنين و ما كان فراشهما إلا جلد كبش، و ما كانت عليها إلا عباءة إذا سترت ساقها انكشف رأسها و إذا سترت رأسها انكشف ساقها، و مع ذلك تحملت مشاق العيش. عن

1- جواد جعفر الخليلي، أميرالمؤمنين عليه السلام...، ص239 و ما بعدها.

2- محمدبكر إسماعيل، فقيه الأمة، ص72.

3- مريم نور الدين فضل اللّه، المرأة في ظل الإسلام، ص183.

أنس قال: جاءت فاطمة عليها السلام إلى النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم فقالت: يا رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم إني و ابن عمي ما لنا فراش إلا جلد كبش ننام عليه و نعلق عليه ناضحنا بالنهار، فقال: (يا بني اصبري، فإن موسى بن عمران أقام مع امراته عشر سنين لهما فراش إلا عباء قطوانية).

و روى الطبراني ابن حبان في صحيحه أن النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم خرج و أبوبكر و عمر إلى دار أبي أيوب الأنصاري -فذكر الحديث بطوله إلى أن قال: فأخذ رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم شيئاً من لحم الجدي فوضعه في رغيف و قال: (يا أبا أيوب أبلغ هذا فاطمة عليها السلام فإنها لم تصب مثل هذا منذ أيام).

و لم تستنكف فاطمة صلوات اللّه عليها و هي ابنة خاتم المرسلين صلي اللّه عليه و آله و سلم من العمل و خدمة البيت طوال حياتها، على الرغم من عدم وجوب ذلک عليها، و لقد مرّسلمان المحمدي صلي اللّه عليه و آله و سلم يوماً ورآها جالسة و قدامها رحى تطحن بها الشعير، و على عمود الرحى دم سائل و الحسين عليه السلام في ناحية الدار يتضوّر من الجوع...(1)

و قد شغل الإمام علي عليه السلام حال زوجته الحبيبة، فهي صغيرة السن في عقدها الثاني و أضحت أماً لعدة أولاد في ولادات متوالية مع واجبات عائلية في بيت متواضع مادياً يعاني شظف العيش، و كانت تعيش معهما في

1- محمد جواد الطيب، حياة الصديقة فاطمة عليها السلام...، ص140 و ما بعدها.

هذا البيت المتواضع فاطمة بنت أسد عليها السلام زوج أبي طالب عليه السلام عم النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم و أم زوجها الإمام علي عليه السلام، التي تذكر بعض المصادر أنّ ابنها طلب إليها أنْ تعاون زوجته في أعمال البيت، فقبلت ذلك عن طيب نفس حباً في إسعاد الزهراء عليها السلام.(1)

ولكنّ السيدة فاطمة عليها السلام أم الإمام علي عليه السلام كانت في عقدها السابع من عمرها المبارك آنذاك و هي بحاجة إلى عون و رعاية بذاتها، من لدن زوجة ابنها. مع أخذنا بالحسبان أنّ الزهراء عليها السلام لم تكن امرأة و زوجة اعتيادية، فقد واكبت مدة زمنية صعبة كان النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم فيها دائبا على هدم أركان الجاهلية و استئصال جذورها، فجَرَتْ معظم حروب المسلمين و مواقعهم الأولى لترسيخ الدين الجديد.

و قد مرّت هذه المدة الجهادية الصعبة، بكل ظروفها و أبعادها بفاطمة عليها السلام و هي تعيش بكنف زوجها و أبيها، تعيش بروحها و مشاعرها و بجهادها في بيتها، و في مواساتها و مشاركتها لأبيها في شدته ومحنته.(2)

فقد شهدت جهاد أبيها و صبره و احتماله، شاهدته و هو يُجرح في معركة أحد و تكسر رباعيته و يخذله المنافقون، ويستشهد عم أبيها حمزة

1- محمد بكر إسماعيل، ص60-61.

2- موجز سيرة الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم و أهل البيت عليهم السلام، تأليف ونشر: لجنة التأليف -مؤسسة البلاغ، ص121.

أسـد اللّه، و نخبـة من المؤمنين معه، فتـأتي أباها و هي تبكي، و تحاول تضـميد جرحه و قطع الـدم الـذي كان ينزف من جسـده الشـريف الطـاهر، فكان زوجها علي عليه السـلام يصب الماء على جرح الرسول صـلي اللّه عليه و آله و سـلم و هي تغسـله، و لما يئست من انقطاع الدم أخذت قطعة حصيرة فأحرقتها، حتى صارت رماداً فذرّته على الجرح حتى انقطع دمه.

أما في حرب الخندق، فجاءت تحمل كسـرة خبز فرفعتها إليه، فقال: ما هذه يا فاطمة عليها السـلام؟ قالت عليها السـلام: من قرص اختبرته لابني جئتك منه بهذه الكسرة، فقال: (يا بنية أما إنها لأول طعام دخل في فم أبيك منذ ثلاث).(1)

و فاطمة عليها السلام و أهل بيتها عليها السلام قد عانوا أياماً من الجوع... ففي رواية أن فاطمة عليها السلام أقبلت فوقفت بين يدي أبيها عليه الصـلاة و على آله و سـلم فنظر إليها و قد ذهب الدم من وجهها، و عليها صفرة من شدة التعب و الجوع فقال الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم: أدن مني يا فاطمة عليها السـلام، فدنت يا فاطمة عليها السـلام، فدنت حتى قامت بين يديه، و رفع يده الشـريفة حتى وضـعها موضـع القلادة، و فرج بين أصـابعه ثم قال: (اللهم مشـبع الجماعـة، رافع الضـيق، ارفع فاطمـة عليها السـلام بنت محمـد صـلي اللّه عليه و آله و سلم).(2)

1- موجز سيرة الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم و أهل البيت عليهم السلام، تأليف و نشر: لجنة التأليف -مؤسسة البلاغ، ص122. نقلاً عن ذخائر العقبى للطبري، ص47.

2- مريم فضل اللّه، المرأة في ظل الإسلام، ص181. نقلاً عن طبقات ابن سعد الكبرى.

و في رواية الحافظ الأصفهاني عن علي عليه السلام قال: (كانت فاطمة عليها السلام ابنة رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم أكرم أهله عليه، و كانت زوجتي، فجرت بالرحاء حتى أثرت الرحاء بيدها و استقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها، وقمت البيت حتى أغبرت ثيابها، و أوقدت تحت القدر حتى رثت ثيابها، و أصابها من ذلك ضر).

فأتت النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم تسأله خادماً، فقال: لاأعطيك و أدع أهل الصفة(1) تطوي بطونهم من الجوع. أولاً أدلك على خير من ذلك؟! إذا آويت إلى فراشك، تسبحين اللّه تعالى ثلاثاً و ثلاثين و تحمدينه ثلاثا و ثلاثين و تكبرينه أربعا و ثلاثين.(2)

و في كتاب الشيرازي: أنها لما ذكرت حالها وسألت جارية بكي رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم فقال: يا فاطمة عليها السلام والذي بعثني بالحق، إن في المسجد أربعمائة رجل ما لهم طعام و لاثياب و لولا خشيتي خصلة لأعطيتك ما سألت، يا فاطمة عليها السلام إني لاأريد أن ينفك عنك أجرك إلى الجارية، و إني أخاف أن يخصمك علي بن أبي طالب عليه السلام يوم القيامة بين يدي اللّه عزّوجل إذا طلب حقه منك) ثم علمها صلاة التسبيح، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام:

1- أهل الصفة -هم فقراء المسلمين المعدمين، كانوا يجلسون في المسجد النبوي صلي اللّه عليه و آله و سلم الشريف ينتظرون معونة الموسرين إليهم من طعام و غيره.
2- هذا تسبيح الزهراء عليها السلام اقترن باسمها.

(مضيت تريدين من رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم الدنيا، فأعطانا اللّه ثواب الآخرة). قال أبوهريرة، فلمَّا خرج رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم من عند فاطمة عليها السلام أنزل اللَّه على رسوله صلي اللَّه عليه و آله و سلم: «وَإِمّا تُعْرِضَنّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا»، يعني عن قرابتك وابنتك فاطمة عليها السلام ابتغاء يعني طلب رحمة من ربك يعني رزقاً من ربك ترجوها «فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً»(1) يعني قولاً حسناً، فلما نزلت هذه الآية أنفذ رسول اللَّه الا اللَّه جارية إليها للخدمة و سماها فضة.(2) و هي و هي من أسرى ساحل البحر و أوصاها بالرفق معها فقالت يا رسول اللّه علي يوم و عليها يوم.(3)

إنّ المشاق التي لاقت الزهراء عليها السلام اللا و حياة الكفاح المريرة التي مرّت بها زادتها إيماناً، و شظف العيش أثر في صحتها و هي تكدح في الليل و النهار جاهدة في توفير أسباب الراحة لزوجها وبيتها و قبلهما توأم روحها و حبيبها النبي المصطفى صلي اللَّه عليه و آله و سلم.

إذا ما أضفنا إلى كل هذا، اتباعها منهج أهل البيت عليهم السلام في الزهد و العبادة، و هي من العابدات المعدودات في تاريخ الإسلام، إذ العبادة ليست انقطاعاً عن الحياة، أو فراراً من مسؤوليات الإنسان الاجتماعية، بل العبادة عند آل البيت عليهم السلام تسام على متع الحياة، و تسام على

1- سورة الإسراء، آية 28.

2- ابن شهر آشوب، المناقب - 3 ، ص390.

3- محمد جواد الطيب، حياة الصديقة فاطمة عليها السلام... ، ص139.

مظاهرها الفانية. فنجد الزهراء عليها السلام، العابدة، والزاهدة، والمتبتلة، التي سميت البتول لكثرة عبادتها و تبتلها، نشاهد حياتها جهاداً، و عملاً، و كفاحاً وزهداً، و عبادة و تبتلا.(1)

يقول عنها ولدها السبط الإمام الحسن عليه السلام: (رأيت أمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة و ساجدة، حتى اتضح عمود الصبح و سمعتها تدعو للمؤمنين و المؤمنات و تسميهم بأسمائهم، و تكثر الدعاء لهم، و لاتدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أماه لِمَ لاتدعين لنفسك، كما تدعين لغيرك، فقالت: يا بني الجار ثم الدار).(2)

و عن الحسن البصري: ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة عليها السلام، كانت تقوم حتى تورم قدماها،(3) و قال النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم لها: (أي شيء خير للمرأة؟). قالت: أن لاترى رجلاً و لايراها رجل، فضمها إليه و قال: «ذُرِّيّة بَعْضُهَا مِنْ بَعْض».(4)

1- موجز سيرة الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم و أهل البيت عليهم السلام، تأليف و نشر: لجنة التأليف -مؤسسة البلاغ، ص123.

2- المصدر نفسه، نقلاً عن عبد الرزاق كمونة الحسيني، النفحات القدسية في الأنوار الفاطمية، الفصل13، ص45.

3- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب - 3، 389.

4- سورة آل عمران، آية31.

قلنا إنّ الإمام علياً عليه السلام قد شغله حال زوجته فاطمة عليها السلام، و مما زاد في همومه، أنّ رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم مرض و اشتد عليه مرضه، و فاطمة عليها السلام تنظر إليه فتشعر أنها هي حاملة الألم و المرض و ينظر الإمام علي عليه السلام إليهما بترقب و حذر من زمان خؤون طالما أصابه بمصائب مزدوجة، ففي عام واحد (عام الحزن)، فقد أمّه الرؤوم خديجة الكبرى عليها السلام، و أباه أباطالب عليه السلام و لم يفصل بين وفاتهما أكثر من ثلاثة أيام أو أربعين يوماً على أشهر الروايات.

ينظر بوجل إلى وجه الحبيبين فاطمة عليها السلام و أبيها صلي اللّه عليه و آله و سلم، فهل ستحل به مصيبة مزدوجة أخرى؟ هو يعلم بيقين المؤمن أنّ النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم لايطيق لفاطمة عليها السلام فراقاً في الدنيا، منذ ولادتها حتى بعد زواجها منه. فكيف ستطيق فاطمة عليها السلام فراق أبيها برحيله عنها؟

قال أبوثعلبة الخشني: كان رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم إذا قدم من سفره يدخل على فاطمة عليها السلام، فدخل عليها فقامت إليه و اعتنقته و قبلت بين عينيه. و عن عائشة بنت طلحة عن عائشة بنت أبي بكر في فضائل السمعاني بإسناده عن عكرمة قالا: كان النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم إذا قدم من مغازيه قبل فاطمة عليها السلام.(1)

و عن ابن عباس، عن نافع عن ابن عمر قالوا: كان النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم إذا أراد سفراً

1- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب -3، ص380 - 381.

كان آخر الناس عهداً بفاطمة عليها السلام، و إذا قدم كان أول الناس عهداً بفاطمة عليها السلام. و عن أبي سعيد الخدري قال: كانت فاطمة عليها السلام من أعزّ الناس على رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم، فدخل عليها يوماً و هي تصلّي فسمعت كلام رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم في رحلها فقطعت صلاتها و خرجت من المصلى فسلمت عليه فمسح يده على رأسها و قال: (يا بنية كيف أمسيت رحمك اللّه، عشينا غفر اللّه لك و قد فعل).(1)

و هناك شواهد كثيرة يمكن أن تعبر عن جانب التكامل في العلاقة العاطفية بين الزهراء عليها السلام و أبيها رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم، إذ كانت هذه العاطفة بدرجة عالية جداً.(2)

و ها هو المرض يشتد على النبي صلوات اللّه عليه وآله، فيوصي علياً عليه السلام بالصبر على الدنيا، و حفظ فاطمة عليها السلام و جمع القرآن، و قضاء دينه، و غسله، و أن يعمل حول قبره حائطاً، و يحفظ الحسن والحسين عليهما السلام.(3)

إنّ حفظ فاطمة عليها السلام كانت من أول الوصايا التي أوصى الرسول الكريم صلي اللّه عليه و آله و سلم علياً عليه السلام بها، و هو يعلم بقرب لحاقها به، فقد أخبرها بذلك النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم ليخفف عنها أحزان فراقه، فتضاعفت أحزان علي و تأكد من أنّ المصيبة ستحل به هذه المرّة أيضاً، و هي مصيبة مزدوجة!!

1- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب -3، ص380 - 381.

2- محمد باقر الحكيم، الزهراء عليها السلام...، ص 158.

3- المصدر نفسه، ص358.

قال أحمد في مسنده: ....عن عائشة قالت: أقبلت فاطمة عليها السلام كأنّ مشيتها مشية رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم، فقال: (مرحباً بابنتي)، ثم أجلسها عن يمينه ثم أسرّ إليها حديثاً فبكت! فقلت لها: استخصك رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم (حديثه) و أنت تبكين؟ ثم إنه أسرّ إليها (بحديث) فضحكت!

قالت: فقلتُ لها: ما رأيت كاليوم أقرب فرحاً من حزن! ما أسرّ إليك؟ فقالت: (ما كنت لأفشي سرّ رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم)، حتى إذا قبض النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم سألتها، فقالت: (إنّه أسرّ إليّ و قال: كان جبرئيل عليه السلام يعارضني بالقرآن في كلّ عام مرّة، و إنه عارضني به العام مرتين، و لاأراه إلا قد حضر أجلي، و إنك أول أهلي لحوقاً بي، و لنعم السلف أنا لك، فبكيت لذلك، فقال: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة؟ - (أو نساء المؤمنين؟) -فذلك الذي أضحكني عليه السلام).(1)

و في روايات أخرى معتبرة... ثم أسر إلي أني أول أهل بيته لحوقاً به فضحكت.(2)

و قد أخذ الرسول الكريم صلي اللّه عليه و آله و سلم يكثر من التذكير بمنزلة فاطمة وعلي عليهما السلام و بيتهما قبل وفاته، فأخذ يقرأ آية التطهير في كلّ فجر عند مروره بهما، عن أنس: أنّ رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم كان يمر بباب فاطمة عليها السلام إذا خرج إلى صلاة

1- سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص -ج2، ص330.

2- غادة الخرسا، ص147.

الفجر، و يقول: (الصلاة يا أهل البيت عليهم السلام الصلاة «إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا».(1)

و ها هو الإمام علي عليه يتلقى نبوءة الرحيل من فم الحبيب محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم، قائلا له: (سلام عليك يا أباالريحانتين، عن قليل يذهب ركناك). فلما توفي رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم، قال علي عليه السلام: (هذا أحد الركنين...). فلما توفيت فاطمة عليها السلام، قال: (و هذا الركن الآخر)(2) صلي اللّه عليه و آله و سلم.

فما الذي كان يخشاه أبوالحسن عليه السلام، أهو فراقهما، حبيب بعد حبيب، أم ما سيجري عليه من بعدهما من مصائب و محن؟!

أما المصائب فلقد صُبّت على النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم و أهل بيته عليهم السلام صبا، و لايمكن للظروف الصعبة أو الأحداث الجسام أن تنال من علي سيد المتقين أو تثلم رسوخ عقيدته أو عين يقينه، ولكنّ فراق الأحبة هو الذي يُبكي أشدّ الرجال قوة و شكيمة مسلمين و مؤمنين و أئمة وأولياء.(3)

1- جعفر السبحاني، الحجة الغراء...، ص19. أخرجه أحمد و الترمذي و الطبراني و الحاكم و ابن مردويه. نقلاً عن: الدرالمنثور/ 6، ص604 - 605، ط دارالفكر، بيروت.

2- سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص/ ج2، ص262.

3- محمد جواد الطبسي، حياة الصديقة فاطمة عليها السلام، ص189 و ما بعدها؛ علي الأحمدي الميانجي، ظلامة الزهراء عليها السلام، ص169 و ما بعدها؛ جعفر السبحاني، الحجة الغراء على شهادة الزهراء عليها السلام، بحث موجز سلط الضوء على الأخبار المتضافرة التي تتحدث عما لحق بها بعد رحيل الرسول الأكرم صلي اللّه عليه و آله و سلم، نشر مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ط2، المطبعة اعتماد، قم -إيران، ص51 و ما بعدها؛ و غيرها الكثير من المصادر.

(عندما حضرت فاطمة عليها السلام الوفاة دعت علياً عليه السلام لتوصي إليه، فقال لها:

(أوصني بما أحببت يا بنت رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم! فجلس عند رأسها و أخرج من كان في البيت. ثم قالت: يا بن عم، ما عهدتني كاذبة و لاخائنة، و لاخالفتك منذ عاشرتني، فقال عليه السلام: معاذ اللَّه أنت أعلم و أبر و أتقى و أكرم و أشد خوفاً من اللَّه (من) أن أوبخك بمخالفتي، قد عز علي مفارقتك، و تفقدك، إلّا أنّه أمر لابد منه، واللّه جددت عليّ مصيبة رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم و قد عظمت وفاتك وفقدك فإنّا للّه و إنا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها و آلمها و أمضها و أحزنها، هذه -واللَّه- مصيبة لاعزاء لها، ورزيّة لاخلفَ لها. ثم بكيا جميعاً ساعة، و أخذ علي رأسها و ضمها إلى صدره)؛ لذلك كان فراق النبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم الاول ليلة زلزالاً هدّ ركناً من أركان الوصي الرواسخ، و أعقبه فراق بضعته فهد الركن الآخر منه، لقد أحاط حبه و رعايته لأغلى الفواطم في حياته كالسوار للمعصم، قبل وفاة أبيها و من بعده، و هو العالم بقرب ارتحالها إلى جوار ربها و جواره.

و بالمقابل أغدقت الزهراء عليها السلام ذبالة ما في نفسها قصيرة البقاء، حزناً على أبيها و حفظاً و رعاية لزوجها و بنيها.

ص: 151

فقد جرت أحداثٌ رهيبة بعد ارتحال النبي صـلي اللّه عليه و آله و سلم امتد أثرها بشكل أساس على أهل البيت عليهم السلام و خاصةً على ابنته الصديقة فاطمة عليها السلام.(1)

فقد اسـتهانتِ الأمة بوديعة الرسول صـلي اللَّه عليه و آله و سـلم علية بعد فقد النبي صـلي اللَّه عليه و آله و سـلم، يشـهد على ذلك مؤرخو الشـيعة و السـنة على. سواء، إلّا أنّ الإمام علياً عليه السـلام، حاول التخفيف عنها ما اسـتطاع في مواساتها و بناء بيت الأحزان لها لتصـبّ دموعها و أساها على فراق النبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم.

فلم تعش الزهراء عليهـا السـلام طويلاً بعـد أبيها، و كما أخبرها صـلي اللَّه عليه و آله و سـلم أنها أول أهل بيته عليهم السـلام لحاقاً به، فقد اختلف المؤرخون في المدة التي عاشتها بعد أبيها، فذهب بعضهم إلى أنّها عاشت خمسة و سبعين يوماً، و ذهب

آخرون إلى أنها عاشت ثلاثة أشهر، و قال غيرهم ستة أشهر.(2)

عـاشت فاطمـة الزهراء عليها السـلام هـذه المـدة الوجيزة من آخر أيام عمرها الشـريف صابرةً محتسـبةً قضـتها بالعبادة و الانقطاع إلى اللّه سبحانه، فضـلاً عن ذلك فقد كان لها سـلام اللّه عليها موقفٌ كبيرٌ في قضـية الخلافة و البيعة، و هي تظهر على الملأ كاشفةً أحقية زوجها و ابن عمها الوصـي علي بالخلافة، هي ترى الأيام تكرّ سـريعة الوقع تمطرها بالمصائب الواحدة تلو الأخرى مصداقاً لإخبار أبيها النبي محمد صلي اللَّه عليه و آله و سلم لها.

1- محمد علي الأنصاري، أهل البيت عليهم السلام...، ص200.

2- موجز سيرة الرسول صلي اللَّه عليه و آله و سلم و أهل البيت عليهم السلام، تأليف و نشر: لجنة التأليف مؤسسة البلاغ، ص126.

روى الصدوق رحمه اللّه في أماليه(1) عن ابن موسى عن الأسدي عن النخعي عن النوفلي عن الحسن بن أبي حمزة عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (كان رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم جالساً ذات يوم فأقبل الحسن عليه السلام فلما رآه بكى ثم قال: إلي يا بني... و أمّا ابنتي فاطمة عليها السلام فإنّها سيدة نساء العالمين من الأولين و الآخرين و هي بضعة مني... و إني لما رأيتها ذكرت ما يصنع بها بعدي، كأنّي بها و قد دخل الذلّ بيتها و انتهكت حرمتها و غصبت حقها و منعت إرثها و كسر جنبها و أسقطت جنينها و هي تنادي: يا محمداه صلي اللّه عليه و آله و سلم فلاتجاب و تستغيث فلاتغاث فلاتزال بعدي محزونة مكروبة باكية... اللهم العن من ظلمها و عاقب من عصيها و ذلل من أذلها و خلّد في نارك من ضرب جنبها حتى ألقت ولدها).(2)

و لايُمكننا سرد كل ما جرى عليها بعد وفاة أبيها، حتى اختارت لقاءَ ربِّها ولكنها شملها الحزن الشديد للمصاب الجلل بفقدها سيد الرسل، فكانت تكثر البكاء عليه حتى قيل: (البكاؤون خمسة: آدم، و يعقوب، و يوسف و فاطمة عليها السلام بنت محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم و علي بن الحسين عليه السلام).(3)

1- للمزيد يراجع: البحار/ ج28 الطبعة الإسلامية ص37 - 38. و ج43 ص172 و بيت الأحزان ص47 و في المأساة ج2 ص326.

2- علي الأحمدي الميانجي، ظلامة الزهراء عليها السلام، ص169.

3- محمد علي الأنصاري، أهل البيت عليهم السلام...، ص182.

و مما زاد في حزنها انحراف الخلافة عن مسيرها الصحيح الذي رسمه رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم الذي وصّى به مراراً، صراحةً و كنايةً، فرأت كيف تمالأ القوم على بعلها فتركوه مشغولا بتجهيز النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم و اغتنموا الفرصة لعقد الخلافة لأبي بكر في سقيفة بني ساعدة.(1) ثم بانتهاكهم حرمة دارها و الهجوم عليه وغصبها فدك.(2)

و بعد فدك وما جرى عليها من مصائب، اعتزلت فاطمة الزهراء عليها السلام القومَ حتى وفاتها و ما كانت تدخل عليها إحدى نساء القوم حتى تجدها باكية شاكية، فقد دخلت عليها عائشة بنت طلحة يوماً فرأتها باكية، فقالت لها: بأبي أنت و أمي، ما الذي يبكيك؟ فقالت لها صلوات اللّه عليها: (أسائلتي عن هنّة حلّق بها الطائر، و حفي بها السائر، و رفع إلى السماء أثراً، و رزئت في الأرض خبراً، أن قحيف يتم، و أحيوك عدي جاريا أبا الحسن في السباق، حتى إذا تقرّبا بالخناق، أسرا له السنان

1- ذكرت الوقائع في خطب الإمام علي عليه السلام و أقوال على لسان عدد من الصحابة و منهم البراء بن عازب و ملئت الكتب و المراجع بتفاصيل هذا الحدث التاريخي المفصلي في تاريخ الأمة الإسلامية.

2- فدك: قرية زراعية من قرى الحجاز تقع بالقرب من خيبر و قد صالح أهلها النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم نصف حاصلها، و هي ملك رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم فقد أفاء اللّه عليه بلاحرب و لاقتال و قد أعطاها رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم فاطمة عليها السلام في حياته.

و طوياه الإعلان، فلما خبأ نور الدين، و قبض النبي الأمين صـلي اللّه عليه و آله و سـلم، نطقا بفورهما، و نفثا بسورهما و أدالا بفدك، فيا لها لمن ملك، تلك إنها عطيـة الرب الأعلى للنجي الأوفى، و لقد نحلنيها للصبية السواغب من نجله و نسـلي، و إنها ليعلم اللّه و شـهادة أمينة، فإن انتزعا مني البلغة و منعاني اللمظة، و احتسبتها يوم الحشر زلعة، و ليجدنها أكلوها ساعرة حميم، في لظى جحيم).(1)

إنّ فاطمـة عليهـا السـلام في امتشاقهـا سـيف بلاغتهـا و حججها في وجه من غصـبها حقها لم يكن طمعاً بحطام الـدنيا و هي سـيدة نساء العالمين، عاشت عمرها المبارك القصـير تعمر آخرتها بتعبـد و جهاد و تبتل، و هي العالمـة بقرب خروجها عنها هضـيمة مظلومة. ولكنّها أرادت (روحي لها فـداء) أنْ تُعطي مثالاً حيّاً مـدى الدهر لكل النساء، في أنّ وقفة الحق ليست حكراً على الرجال، و أنّ كلمة الصدق تقال حتى و لو قبل أيام من الارتحال، و أن خطب الزهراء عليها السـلام و مناصـرتها لقضـية بعلها الإمام علي عليه السلام و خروجها معه تطرق أبواب المهاجرين و الأنصار و تلزمهم الحجة في التبليغ، هو موقف إسلامي ناصع الوضوح و الدلالة، أخذ

1- عبدالكريم العقيلي، ظلامات فاطمة الزهراء عليها السلام في السنة و الآراء، ص101. نقلا عن: الأمالي للطوسي، 1 / 204م 350.

يتكرر في حوادث جاد بها الزمان علينا بعدها، فكانت وقفة نصـرة ابنتها الحوراء زينب عليها السلام لأخيها الحسين عليه السلام في كربلاء، و حتى يومنا هـذا، و عصـرنا الحـديث نجد صـرخة العلوية المدوية (الشـهيدة بنت الهدى) هي تنصـر أخاها الشـهيد محمدباقر الصدر و لاتتنازل عن مشاركتها قضيته حتى الشهادة.

و الزهراء عليها السـلام في وقفتها الشـرسة و العنيـدة هـذه قـد شـكلت غطاءً و وقاية و حماية للإمام علي عليه السـلام من قوم تجاوزوا كلّ الخطوط المحرّمة دينيا و اجتماعياً، و ما كانوا ليتوانوا عن الإقدام على إيذائه و هو الموصى من الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم بالمنع من القتال بعد موته.(1)

1- فقد أبلغه الرسول صـلي اللّه عليه و آله و سـلم أن الأمة سـتغدر به من بعده (جاء في مستدرك الحاكم3: 140 - 142 و صححه هو و الـذهبي في تلخيصه و في تاريخ الخطيب11 : ص219 و تاريخ ابن الأثير6 : 219 و كنز العمال 6 : 157 حيث قال له: أما إنك ستلقى بعدي جهداً فقال علي في سلامة من ديني فأجابه في سلامة من دينك)، كما قال لعلي عليه السلام ضغنا في صدور قوم لا يبدونها إلا بعدي (ابن عسـاكر و المحب الطبري في الرياض2 :210) عن مناقب أحمـد و الحافظ الكنجي في الكفايـة ص142 و الخـوارزمي في المقتل1 36: و قد قال له صـلي اللّه عليه و آله و سلم: -يا علي عليه السلام إنك ستبتلى بعدي فلاتقاتلن (جاء في كنوز الدقائق للحناوي ص188)، ويظهر من هذه الوصـية الأخيرة أن القوم قد علموا بها فجاروا عليه عندما سـمعوا علياً عليه السـلام يقول: (لولا وصـية سبقت) فقال بعضهم لبعض إن الرجل الموصى، أي لنفعل ما نشاء. للمزيد ينظر: جواد جعفر الخليلي، أميرالمؤمنين عليه السلام/ ج1، ص80 و ما بعدها.

حافظتِ الزهراء عليها السلام -بوصفها زوجة مؤمنة- على شخص الإمام علي عليه السلام، فلولاها عليها السلام لكان من الممكن أن يُقتل أميرالمؤمنين عليه السلام تحت شعار الانشقاق عن الحكم و رفض البيعة، فقد رووا عن النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم أنه قال: (فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان).(1) و ما زال هذا النص موجوداً في بعض الروايات، ينقله بعضهم في صحاحهم، و كان من الممكن أن يُطبق هذا الحكم على الإمام علي عليه السلام، و يُقتل تحت هذا الشعار، و تطوى القضية.(2)

ولكن الزهراء عليها السلام دافعت عن قضية الخلافة، و قضية الإمامة، فهي قضية السماء المتعلقة بزوجها وبنيها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، و تكاد تكون خطبتها عليها السلام(3) البلاغيّة أمام أبي بكر أن تكون حرباً إعلامية أشعلت أوارها فاطمة عليها السلام يومذاك ولم تنطفئ حتى يومنا، بل ستبقى حتى يوم الدين حجّة على المطالبة بالحق، و غرساً لروح المقاومة و المجالدة في

نفوس المسلمين.

1- محمد باقر الحكيم، الزهراء عليها السلام، ص96 . نقلاً عن صحيح مسلم/6 :22.

2- المصدر نفسه.

3- سنتناول أثر هذه الخطبة بالتفصيل في الفصل الرابع من هذا البحث، و هي خطبة طويلة رواها أبوالفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور في بلاغات النساء ص23 عن أبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. و روتها مصادر أخرى.

انتقلت الزهراء عليها السلام إلى بارئها مقهورةً مظلومةً ، مغصوبة الحق، و ماكان هذا بالأمر الهين على أبي الحسن عليه السلام، ولكنه كان موصى بالصبر و التحمّل من الرسول الأكرم صلي اللّه عليه و آله و سلم، وإلا فإنّ علي بن أبي طالب عليه السلام هو

أولى الناس بنصـرة المظلوم و هو ملجأ كل المظلومين بعد الرسول صـلي اللّه عليه و آله و سـلم، فكيف لاينصر الزهراء عليها السلام و هي زوجته في الدنيا والآخرة،(1) و وديعة الحبيب الحبيب المصطفى صلي اللّه عليه و آله و سلم و بها كانت أول وصاياه إليه.

إنّ البلاء و المصائب التي نزلت على بيت علي و الزهراء عليهما السـلام وعدَّ سـماويٌّ و عدوا به، و ما كان لهم سوى الامتثال لهذا الوعد و التصبّر و إن عزّ، دخلت أم سـلمة على فاطمة عليها السـلام فقالت لها: كيف أصـبحت عن ليلتك يا بنت رسول اللّه صـلي اللّه عليه و آله و سلم؟ قالت أصبحت بين كمد و كرب فقد النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم و ظلم الوصي...).(2) ثم إنّها اعتزلتِ القومَ باكيةٌ تندب رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم حتى لحقت به.(3)

قال ابن شـهر آشوب في مناقبه: إنّ الزهراء عليها السـلام ما زالت بعد أبيها معصـبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدة الركن، باكية العين، محترقة القلب

1- سـبط ابن الجوزي، تـذكرة الخواص -الباب الحادي عشـر: ترجمة خديجة الكبرى و فاطمة الزهراء عليهما السـلام، ص359. قال علياً عليه السلام في محاججته لابن مسعود: (أما سمعت رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم يقول: هي زوجتك في الدنيا و الآخرة).

2- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب/ 2، ص234.

3- سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص353.

يغشى عليها ساعة بعد ساعة، تقول لولديها: أين أبوكما،(1) الذي كان يكرمكما و يحملكما؟ أين الذي كان من أشد الناس حبّا لكما و شفقة عليكما؟(2)

و كانت عليه السلام لاتتمثل دائماً بأبيات من الشعر تتذكر بها أيام أبيها فتقول:

صبت عليّ مَصائبٌ لو أنَّها *** صُبّت عَلى الأيَّام عدنَ لياليا

قد كنتُ أرتع تحت ظلَّ محمّدٍ *** لاأخشَى ضيماً و كان جماليا

فَاليومَ أخضع لِلذليل وأَتقي *** ضيمي وَ أدفع ظالِمي بِردائيا

و عندما وقعَ الخطبُ و توفيتِ الزهراء عليها السلام، أوصت الإمام عليّاً عليه السلام أن تدفن ليلاً و لايحضر أحد ممن ظلمها دفنها).(3)

1- أبوكما: تعني جدهما رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم و كان لهما بمنزلة الأب، و كان يقول: ولداي هذان سيدا شباب أهل الجنة.

2- مريم فضل اللَّه، المرأة في ظل الإسلام، ص207.

3- صلى عليها علي عليه السلام و قيل: العباس و دفنها ليلاً بالبقيع. و أما دفنها سلام اللَّه عليها ليلاً فقد روي أنه كان بطلب منها ينظر للمزيد: ابن سعد، الطبقات الكبرى/ 8 ، في ترجمتها، ص29 - 30؛ أما ابن شهر آشوب في مناقبه/ 3، ص412 - 413، فيذكر أنّ الأصبغ بن نباتة سأل أميرالمؤمنين عليه السلام عن دفنها ليلاً فقال: (إنّها كانت ساخطة على قوم كرهت حضورهم جنازتها و حرام على من يتولاهم أن يصلي على أحد من ولدها) و روي أنه سوى قبرها مع الأرض مستويا و قالوا: سوى حواليها قبوراً مزورة مقدار سبعة حتى لايعرف قبرها. و روي أنه رش أربعين قبراً حتى لايبين قبرها من غيره فيصلوا عليها، أمّا غسلها فسئل أبوعبداللَّه عن فاطمة عليها السلام من غسلها؟ فقال: غسلها أميرالمؤمنين عليه السلام لأنها كانت صديقة لم يكن ليغسلها إلّا صديق.

و كانت الزهراء عليها السلام في طلبها أن تدفن ليلاً هو آخر احتجاجاتها على القوم و الأمة فقد أظهرت بذلك مدى غضبها و ألمها مما جرى و سيجري من بعدها.

و رحم اللَّه القائل:

ولأيّ الأمورِ تُدفنُ ليلاً *** بضعة المصطفى و يعفى ثراها

كان وقع يوم الزهراء على علي عليهما السلام، كوقع يوم الرزية يوم فَقْدِ النبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم، بل أشد وقعاً، فقد هدّ منه ركناً بوفاة الحبيب المصطفى صلي اللَّه عليه و آله و سلم، و بقيت له الزهراء عليها السلام بضعةً و أثراً منه، يهوّن عليه فقد الأحبة و فراقهم الأليم، و الآن بفقده للزهراء عليها السلام قد هدّ منه الركنان، فضاقت الدنيا على علي بن أبي طالب عليه السلام، و اشتدّ به الحزن على أم الحسنين عليها السلام، و بعد دفنها هاج به الألم، فوقف على القبر يتحسّر، و قلبه يعتصر أسى ولوعة ثم قال: (السلام عليك يا رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم عني و عن ابنتك النازلة في جوارك، و السريعة اللحاق بك! قل يا رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم عن صفيتك صبري، ورق عنها تجلّدي، إلّا أنّ في التأسي لي بعظيم فرقتك و فادح مصيبتك موضع تعز، فلقد و سدتك في

ملحودة قبرك، و فاضت بين نحري و صدري نفسك. فإنّا للّه و إنا إليه راجعون، فلقد استرجعت الوديعة، و أخذت الرهينة!

أمّا حزني فسرمد، و أما ليلي فمسهد، إلى أن يختار اللّه لي دارك التي أنت بها مقيم، [و ينقلني من الأكدار و التأثيم]،(1) و ستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها، فأحفها السؤال و استخبرها الحال، هذا و لم يطل العهد، و لم يخل منك الذكر.

و السلام عليكما سلام مودع لاقال و لاسئم، فإن أنصرف فلا عن ملالة و إن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد اللّه الصابرين).(2)

إنّ كلمات الإمام علي عليه السلام عند قبر الزهراء عليها السلام هي رمز للوفاء و رمز للمصاب الجلل، و رمز للتشكي عند رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم من أمته فيما كان يعتقده حقا له من الخلافة و نحلة فدك لفاطمة عليها السلام فزحزحها عنهما مع نوع من الاهتضام له، و الغلظة عليه في القول على قرب عهدهم بالرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم و طراوة الذكر الذي هو القرآن الآمر بمودة القربى،(3)

1- أورد هذه الجملة بن شهر آشوب في مناقبه/3، ص413.

2- صبحي الصالح، نهج البلاغة، أنوار الهدى، ط4، مطبعة وفا، 1431هـ، ص403؛ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة/ ج4، من منشورات مؤسسة النصر، 1384 هـ، ص2.

3- البحراني، شرح نهج البلاغة/ ج4، ص4.

فكيف ببضعته الطاهرة التي طالما أوصى علانية و على رؤوس الأشهاد بحرمة إغضابها؟

و خشع الإمام عليه السلام، و لم يتمالك نفسه من البكاء و هو يسوي التراب، ففاضت عبراته، و أخذ ينفض يديه بحركة يائسة، و كأنه فرغ من الدنيا، بعد ما وارى تحت الثرى.(1) سيدة دنياه، زوجته الحبيبة، فاطمة الزهراء عليها السلام.

فمن النساء من تكون امرأة بحد ذاتها، و من النساء من تكون عالم من النساء... أمّا فاطمة الزهراء عليها السلام فكانت لعلي كل النساء، بل سيدة نساء العالمين في الدارين.

1- مريم فضل اللّه، المرأة في ظل لإسلام، ص227.

الفصل الثالث علي عليه السلام و عائشة

إشارة

- علي و عائشة... و الإفك

- علي وعائشة... و الخلافة

- علي وعائشة... و الجمل

ص: 163

علي عليه السلام و عائشة... و الإفك

بعد أن تأملنا صفحات من حياة الإمام علي عليه السلام مع الزهراء عليها السلام، تلك الصفحات التي طواها علي بألم ولوعة، و هي أنصع الصفحات في حياته الجليلة، إذ تظهر و بشكل جلي الموقف المتزن و الحكيم لإمام علي عليه السلام من المرأة ، و طبيعة العلاقة التي تحكم تصرفات الرجل معها، عن طريق تعامله مع زوجته بضعة النبي صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم. فكان عليّ عليه السلام أعظم زوج، و أحب رفيق، و أرقى أب، أظهر لفاطمة عليها السلام محبته ووده، و رعايته و مساندته لها، شد أزرها و أعانها على ما امتحنت به من محن و آلام، و كان شريكها الحقيقي لكل قضية تبنتها، أحب ما أحبت، و أبغض ما أبغضت من شخوص و أشياء، و مواقف و أحداث، جمعهما حب اللَّه سبحانه و تقديس ملكوته، و مؤازرة نبيه صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم، و إخلاصهما للمبادئ الإسلامية السمحاء و دفاعهما عنها.

أمّا في هذا الفصل فسنتصفح صفحة أخرى مغايرة و مختلفة من علاقة الإمام علي عليه السلام بالنساء، إنّها صفحة عائشة زوج النبي صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم، فقد كانت هذه الصفحة على الضد من سابقتها، فصفحة عائشة في حياة الإمام علي عليه السلام كانت صعبة و مضطربة و أليمة تحمّلَ تبعاتها كل من علي عليه السلام و عائشة معاً، كل بحسب نيته و عزمه، بل إنّ عائشة بإشعالها نار حرب الجمل ضد الإمام قد كلفت الإسلام و الأمة الإسلامية و المسلمين كثيراً من الدماء،

ص: 165

و فتحت الباب لفتنة ما تكاد تخمد حتى يعود أوارها كلما أدلى أحدهم بدلوه في هذه المحنة العصيبة و تداعياتها اللامنتهية.

و يبقى السؤال البدهي مطروحاً على العقول دائماً، إن كانت زوجة النبي صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم قد بنت موقفها من الإمام تبعاً لموقفه أو قوله في قضية الإفك، فهل بنى الإمام علي عليه السلام موقفه من المرأة عموماً مفصلاً على مقياس عائشة و فعلها معه؟

إن الإجابة عن هذا السؤال هو ما تذهب إليه بعض الآراء وكثير من الكتاب الذين تناولوا هذه السيرة المشتركة، و حاولوا لي عنق الحقيقة، بالادعاء أن أحاديث الإمام و خطبه التي تُظهر عيوب المرأة لامحاسنها ينبع من موقفه من عائشة !؟ و هذا خلط للأوراق وإساءة لمبدئية شخص الإمام قبل عصمته و تقواه.

لأنّ الإمامَ شخصية متفرّدة غير اعتيادية و هو معصوم في الوقت نفسه، لاتحركه الانفعالات وردود الأفعال، بل هو إنسان (مسلم -مؤمن) يعلم و يعمل بقاعدة السماء، ألا تزر وازرة وزر أخرى، و هو أيضاً سيد الأوصياء و أبوالمعصومين عليه السلام، فهل يعقل أن يحكم على الجنس البشري الأنثوي برمته، بسبب موقف وقفته إزاءه امرأة واحدة؟!؟

ولكي نفهم حيثيات العلاقة بين علي عليه السلام و عائشة علينا أن نطرح السؤال بشكل آخر: لماذا أخذت عائشة موقف الرفض من الإمام علي عليه السلام؟ و هل

هناك مسببات و مسوغات لهذا الموقف؟ و لنعد إلى بدايات العلاقة الإنسانية و العائلية بين الاثنين لنحكم على نهاياتها. فقد أشعلتِ الغَيْرةُ قلبَ عائشة من الكثيرين،(1) و ليس من أبي الحسن فحسب، منذ دخولها بيت النبي المصطفى صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم زوجة مع زوجات أخريات.

فقد بقي النبي صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم من دون زواج ثلاث سنوات، بعد فقده خديجة بنت خويلد عليها السلام أم العيال و ربّة البيت و وزير الصدق في الإسلام و الشريكة في الجهاد، و لم يجرأ الصحابة على الرغم من ذلك على مفاتحته بأمر الزواج.(2) و كان صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم يخلو إلى نفسه ليستعيد ذكرى الراحلة التي ملأت عليه دنياه، و قد تراكمت عليه الهموم و الأحزان.

دخلت عليه خولة بنت حكيم السلمية، و قالت له: يا رسول اللَّه صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم كأني أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة عليها السلام؟! فأجاب عليه الصلاة و السلام: (أجل كانت أم العيال و ربّة البيت). فاقترحت عليه خولة بعد حديث طويل أن يتزوج، فأجابها بنبرة عتاب..." من بعد خديجة عليها السلام؟ " فقالت: هون عليك، إن أردت ثيباً فهذه سودة بنت زمعة... أو أردت بكراً... فعليك بعائشة بنت أبي بكر، فقال لها: لكنها لاتزال صغيرة يا خولة،

1- للمزيد ينظر: مريم فضل اللَّه، ص159 -160 و حكاية كيدها لزوجة النبي صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم أسماء بنت النعمان.
2- غادة الخرسا، ص123.

و كان رد خولة حاضراً: تخطبها اليوم إلى أبيها، ثم تنتظر حتى تنضج.(1)

فكان دخول عائشة بيت الرسول صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم بعد دخول سودة بنت زمعة بن ياس بن عبد شمس بن عبد ود العامرية و أمها الشموس بنت قباس من بني عدي النجار، و كانت من النساء المؤمنات التي أفسحت لعائشة كل المجال كزوجة شابة بل إنها و هبت ليلتها لعائشة، فاهتز الرسول الكريم صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم بهذه العاطفة الفياضة و ذلك الإيثار و السمح.(2)

دخلت عائشة بيت النبي صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم وهي بنت تسع، بعد أن عقد الرسول الكريم صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم عليها بمكة و هي لاتزال يومئذ بنت ست سنوات على ما يروى –ومنهم من قال سبع سنوات– و كانت عائشة على صغر سنها،

نامية ذلك النمو السريع التي تنموه بنات العرب، و قد اكتسبت العلم في حياتها مع الرسول صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم و قد عرف عنها أنها كانت تسأل عن أشياء تدل على فطنتها و ذكائها. و على الرغم من سعة العلم هذه فإن عائشة كانت مشغولة بقضايا دنيوية لاتبعد عن طبيعتها كامرأة، فقد كانت أكثر نساء النبي صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم غيرة عليه و اهتماماً زائداً بالاستئثار بحبه، فهي لذلك كانت تعمل دائبة على المباعدة بين النبي و زوجاته.(3)

1- مريم فضل اللَّه، المرأة في ظل الإسلام، ص151 - 152.

2- غادة الخرسا، ص123.

3- المصدر نفسه، ص126.

و قـد جاء في (مجلة الأزهر) هذا القول:(1) «و كانت عائشـة رضوان اللّه عليها -إلى ما خصـها اللّه به، بعيـدة الهمّة، طماحة(2) إلى ذروة المجـد. لم يكفهـا أن حظيت بأسـمى مكانـة من صواحبها لـدى النبي صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سـلم، حتى رغبت أن تحتل من قلبه المكان الأول، مكان الصديقـة الأولى -أي خديجة عليها السـلام- و الحبيبة الفضـلى، التي لايفتأ يذكرها و يبشـرها، و يكرم من أجلها خلائلها، و يثني عليها ثناءً كريماً يسابع الـدهر. و عبثاً حاولت الصديقـة بحسن الـدل، و لطف الحيل، و فنون الذكاء و النبل، أن تُقنع سـيد الأوفياء، و أكرم النبلاء، بأن اللَّه أبدله خيراً من خديجة... فلتلق السـلم إذاً، و لاتجادل في الحق بعدما تبين، و لتعلم أن المجادلة و المنافسة والغيرة من أعقـل العقائـل و فضـلى الفواضـل، و مَن لها قـدمُ الصـدق و فضل السـبق لاتزيـد صاحبتها التي لم ترها إلا صـدقاً من عاطر الثناء و خالد الذكر).(3)

1- جورج جرداق، الإمام علي عليه السـلام صوت العدالة الإنسانية، اختصـره و حققه حسن حميد السـنيد، مركز الطباعة و النشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ط1، 1424 هـ ق، ط 2 1426هـ ق مطبعة ليلى، ص573.

2- طماحة: شرهة، الصحاح1/ 388، مادة (طمح).

3- مجلة الأزهر: الجزء العاشر -المجلد السابع والعشرون- 11 مايو 1956 ص1063 - 1064.

دخلت عائشة بيت النبي صَّلي اللّه عليهِ و آله و سلم، لتثير غيرتها زوجة راحلة لازوجة حية، و لم تكتم عائشة غيرتها هذه تقول: (ما غرتُ على أحد من نساء النبي صَّلي اللّه عليهِ و آله و سلم ما غرتُ على خديجة عليها السلام، و ما رأيتها ، ولكن كان النبي صَّلي اللّه عليهِ و آله و سلم يكثر ذكرها، و ربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعث بها في صدائق خديجة عليها السلام؟ فربما قُلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة عليها السلام! فيقول: إنها كانت، وكانت، و كان لي منها ولد).(1)

فإنّ عائشة تعترف بأنّ النبي صَّلي اللّه عليهِ و آله و سلم كان يؤثر خديجة عليها السلام على زوجاته جميعاً. و من الطبيعي أن يؤثر ذلك في نظرتها إلى فاطمة بنت خديجة عليها السلام، ثم في موقفها من علي عليه السلام زوج فاطمة عليها السلام و والد سبطي الرسول صَّلي اللّه عليهِ و آله و سلم حفيدي خديجة عليها السلام.(2)

و لطالما أوجعت عائشة سيدتنا فاطمة عليها السلام بذكر والدتها و محاولة التقليل من قدرها لدى النبي صَّلي اللّه عليهِ و آله و سلم فتشكوها إلى والدها فيطيب خاطرها بكلام فصل في منزلة والدتها عنده.(3)

بقيت خديجة الكبرى عليها السلام تشارك عائشة عواطف الزوج و حنانه، بل تستأثر بمحبته الخالصة لها، و هي بين الأموات، و تحت الثرى، ولكن طيفها ما زال ماثلاً أمام عيني الرسول صَّلي اللّه عليهِ و آله و سلم و لسانه يلهج بذكرها يردد

1- جورج جرداق، ص574 . نقلاً عن البداية و النهاية: 3/ 158.

2- المصدر نفسه.

3- ينظر الفصل السابق.

اسـمها في كل حين ، و لم يسأم من الثناء عليها حتى تأججت نار الغيرة في قلب عائشـة فلم تتمالك أن قالت للرسول صَّلي اللّه عليهِ و آله و سلم: (ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين، قد أبدلك اللَّه خيراً منها)، فآلم النبي صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سـلم هذا القول، وردّ عليها قائلاً: (ما أبدلني اللَّه خيراً منها، كانت أم العيال و ربة البيت، آمنت بي حين كذبني الناس، و واسـتني بمالها حين حرمني الناس، و رزقت منها الولد و حرمت من غيرها).(1)

فلاغرابة أن تزداد نار الغَيْرة في قلب عائشة و هي تسـمع النبي صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم يردّد في كل حين (كان لي منها ولد) و عائشة تلك الشابة الجميلة –ذات الذكاء و الفطنة لم تنجب لزوجها ولداً، في حين أن خديجة عليها السـلام و هي العجوز –بحسب قولها– قد أنجبت له البنين و البنات.(2)

إنّ مرارة العقم و مرارة عواطف الأمومة المحرومة منها، سـبَّبت لها هذه المشاعر الفطرية الطبيعية، إذ كانت تثير في نفس السيدة عائشة دائماً شعوراً بالخسـران، و هي تنظر إلى بنات ضـرتها (خديجة عليها السلام) متحسّرة تشعر كأَنَّ حواجز منيعة تقوم بينها و بينهن، بل ترى أن كل واحدة منهن هي صورة عن ضـرتها التي استأثرت بقلب الزوج الرسول صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم و ما بلغته من إيثار لم يبلغه أحد من قبل، و لا من بعد.(3)

1- موجز سيرة الرسول صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم و أهل البيت عليهم السلام، تأليف و نشر: لجنة التأليف –مؤسسة البلاغ، ص104.

2- مريم فضل اللَّه، ص158.

3- المصدر نفسه، ص159.

و قد حظيت الزهراء عليها السلام بالنصيب الأوفر من هذه المشاعر، هي و زوجها و أولادها، و هي ترى بأم عينها لهفة النبي صَّلي اللّه عليهِ و آله و سلم عليهم و محبته و رعايته الدائمة لحركاتهم و سكناتهم. إذا ما أخذنا بالحسبان أنّ عائشة لحظة وفاة الرسول صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم لم تبلغ العشرين، و قد عاشت بعده خمس و أربعين سنة،(1) أي أنّها كانت مقاربة لعمر الزهراء عليها السلام!

إنَّ كره عائشة لعلي قديم يعود تاريخه إلى اليوم الذي دخلت فيه بيت الرسول صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم على ما يذكر أكثر المؤرخين، و من أسباب كرهها لعلي عليه السلام منذ تلك الساعة: أنه زوج فاطمة عليها السلام، و فاطمة بنت خديجة عليها السلام التي شغلت وجدان النبي صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم بنبلها و سمو أخلاقها، شغلت وجدانه في حياتها و تركت فيه بعد موتها مكانا لم تستطع عائشة بكل ما فيها من مزايا أن تزاحمها فيه.(2)

إن كتب السير تجمع على أن عائشة هي من بدأت النفور من على عليه السلام، بل إن الأحاديث المتواترة تؤكد حقيقة رفضها ذكر علي بخير و هي تستطيع، روى عكرمة عن عائشة في حديثها له بمرض رسول اللَّه صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم

1- غادة الخرسا، ص125.

2- جورج جرداق، ص573. لقد كادت عائشة بالتعاون مع حفصة بنت عمر لزوجات أخريات. للمزيد ينظر: تراجم سيدات بيت النبوة صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم للدكتورة بنت الشاطئ.

و وفاته، فقالت في جملة ذلك: فخرج رسول اللّه صَلي اللّه عليهِ و آله و سـلم متوكياً على رجلين من أهل بيته عليهم السلام أحدهما الفضل بن العباس، فلما حكى عنها ذلك لعبداللّه بن العباس، قال له: أتعرف الرجل الآخر، قال: لا لم تسمه لي،

قال: ذاك علي بن أبي طالب عليه السلام و ما كانت أمنا تذكره بخير و هي تستطيع.(1)

و بعضـهم الآخر يُرجع سبب كرهها للإمام علي عليه السلام و خروجها عليه بحرب الجمل رداً منها على موقفه في قضية الإفك، بل يجعله السبب الرئيس وراء كرهها الشديد لعلي يوم أشار على الرسول بطلاقها.(2)

ذكر طه حسـين في الخلفـاء الراشـدون: (وكان معروفاً أن عائشـة لم تكن تحب عليا و لاتهواه، بل كان معروفاً أنها كانت تجـد عليه موجـدة شديـدة منـذ حـديث الإفـك، حين أراد علي أن يواسـي النبي صَلي اللّه عليهِ و آله و سـلم فأشار عليه بأن يطلقها و قال له: (إن النساء غيرها كثير).(3) و كان ذلك قبل أن يُنزل اللّه براءتها في القرآن. فلم تنس لعلي عليه السلام قوله ذلك. و كانت

1- المفيد، الإرشاد، فصل في ذكر بعض خصائصه و مناقبه، ص164.

2- جورج جرداق، علي صوت العدالة...، ص574.

3- طه حسـين، المجموعـة الكاملة لمؤلفاته -المجلد الرابع/ الخلفاء الراشدون، دارالكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، بيروت -لبنان ، 1973، ص453-454.

عائشـة من أقوى الشخصـيات التي عرفها تاريخ المسـلمين في ذلك العهد، لم تكن رقيقة كأبيها، بل كانت شديدة كعمر، على احتفاظ منها بكثير مما ورثت العرب عن جاهليتها. فكانت تحفظ الشعر و تكثر من حفظه و إنشاده و التمثل به.(1)

و لعلّ قضـية الإفك كانت أكبر و أخطر حادثة تعرضت لها السـيدة عائشة في حياتها، و جعلت مسألة اقترانها أو افتراقها عن النبي صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سـلم على المحـكّ، فقـد أقـدم أعـداء الإسـلام و الرسـول صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سـلم على بث إشاعـة خبيثـة في أثنـاء رجوع المسـلمين من غزوة بني المصطلق، و قد ورد ذكرها في القرآن الكريم: «إِنّ الّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لاتَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنْ الإِثْمِ وَ الّـذِي تَوَلّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَـذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلَا إِذْ سَـمِعْتُمُوهُ ظَنّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِـهِمْ خَيْرًا وَ قَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ».(2) و نفيد من هذه الآيات أن بعضهم رمى بعض

1- تمثلت عنـد احتضـار أبيهـا قول الشـاعر: العمرك ما يغني الثراء عن الفتى *** إذا حشـرجت يوما و ضاق به ا الصـدر فنهرها أبوها منكراً قولهـا: بـخ بـخ يـا أم المؤمنين! هلاتلوت قول اللَّه عز وجل «وَجاءَتْ سَـكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقّ ذلِكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيـدُ» ق: 19، للمزيد ينظر: المصدر نفسه.

2- النور: 11 - 12، هذه الآيات تشـير إلى حديث الإفك، و قد قيل إنها نزلت في عائشة، و قيل في مارية القبطية أم إبراهيم. للمزيد يراجع الميزان في تفسـير القرآن/ 15 للعلامـة محمد حسـين الطباطبائي، مؤسـسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1394هـ- 1974م، ص89 - 107.

أهل النبي صَّلي اللّه عليهِ و آله و سـلم بالفحشاء، و كان الرامون عصـبة من القوم، فشاع الحديث بين الناس يتلقاه هذا من ذاك، و كان بعض المنافقين أو الذين في قلوبهم مرض يساعدون على إذاعة الحديث، حباً منهم أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، فأنزل اللّه الآيات مدافعاً عن لنبيه صَّلي اللّه عليهِ و آله و سلم(1) و بعد أن امتحن اللّه به أسرة، هي في قمة أسر الدنيا نقاء، تلك أسرة الرسول الكريم صَّلي اللّه عليهِ و آله و سلم.

والـذي حـدث أنّ السـيدة عائشـة رافقت النبي صَّلي اللّه عليهِ و آله و سـلم في غزوة بني المصـطلق، و تخلفت عن الركب قليلاً في العودة فأثارت قلق الناس، و بعد ساعة شوهدت تركب بعيراً يقوده صفوان بن المعطل السلمي، و كان الأمر اعتيادياً، لولا ألسنة بعض اليهود الذين بثوا شائعات مغرضة وصلت إلى سمع النبي صَّلي اللّه عليهِ و آله و سلم فاذته، فقام في الناس يخطبهم فحمد اللّه و أثنى عليه ثم قال: "يا أيها النـاس، مـا بـال رجـال يؤذونني في أهلي و يقولون عليهم غير الحق؟ واللّه مـا علمت منهم إلا خيراً، و مـا يـدخل بيتـاً من بيوتي إلا و هو معي."(2)

1- حسن السعيد، سيكولوجية الإشاعة/ رؤية قرآنية، دار دجلة، ط1، 2011، عمان -المملكة الأردنية الهاشمية، ص78 و ما بعدها.

2- غادة الخرسا، ص126.

وقاد حملة النفاق والدس عبداللّه ابن أبي سلول الذي استمر ينفث حقده الدنيء على الرسول صَّلي اللّه عليهِ و آله و سلم منذ جاء إلى دار الهجرة. قال ابن عباس:(1) منهم عبداللَّه بن أبي سلول و هو (الذي تولى كبره) و هو من رؤساء المنافقين و مسطح بن أثاثة و حسان بن ثابت وحمنة بن جحش و هو قول عائشة، و بحسب الرواية التي تقول: إنّ المقذوفة هي عائشة، و إنَّ سبب الإفك أن عائشة ضاع عقدها في غزوة بني المصطلق، و كانت تباعدت لقضاء حاجة فرجعت تطلبه، وحمل هودجها على ظنَّا منهم أنها فيه، فلمَّا صارت إلى الموضع وجدتهم قد رحلوا عنه، و كان صفوان بن معطل السلمي الذكواني من وراء الجيش فمرّ بها، فلمَّا عرفها أناخ بعيره حتى ركبته، و هو يسوقه حتى أتى الجيش بعدما نزلوا في قائم الظهيرة. هكذا رواه الزهري عن عائشة.(2) فقال أهل الإفك ما قالوا و اخترعوه من الأكاذيب.

و كان الذي تولى كبره، وقاد حملته واضطلع منه بالنصيب الأوفى هو عبداللَّه بن أبي بن سلول رأس النفاق، و حامل لواء الكيد، و لقد عرف كيف يختار مقتلاً، لولا أنّ اللَّه كان من ورائه محيطاً، و كان لدينه حافظاً، و لرسوله صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم عاصماً، و للجماعة المسلمة راعياً.

1- حسن السعيد، سيكولوجية الإشاعة، ص80.

2- المصدر نفسه، نقلاً عن: التبيان/ 7، ص415.

انتقلت عائشة إلى بيت أبيها، و دامت هذه المحنة شهراً كاملاً، كانت أزمة حادة عنيفة زلزلت أخلاق الناس، و شاع بهم همَّ عظيم.

و قد استشار النبيُّ صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم علي بن أبي طالب عليه السلام و أسامة بن زيد، فأما أسامة فقد أثنى على عائشة خيراً، و قال: يا رسول اللَّه صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم أهلك و لانعلم منها إلا خيراً، هذا الكذب و الباطل.(1)

و أما علي عليه السلام فإنه قال: يا رسول اللَّه صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم، إنّ النساء لكثير، و إنك لقادر على أن تستخلف رسل الجارية فإنها ستصدقك. فدعا الرسول صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم الجارية بريرة و سألها فقالت: واللَّه ما أعلم إلا خيراً و ما كنت أعيب على عائشة شيئاً إلا أني كنت أعجن عجيني فأمرها أن تحفظه فتنام عليه، و تأتي الشاة فتأكله!

واستمرت الحَيْرة، و بقي حديث الإفك من دون حلَّ حاسم له إلا قول السماء فيه، بنزول وحي اللَّه: «وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَ لاتَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ»(2)... و «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ...».(3)

1- غادة الخرسا، ص127.

2- سورة النور، الآية 4.

3- سورة النور، الآيات من11 إلى19.

و خرج رسول اللّه صَلي اللّه عليهِ و آله و سـلم من هذه المعركة و المحنة العظيمة منتصـراً كاظماً لآلامه الكبار، محتفظاً بوقار نفسه و عظمة قلبه و جميل صبره.(1)

و أمّا عائشة فعادت إلى مكانها في بيت الرسول صَلي اللّه عليهِ و آله و سـلم، لتستأنف حياتها الزوجيّة معه من دون أن تنسى قول الإمام علي عليه السـلام للنبي صَلي اللّه عليهِ و آله و سـلم في إمكانيـة اسـتبدالها فالنساء كثير، و لو تمعنا بهذا الموقف قليلاً لوجدنا أن النبي صَلي اللّه عليهِ و آله و سلم قد طلب المشورة من اثنين هم الأقرب إلى أهل بيته عليهم السلام، و هذا تصرف

طبيعي و حكيم ، فأما أسامة فلم يقل إلا كلمة طيبة من دون محاججة أو دليل الامام على عليه السلام فكان رأيه أكثر دلالة و معنى، ويتوافق مع ما عرف من أبي الحسن عليه السـلام. فهو في جانب قد واسى أخاه وحبيبه المصطفى صَلي اللّه عليهِ و آله و سلم، و هو يراه يمتحن هذه المحنـة العظيمة في أهل بيته عليهم السـلام، بالتهوين من الخطب و التخفيف عنه، ثم عمد إلى أسـلوب الاسـتنطاق، فطلب جارية عائشـة لمعرفة أحوالها و ما يكون منها و هذا الأسلوب لطالما اتبعه الإمام علي عليه السلام في قضايا أخرى قد قضى فيها فأصاب.

و هنا كان على عليه السـلام عائشـة أن تفرح بهـذه الشـهادة و الاسـتنطاق؛ لأنّها أظهرت براءتها و طفوليـة تصـرفاتها و عـدم عنايتها ببعض الجزئيات؛ و يعود ذلك ربّما لصغر سنها.

1- حسن السعيد، سيكولوجية الإشاعة، ص81.

و لو لم يعمد الإمام علي عليه السلام إلى هذه الطريقة لكان قوله مشابه لقول أسامة و غيره، كلمة طيبة تقال لاغير، من دون أثر أو حجّة أو شهادة شاهد.

أمّا فهم عائشة المغاير لقول الإمام عليه السلام، و كذلك فهم و آراء الكتاب ممن تناولوا هذه القضية، فيجافي الحق و الحقيقة لسبب جوهري لايُمكن إغفاله، أنّ الإمام عليّاً عليه السلام بإيمانه بالرسول صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم و حبّه الجمّ له لايمكن أن يوجعه بقول أو رأي يخالف ما تريده نفسه، و هو الأحرص و الأكثر غَيْرة على بيت النبي صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم و عروس النبي صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم و الواثق من طهارة و نقاء رداء يتسربل به رسول اللَّه صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم.

ولكنّ زوج النبي صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم عائشة أخذت من القول ظاهره و اعتمدته منهاجا في تعاملها مع الإمام علي عليه السلام، فما كانت تطيق له حضوراً أو انصرافاً عن النبي صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم، بل كانت تظهر رفضها و استنكارها لاستفراد النبي صَّلي اللَّه عليهِ و آله و سلم بعلي عليه السلام و مناجاته له في كل خلوة.

و أظهرت موقفها صريحاً واضحاً فيما بعد، عندما جاءها خب-استخلاف الإمام علي عليه السلام خليفة للمسلمين فأعلنت رفضها الثابت لكلَّ خير يصل إليه.

علي عليه السلام و عائشة... و الخلافة

لاتذكر لنا كتب السير و التاريخ أنَّ عائشة زوج النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان لها قول أو موقفٌ معارض للخلافة الإسلاميَّة بعد وفاة الرسول الكريم صلى اللَّه عليه و آله و سلم ، إلا موقفها في الأيام الأخيرة من عهد الخليفة عثمان بن عفان، فعائشة راضية عن الحال ما دامت الخلافة بعيدة عن علي بن أبي طالب عليه السلام حتى إذا ما صارت إليه، نراها زعقت بالقوم تؤججهم ضده، و ترفع أول راية للحرب و المعارضة.

إنَّ حقد قريش لعلي أمر يعرفه أبوالحسن عليه السلام و هو القائل فيها: كل حقد حقدته قريش على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم أظهرته فيّ و ستظهره في ولدي من بعدي ما لي ولقريش إنما وترتهم بأمر اللَّه و أمر رسوله صلى اللَّه عليه و آله و سلم أفهذا جزاء من أطاع اللَّه و رسوله صلى اللَّه عليه و آله و سلم إنْ كانوا مسلمين.(1)

و في خطبة أخرى له عليه السلام يستعين باللَّه على ظلم قريش له بقوله: «اللَّهُمّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ ومَنْ أَعَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي وصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِيَ وأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي ثُمّ قَالُوا أَلَا إِنّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ».(2)

1- كاظم النقيب، أئمتنا قادة و هداة، ص477. نقلاً عن ينابيع المودة، ص111.

2- محمدجواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة -محاولة لفهم جديد- الجزء الثاني، دارالعلم للملايين، ط3، بيروت -لبنان، 1979، ص504.

وما الذي أنكرته عائشة من علي عليه السلام، و هي التي طالما سمعت نهي النبي صلى اللّه عليه و آله و سلم و أوامره صلوات اللّه و سلامه عليه بحفظ حق علي و عواقب بغضه و معاداته. و هي التي حدثت بهذا الحديث النبوي الشريف صلى اللَّه عليه و آله و سلم (علي خير البشر). فعن ابن مجاهد في التاريخ، و الطبري في الولاية، و الديلمي في الفردوس، و أحمد في الفضائل، و الأعمش عن أبي وائل، و عن عطية عن عائشة....، قالوا: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم: (علي خير البشر، فمن أبى فقد كفر و من رضي فقد شكر).(1)

و قال لها أخوها محمدبن أبي بكر: أما سمعتِ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم يقول: علي عليه السلام مع الحق و الحق مع علي عليه السلام، ثم خرجت تقاتلينه بدم عثمان!(2) فعلي عليه السلام هو إمام المتقين(3) بصريح الروايات المتواترة عن النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم، و ما هذه الحقيقة البينة ببعيدة عن ذهن عائشة أو غيرها من أمهات المؤمنين من زوجات النبي المصطفى صَلَّى اللَّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سَلَم.

و عن الفقيه الهمداني الشافعي في المودة الثالثة من مودة القربى عن عائشة عن رسول اللَّه صَلَّى اللَّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سَلَم قال: (إن اللَّه قد عهد إلي من خرج على عليه السلام علي فهو كافر في النار).(4)

1- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب/3، ص82.

2- كاظم النقيب، أئمتنا...، ص475.

3- ابن شهرآشوب، المناقب/3، ص79.

4- جواد جعفر الخليلي، أميرالمؤمنين عليه السلام ص98.

ولو أن عائشة تعلقت باعتذارها ببعد الزمان ونسيانها هذه الأحاديث، فما اعتذارها بعد التذكير والتحذير.

فهـا هي أم المؤمنين أم سـلمة تعيـد عليهـا الـذكريات و أقوال رسول اللّه صَلى اللّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سّ لَم في علي وإنه وصـيه و حبيبه و وزيره و خليفته، و تأكيده في أن إحدى نسائه ستخرج على علي و تنبحها الكلاب عند ماء حوأب مع تأكيده بالخشية من أن تكون هي المعنية بذلك ؟!

و لسنا هنا في باب المفاضلة بين زوجات رسول اللّه صَلى اللّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سَلَم، ولكن يحق لنا بوصفنا باحثين عن الحقيقة أن نكثر الحديث عن هـذه المرأة المؤمنة أم المؤمنين أم سـلمة رضـي اللّه عنها، و هي الحافظة لقول الرسول صَلى اللّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سّ لَم و أمره و نهيه، و كل تعليماته وذكرياته بوصفه نبيّاً و رسولاً صَلى اللّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سَلَم و زوجاً و وليّ أمر، فكم حدثت، وكم حذرت ، ولننظر إلى صدق أحاديثها التي تظهر عمق إيمانها وعنفوانه ، وهي توالي من والاه محمد ، ففي حديث العيبة .. ، يحمّل رسولُ اللّه صَلى اللّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سَلَم أمَّ سلمة مسؤولية إسـلاميَّة مضاعفة فهو يريدها سامعة، و شاهدة على قوله في ابن أبي طالب عليه السـلام و كذلك شاهدة حيَّة على محبته لابن عمه وتفضـيله على سائر الخلق، فيقول لها: (يا أم سـلمة اشـهدي واسمعي هذا علي أميرالمؤمنين عليه السلام...)، و لو لم تكن أم سلمة صادقة الإيمان و مرضيّاً عنها من اللّه عزوجل و نبيه، أما كان لها أن

تخفي كل هـذه الكنوز المحمديَّة و الدرر الإيمانيَّة التي أتحفها بها الرسول صَّلى اللّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سّلَم بحق علي عليه السـلام!! ، و لاعتبَ عليها إن ادعت كما قالت صاحبتها... لقد نسيت!؟!

أم سـلمة زوج الرسول الأكرم صَّلى اللَّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سّلَم كانت تعلم بغضَ عائشة لعلي عليه السلام، فلم يكن كرهها له بالأمر الخفي، وها هي أم سلمة تذكّرها بمواقف كرهها لعلي أيام الرسول صَّلى اللَّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سَلَم.

روى ابن أبي الحديـد في تاريـخ أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي أنَّ أم سـلمة حينما كانت حاجّـة في مكـة سـمعت أنَّ عائشة تطالب بدم عثمان و تقصد البصرة فتأثرت كثيراً و لما علمت عائشة بوجودها في مكة قصدتها كي تحاول استصحابها معها للبصرة. فقالت لها أم سلمة: لقد كنتِ يا عائشة بالأمس القريب تحرّضين على قتل عثمان و تنسبين له ما يستوجب قتله، و اليوم -كرهًا لعليّ عليه السلام- تطالبين بدمه، فهلاـ أذكرك بـأني و رسول اللَّه صَّلى اللَّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سّلَم جئنـاك إلى حجرتـك و خلالها جاء علي عليه السـلام و ذهب إليه رسول اللَّه و طالت بينهما النجوى فأردتِ الهجوم فمنعتك فلم تكترثي و هجمت و قلت كل تسـعة أيام يوم لي من رسول اللَّه صَّلى اللَّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سَلَم و هذا اليوم جئت و ألهيت النبي صَّلى اللَّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سّلَم عني فغضب رسول اللَّه صَّلى اللَّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سّلَم و احمَّر وجهه، و قال لك: (ارجعي وراءك واللَّه لا

يبغضه أحد من أهل بيتي عليهم السلام و لا من غيرهم من الناس إلا و هو خارج من الإيمان) فرجعت نادمة؟ فأجابت: نعم.(1)

إنَّ موقف رسول اللَّه صَلى اللَّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سَلَم الواضح و القاطع من بغض علي عليه السلام، كان يبيّنة مراراً أمام عائشة علَّها ترتدع عن مواجهة ابن عمه الأثير لديه، لكن هيهات لقد سبق السيف العذل، و ها هو يلقيها صريحة، إنَّ من تحارب علي تزل قدمها عن الصراط بقوله: (من منكن صاحبة الجمل...)، إذ عادت أم سلمة و سألت عائشة في ذات الموقف السابق: أتذكرين يوماً كنت تغسلين رأس رسول اللَّه صَلى اللَّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سَلَم و أنا كنت أهيئ غذاء ، فرفع رسول اللَّه صَلى اللَّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سَلَم رأسه و قال: من منكن صاحبة الجمل التي تنبحها كلاب الحوأب و يزل قدمها عن الصراط و تقع. فرفعت يدي عن الغذاء و قلت أعوذ برسول اللَّه صَلى اللَّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سَلَم من هذا الأمر، و عندها طبطب على ظهرك و قال: اتقي أن تكوني أنت صاحبة ذلك العمل؟ فأجابت عائشة: أذكر.(2)

استنكرت أم سلمة الموقف المستقبلي و نبوءة زوجها النبي صَلى اللَّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سَلَم، فاستعاذت برسول اللَّه صَلى اللَّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سَلَم من هذا الأمر من دون عائشة التي كانت إحدى اثنتين ستتقلد وزر هذا الأمر الجلل، و ها هو تصرف النبي صَلى اللَّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سَلَم اللاحق

1- جواد جعفر الخليلي، أمير المؤمنين عليه السلام/ القسم الثاني، ص99.

2- المصدر نفسه.

يؤكّده و يلبسها ثوب تهمته بل إنها تتقمصه بجدارة عندما طبطب الرسول صَّلى اللّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سَلَم على ظهرها قائلاً لها: (اتقي أن تكوني أنت صاحبة ذلك العمل؟!).

و لو لم يكن إلا هذه الاستذكارات من أم سلمة لكانت رادعة لأيِّ امرأة أخرى غير عائشة في أن تمضي فيما عزمت عليه.

إن موقف أم المؤمنين أم سلمة لم يكن بالقول فحسب، بل و الفعل أيضاً، فبعد حديث استذكار طويل مع عائشة لتردّها عما نوت و تردعها بقولها: (يا عائشة إنك تعرفين منزلة علي عند رسول اللّه صَّلى اللّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سّلَم فأي خروج تخرجين بعد هذا؟) فقالت عائشة: (إنَّما أخرج للإصلاح بين الناس و أرجو فيه الأجر إن شاء اللّه. قالت أم سلمة: (أي أجر يا عائشة ؟! قال تعالى : «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ»(1) عودي فقرّي في بيتك).(2)

و في قول آخر لها: (أقسم باللّه لو سرت مسيرك هذا، ثم قيل لي ادخلي الفردوس لاستحييت أن ألقى محمداً صَّلى اللّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سّلَم هاتكة حجاباً قد ضربه عليّ،عليه السلام اجعلي حصنك بيتك، و الستر قبرك حتى تلقيه، و أنت على ذلك أطوع ما تكونين للّه ما لزمته، و أنصر ما تكونين للدين ما جلست عنه).(3)

1- سورة الاحزاب آية 33.

2- عبد الرحمن الشرقاوي، ص 258.

3- محمد جواد مغنية، فضائل الإمام علي عليه السلام، ص129. نقلاً عن ابن الأثير/ ج3، ص109.

ثم إن أم سلمة أرسلت إلى علي عليه السلام: (يا أميرالمؤمنين عليه السلام لولا أن أعصي اللّه تعالى عزوجل -و أنت لاتقبل مني هذا- لخرجت معك. و هذا ابني عمر يشهد معك مشاهدك) و أرسلت ابنها عمر بن سلمة بهذا الكتاب. و جهزته للحرب مع الإمام علي عليه السلام.(1)

كان من الممكن أن يوظّف أيّ طرف حرب غير على بن أبي طالب عليه السلام -بورقة أم سلمة أم المؤمنين عاملً ضغط على موازين الحرب، و كان يمكن له استغلال تأييدها له أقصى استغلال، فإن كان الطرف الآخر تتقدمه زوج نبي وإحدى أمهات المؤمنين، فالجانب الآخر يمثل عليّاً عليه السلام و من معه أيضاً إحدى زوجات النبي صَلى اللّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سَلَم و أم المؤمنين!.

ولكن أم سلمة تعلم علم اليقين أنّ عليّاً عليه السلام لايرضى لها هذا الموقف و هي قد صرحت له بذلك (و أنت لاتقبل مني هذا)، بل إنّ علياً عليه السلام لم يرض هذا الموقف حتى لعائشة، و أرسل لها كتاباً و كلاماً يوضّح لومه لمن أخرجوها و حصنوا نساءهم.

جاء في إحدى خطبه عليه السلام:«فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سَلَم كَمَا تُجَرُّ الأمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا وَ أَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سَلَم لَهُمَا وَ لِغَيْرِهِمَا فِي جَيْشٍ مَا

1- محمدجواد مغنية، فضائل الإمام علي عليه السلام، ص129. نقلاً عن ابن الأثير/ ج3، ص109.

مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلا وَ قَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ و سَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَه...).(1)

أظهر الإمام علي عليه السلام عتبه و ألمه بسبب إخراج طلحة و الزبير أم المؤمنين عائشة من خدرها، و إركابها الجمل ليؤديا مهمة قميص عثمان الذي نشره معاوية في بلاد الشام لكسب الأصوات، فعلي عليه السلام يلقي باللوم هنا و التبعة على الزبير و طلحة اللذين تجرءا على إخراج عائشة من خدرها، و أظهراها للملأ، و أبقى كل منهما زوجته في الخدر!.

و وصف الإمام عائشة بالحبيس لقوله تعالى: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهليّة الأُولَى»؛(2) أو لأنها محبوسة عن الرجال بعد رسول اللَّه صَلَّى اللَّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سَلَم.(3)

فكلُّ ما يعني الإمام علي عليه السلام ويهمه في هذا الموقف هو حفظ كرامة حرم رسول اللَّه صَلَّى اللَّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سَلَم و ستره من بعده، فلاتُصبح عرضة لأنظار طلحة و الزبير أو غيرهما. فكانت هذه أول بدعة في الإسلام و تليها شهادة الزور بأنّ الكلاب النابحة على الجمل ليست كلاب حوأب.

1- محمدجواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة/ محاولة لفهم حديد -الجزء الثاني، ص506.

2- سورة الأحزاب، آية 33.

3- محمدجواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ص507.

و موقف الإمام علي عليه السلام يمثل المبدأ الإسلامي في ضرورة حفظ المرأة و عدم امتهان كرامتها، و استغلالها وسيلةً لتحقيق رغبات الطامحين إلى السلطة أو غيرها من المكاسب الدنيوية، و كان هذا الفعل ليسعد أم المؤمنين عائشة لو حكمت العقل وأصغت للنصح، فقد كتب لها علي عليه السلام ليدين خروجها و من تبعها، و ليسلّط الضوء الكاشف على الدوافع و المزاعم(1): (أما بعد: فإنك قد خرجت من بيتك عاصية اللَّه و لرسول اللَّه محمد صَلى اللَّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سَلَم، أتطلبين أمراً كان عنك موضوعاً، و تزعمين أنك تريدين الإصلاح بين المسلمين، فخبرينا ما للنساء وقود العساكر و الإصلاح بين الناس، و طلبت كما زعمت بدم عثمان، و عثمان رجل من بني أمية و أنت امرأة من بني تيم بن مرة، و لقد كنت تقولين بالأمس اقتلوا نعثلاً فقد كفر، و لعمري أن الذي عرضك للبلاء و حملك على المعصية لأعظم إليك ذنباً من قتلة عثمان، و ما غضبت حتى أغضبت. و لا هجت حتى تهيجت، فاتقي اللَّه يا عائشة و ارجعي إلى منزلك و أسبلي عليك سترك، والسلام).(2)

1- مهدي محبوبة، ملامح من عبقرية أمام علي عليه السلام، تقديم و تمهيد هاشم محمد الباججي، إصدارات العتبة العلوية المقدسة/ قسم الشؤون الفكرية و الثقافية (49)، دارالمعارف للمطبوعات، ط1 ، بيروت -لبنان، 2012، ص221.

2- ابن شهر آشوب، المناقب/ 3، ص179.

وفي قول آخر له: (واللّه إن راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبة، و لاتحل عقدة إلا في معصية اللّه و سخطه، حتى تورد نفسها و من معها موارد الهلكة).(1)

و الإمام علي عليه السلام بنصحه هذا لعائشة يؤدي دوره بوصفه خليفةً للمسلمين و وصيّاً لرسول صَّلى اللَّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سَلَم رب العالمين و أداء حق الأمانة لودائع النبي صَّلى اللَّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سّلَم، و لو لم تكن في الأذهان إلّا هذه الآية لكفى عائشة أن تستذكر أسباب نزولها لتتبصر في موقفها من علي عليه السلام، فعن ابن عباس لما علم اللَّه ستجري حرب الجمل قال لأزواج النبي صَّلى اللَّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سّلَم «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنّ وَلَا تَبَرّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهلية الأولى»،(2) و قال تعالى: «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ»(3) في حربها مع على عليه السلام.

و عن شعبة و الشعبي و الأعثم و ابن مردويه و خطيب خوارزم في كتبهم بالأسانيد عن ابن عباس و مسعود و حذيفة و قتادة و قيس بن أبي حازم و أم سلمة و ميمونة و سالم بن أبي الجعد و اللفظ له: إنه ذكر النبي صَّلى اللَّه عليهِ وَ آلِهِ وَ سَلَم خروج

1- محمدجواد مغنية، فضائل الإمام علي عليه السلام، ص129. نقلاً عن: ابن الأثير/ ج3، ص109. حوادث سنة 26 و أعيان الشيعة نقلاً عن الطبري.

2- سورة الأحزاب آية 33.

3- سورة الأحزاب، آية 30.

بعض نسائه فضحكت عائشة، فقال: (انظري يا حميراء لاتكونين هي) ثم التفت إلى علي عليه السلام فقال: (يا أبا الحسن عليه السلام إن وليت من أمرها شيئا فارفق بها).(1)

و لم يقتصر النصح لعائشة من الإمام علي عليه السلام و أم المؤمنين أم سلمة فحسب، بل كان هناك كثير من الإجابات على رسائلها التي أرسلتها إلى كبار المسلمين تطالبهم مشاركتها المعركة و تحمل العبارة الآتية: من عائشة بنت أبي بكر (أما بعد فإن أتاك كتابي هذا فأقدم فانصرنا، فإن لم تفعل فخذل الناس عن علي عليه السلام... أم المؤمنين، حبيبة رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم إلى ابنها الخالص فلان... وليّاها من لبّى، وردّ عليها من يقول: (أمّا بعد فإنّ ابنك الخالص إن اعتزلت و رجعت إلى بيتك، وإلا فأنا أول من يباذلك) و يقول آخر: رحم اللّه أم المؤمنين: أمرت أن تلزم بيتها –و أمرنا أن نقاتل فتركت ما أمرت به و أمرتنا به، وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه.

بل إنّ عائشة لقيت معارضة مباشرة وصلت إلى حدّ الجرأة، فهذا جارية بن قدامة السعدي يردُّ عليها قائلاً: (يا أم المؤمنين، واللّه لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك على ظهر هذا الجمل

1- ابن شهر آشوب، المناقب، ج3، ص174.

الملعون عرضة للسلاح، إنه قد كان لك من اللّه ستر وحرمة، فهتكت سترك و أبحت حرمتك، إنه من رأى قتالك يرى قتلك).(1)

إنَّ عائشة كان لها ما لأمهات المؤمنين و عليها ما عليهن، و لو أنها سلكت نهجهن لنجت، حتى إن أقرب أمهات المؤمنين إليها و هي حفصة بنت عمر التي لطالما توحَّدت معها في المواقف واتخذتا موضعاً واحداً في جبهة ضد باقي زوجات النبي صلى اللّه عليه و آله و سلم، رفضت الانصياع لرغبتها تلك بعد أن كادت تطاوعها.(2)

كادت حفصة أن تتبع عائشة و تشترك معها في موقعة الجمل، إذ: قالت رأيي لرأي عائشة تبع، و أرادت أن تخرج مع عائشة إلى البصرة، فحال أخوها عبداللّه دون ذاك، و لم تجد حفصة بداً من القعود، وبعثت إلى عائشة تقول معتذرةً: إن عبداللّه حال بيني و بين الخروج.(3) و الحق أنَّ موقف عبداللّه بن عمر هذا قد أنقذ أخته، و كان قوله حكيماً: (إن بيت عائشة خير لها من هودجها).(4)

1- غادة الخرسا، ص132؛ محمدجواد مغنية، فضائل الإمام علي عليه السلام، ص129.

2- مريم فضل اللّه، ص159.

3- غادة الخرسا، ص134.

4- عبدالرحمن الشرقاوي، ص258، طه حسين، الخلفاء الراشدون، ص457.

ونعود للسؤال: ما الذي أنكرته عائشة على علي عليه السلام لترفض خلافته؟

نستعين بقول طه حسين لنعرف الإجابة عن هذا السؤال، قال: (... و كانت تنكر على علي عليه السلام فيما أعتقد أمرين...: أحدهما لم يكن لعلي فيه خيرة، فقد تزوج فاطمة بنت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم و رزق منها الحسن و الحسين عليهما السلام، فكان أبا الذرية الباقية للنبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم، و لم يتح لها هي الولد من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم، مع أنه قد أتيح لمارية القبطية أم إبراهيم في أواخر أيام النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم. فكان هذا العقم يؤذيها في نفسها بعض الشيء، و لاسيَّما و هي كانت أحب نساء النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم إلى النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم.

أمَّا الأمر الآخر فهو أن علياً عليه السلام قد تزوج أسماء الخثعمية بعد وفاة أبي بكر، و أسماء هي أم محمد بن أبي بكر الذي نشأ في حجر علي عليه السلام، فكانت عائشة تجد على علي عليه السلام لهذا كله).(1)

للحقيقة نقول: ما وجدنا في هذا الرأي تسويغاً مقنعاً لموقف عائشة من الإمام، فطه حسين هو المعترف أنه لم يكن لعلي عليه السلام خيرة في أن يضعه اللَّه و رسوله صلى اللَّه عليه و آله و سلم هذا الموضع الشريف فتصب عليه وافر عقمها النفسي، فكل فضيلة من فضائل علي عليه السلام كانت تجدها عائشة مؤذية لذاتها النافرة من

1- طه حسين، المجموعة الكاملة... الخلفاء الراشدون/ المجلد الرابع، ص454.

الإمام، فماذا نقمت من أبي الحسن عليه السلام غير اكتمال صفاته و خصاله، وللّه الكمال وحده؟!

أمَّا عدم إنجابها من النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم فأمر تشترك فيه مع بقية زوجاته، ما خلاخديجة الكبرى عليها السلام و مارية القبطية، فلِمَ لم يذهبن إلى ما ذهبت إليه عائشة؟ !

أمَّا زواجه من أسماء زوجة أبيها، فأمر محمود لعلي بن أبي طالب عليه السلام، و هذا ما كان المسلمون يفعلونه للحفاظ على كرامة نساء رجالهم بعد فقدهن، و لهم في رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم أسوة حسنة في هذا الجانب، و ما كانت عائشة لتحرّم ما حلّل اللَّه، و أن اتخاذه لمحمدبن أبي بكر ربيباً و ابناً، كان فيه علي عليه السلام خير أب لمحمد صلى اللَّه عليه و آله و سلم.

و كان محمد أطيب ثمرة لتربية الإمام ورعايته، حتى رثاه في موته بكلِّ الألم والتوجع. إذ يقول فيه الإمام في بعض خطبه: «... فَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيبًا وكَانَ لِي رَبِيباً»، و كان الإمام يقول: «محمدٌ ابني من صُلْبِ أبي بكره».(1)

نجد أنَّ طه حسين غير مقتنع فيما أورده، فيعود في صفحات لاحقة ليورد قائلاً: (وأمَّا عائشة فقد أمرها اللَّه فيمن أمر من نساء النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم أن تقرّ في

1- محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة/ ج1، ص340 - 341.

بيتهـا. و كان عليها أن تفعل أيام علي كما كانت تفعل أيام الخلفاء من قبله، تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر دون أن تخالف عما أمرت به من القرار في بيتها لتذكر ما كان يُتلى عليها من آيات اللّه و الحكمة و لتقيم الصـلاة و تؤتي الزكاة كما فعل غيرها من أمهات المؤمنين، و لو قد أبت أن تبايع علياً أو تؤمن له بالخلافة لما وجدت منه شيئاً تكرهه، فهي أم المؤمنين و حبيبة رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم و بنت أبي بكر. و كان من الطبيعي أن تلقى من علي مثال ما لقي المعتزلون على أقل تقـدير. و آيـة ذلك أنها لـم تلق منه بعد يوم الجمل إلا الكرامة والإكبار).(1)

إذن لم يكن عليٌ عليه السـلام غير مؤهل للخلافـة، حتى تعترض السـيدة عائشة على توليه هذا الاعتراض الدموي، و لـم يكن عليٌ طامعاً أو طامحاً لنيلها و هي حقّه المسلوب، بل إنه رفضها و بقي المسلمون من دون خليفة أربعة أيام (أو خمسة) بعد مقتل عثمان بن عفان.(2)

1- طه حسين، الخلفاء الراشدون، 459.

2- بعـد قتل عثمان، حكم الثائرون المدينة و أرهبوا أهلها، و ظل المسـلمون خمسة أيام بلا إمام، فلا علي بن أبي طالب عليه السـلام يقبل البيعة و لاالناس يعدلون عنه إلى غيره! للمزيد ينظر: عبدالرحمن الشرقاوي، ص227؛ كاظم النقيب، ص444. نقلاً عن مروج الذهب ج2 ، ص359 (ذكر أنه بويع البيعة العامة بعد مقتل عثمان بأربعة أيام).

قـال الإمام علي عليه السـلام :«فَمَا رَاعَنِي إلا والنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ وشُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ».(1)

ولكنَّ السـيدة عائشـة عندما علمت بخلافة علي عليه السـلام، أظهرت حقيقة ما كانت تخفيه في نفسـها، و لم تخاتل أو تناور أو تخادع كما فعل طلحة و الزبير، اللذان بايعا ثم نكثا، فلقد كان طلحة بن عبيد الله أول من بايعه و كانت أصابعه شـلاّء فقال عليه السـلام : ما أخلفها أن تنكث.(2)

تخبرنا المصادر التاريخيَّة كيف تلقت عائشـة خبر اسـتخلاف علي عليه السـلام، فقد لقيها رجل من أخوالها من بني ليث يقال له (عبيد بين أبي سـلمة)، في طريق عودتها من مكـة بعد أدائها مناسك العمرة، فسألته: لهيم! فأصم ودمدم فقالت: ويحك علينا أو لنا، قال: ألا تدري قتل عثمان، و سكت.(3)

1- محمـدجواد مغنيـة، في ظلال نهـج البلاغة / ج2 ، ص48 - 49. قـال البلاذري في أنساب الأشـراف ج5 ص18 " جـاء الناس كلهم يهرعون إلى علي عليه السـلام، أصـحاب النبي صـلى اللَّه عليه و آله و سلم و غيرهم، و هم يقولون: إن أمير المؤمنين علي عليه السلام... و قال الطبري في ج5 ص152: أتاه أصـحاب رسول الله صلى اللَّه عليه و آله و سلم و قالوا لهم: قد قُتل هذا الرجل، و لابد للناس من إمام، و لانجد اليوم أحق بهذا الأمر منك، و لاأقدم سابقة، و لاأقرب من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم، فقال لهم: لاتفعلوا، فإني أكون و زيراً خير من أن أكون أميراً.

2- كاظم النقيب، أئمتنا...، ص441.

3- غادة الخرسا، ص130.

فقـالت حين علمت بمقتـل عثمـان: إيه صاحب الإصـبع -تعني طلحـة-! للّه أبوك. أما أنهم وجـدوا طلحـة كفؤاً لها. إيه أبا شـبل! إيه يا بن عم!).(1)

إن السـيدة عائشـة تجد طلحة كفؤا و أهلا للخلافة من دون علي عليه السـلام فأظهرت سـرورها بما تمني به نفسـها، ولكنها ما إن علمت أن المسـلمين بايعوا علياً عليه السـلام، حتى أمرت برد ركائبها إلى مكـة، و قالت: (ليت هذه انطبقت على هذه -تريد الأرض والسـماء- إن تم الأمر لعلي عليه السلام!).(2)

و في روايـة أخرى أن مـن جاءهـا بهـذه الأنبـاء ابن أختهـا عبـداللّه بن الزبير فـأمرت الركب أن يعـود إلى مكة(3) و أخـذت تردد: ردوني، ردوني!(4)

و راحت تقول بصوت مرتفع: (قتلوا عثمان بن عفان! رحمه اللّه)، فقال لها بعض من سـمعوها: (بالأمس كنت تحرضـين عليه و اليوم تبكينه! ألم نسمعك تقولين أبعده اللّه ؟! لقد رأيناك من أشد الناس عليه حتى قتل، فلما لم يبايع الناس ابن عمك طلحة و لازوج أختك الزبير، بكيت عثمان يا أم المؤمنين؟!.(5)

1- عبدالرحمن الشرقاوي، ص234.

2- جورج جرداق، ص572.

3- عبدالرحمن الشرقاوي، ص253.

4- غادة الخرسا، ص131.

5- عبد الرحمن الشرقاوي، ص234.

و الواقع أن عائشة لم تندب عثمان حباً به، بل كرهاً لعلي عليه السلام فهي التي كانت تحرض على قتل عثمان في عدة مناسبات، كما كانت تتهمه بالكفر.(1)

ولكن موقف عائشة هذا كان واضح الدلالة لكل ذي عينين، فما أن أخذت تقول كلمتها: قتل واللّه عثمان مظلوماً. واللّه لأطلبن بدمه! حتى سألها عبيد: و لم؟ فواللّه، إن أول من أمال حرفه لأنت! كنت تقولين: اقتلوا نعثلاً،(2) فقد كفر! فأجابت: إنهم استتابوه ثم قتلوه. و قد قلت و قالوا: (و قولي الأخير خير من قولي الأول).(3)

و هنا يروي الطبري أبياتاً قالها عبيد لعائشة، و فيها يُلقي التبعة عليها في مقتل عثمان:

فمنكِ البداءُ، و منكِ الغَيرْ *** منكِ الرياحُ... و منكِ المطرْ

و أنت أمرتِ بقتل الإمام *** و قلت لنا إنه قد كفرْ

فهبنا أطعناكِ في قتله *** و قاتلُهُ عندنا مَن أمَرْ

و لم يسقط السقف من فوقنا *** و لم تنكسف شمسُنا و القمرْ(4)

1- غادة الخرسا، ص130.

2- نعثلاً: النعثل، الذكر من الضباع، و الشيخ الأحمق. و النعثلة: الحمقى، لسان العرب111/ 669 ، مادة (نعثل).

3- جورج جرداق، ص572 . نقلاً عن تاريخ الطبري31، ص477.

4- المصدر نفسه.

إنَّ المتتبع لخط العلاقة بين الإمام علي عليه السلام و السيدة عائشة يجد أنَّ موقفها من علي عليه السلام يتوافق تماماً مع مواقفها السابقة، فهي لم تحيد عن كرهه وعداوته لا في حياة الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم و لابعد وفاته... إنها هي هي، عائشة التي تغضب زوجها و ولي أمرها و نبيها لوجود علي سويعات نجوى مع النبي، ما كان لها أن ترى به خليفة عليها، و ها هي تقول لطلحة بعد أن لقيها في مكة: (و ما لعلي يستولي على رقابنا؟ لاأدخل المدينة ولعلي فيها سلطان!)، إنها تجد عليّاً يستولي على الرقاب، فهي لم تدخله قلبها يوماً، و لم تجد فيه ولياً للمتقين كما أخبرها بذلك النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم مراراً، بل سلطاناً و لن تخضع له!!

لبست عائشة درعها، و ركبت جملها عسكراً.(1) و تهيأت لحرب الرجل الذي ناصبته العداء منذ أن دخلت بيت زوجها، و الذي يتابع سيرة عائشة في هذه المرحلة يُدرك أي كره هو ذاك الذي كانت تضمره لعلي عليه السلام.(2)

أمَّا رأي الإمام علي عليه السلام في عائشة، فيوجزه بقوله و هو يستعد

1- ابن شهر آشوب، المناقب، ج3، ص181.

2- جورج جرداق، ص573.

لحرب الجمل و صاحبة الجمل و صاحبيها: (بليت في حرب الجمل بأشد الخلق شجاعة، و أكثر الخلق ثروة و بذلاً، و أعظم الخلق في الخلق طاعة، و أوفى الخلق كيداً و تكبراً، بليت بالزبير لم يرد وجهه قط، و يعلي بني أمية يحمل المال على الإبل الكثيرة، و يعطي كل رجل ثلاثين ديناراً و فرساً على يقاتلني، و بعائشة ما قالت قط بيدها هكذا إلا واتبعها الناس، و بطلحة لايدرك غوره و لايطال مكره).(1)

1- مهدي محبوبة، ملامح من عبقرية الإمام، ص221.

علي عليه السلام و عائشة... و الجمل

رَمَتِ السيدة عائشة بسهم آخر من سهام معاداتها للإمام علي عليه السلام، و كشفت عن كل كراهيتها له، فما عادت المواجهة بينها و بينه بالكلام بل بالنبال و طعن السيوف. فكانت موقعة الجمل (عسكر) الذي ركبته عائشة لتقود أول حرب من الحروب التي واجهها علي بن أبي طالب عليه السلام في مدة خلافته، مصداقاً لعهد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم إليه قبل وفاته، قائلاً: (يا علي عليه السلام لتقاتلن الفئة الناكثة، والفئة الباغية، والفرقة المارقة، إنهم لاإيمان لهم لعلهم ينتهون).(1)

و قد أسهبت الكتب و المراجع التاريخيَّة في تناول أحداث حرب الجمل و سرد وقائعها و تفاصيلها، و لانأتي بجديد في السرد، و إنما نذكر بأنها كانت الصفحة الأكثر دموية و إيلاماً وإثارة للفتنة، ربطت بين قطبي الصراع، علي عليه السلام و عائشة، و أنضحت بكامل ما في إناء كل منهما.

فمن القائل إنَّ السيدة عائشة لم تكن تريد القتال وإراقة الدماء بخروجها على خليفة المسلمين، بل أرادت إصلاحاً.

1- ابن شهر آشوب، المناقب، ج3، ص174.

و إنَّ هؤلاء الثلاثة ما خرجوا أبداً لقتال علي عليه السلام، و لاللتشهير به، و لا لإعانة خصومه عليه، كما يقول بعض المؤرخين.(1)

و رأي يرفع عنها تبعات الخروج والحرب برمّتها، بالذهاب إلى أنَّ طلحة و الزبير هما من أخرجاها و أدارا رحى الحرب الطاحنة.

و رأي يذهب إلى أنَّ ما جرى كان فتنة شيطان رجيم بين أخوة أحباء ، قاتلوا بعضهم بعضاً، و قلوبهم تملأها محبة أحدهم للآخر و انتهت بالرضى و التقبيل و البكاء على ما جرى ولكل نصيب من رحمته الواسعة و في الجنة ملتقاهم إذ هم مبشرون!؟!(2)

و رأي ينظر إلى النتائج لاالمسببات و الدوافع في معركة الجمل و يخلص إلى أن عائشة سامحت عليّاً عليه السلام، و علي سامح عائشة، و كلاهما تاب إلى اللّه و قالا قولاً مشتركاً في تمني عدم وقوع هذه الحرب!؟

و هناك مؤلفات تهوّن من الخطب كثيراً، و ترى أنَّ المبالغة قد شابت الوقائع التي سردت و الأشعار التي ألقيت، و الأرقام التي عددت ما حصدت هذه الفتنة من ضحايا و أرواح من الجانبين.

1- محمدبكر إسماعيل، ص368.

2- المصدر نفسه ص407. (فاقتتلوا و الحب ملء قلوبهم، و هو أمر عجاب، ولكنها الحقيقة التي لاتخفي نفسها)!!

و من البدء نقول: إنَّ هذه الحرب ما كانت لتكون لولا ركوب السيدة عائشة جملها و قيادتها جبهة الرفض لخلافة الإمام علي عليه السلام، و عزمها على مقاتلته، فقد بلغ عائشة قتل عثمان وبيعة علي بسرف،(1) فانصرفت إلى مكة منتظرة الأمر، فتوجه طلحة و الزبير و عبداللَّه بن عامر بن كريز فعزموا على قتال علي عليه السلام، و اختارا عبداللَّه بن عمر للإمام فقال: أتلقونني بين مخالب علي عليه السلام و أنيابه؟(2)

و قيل إنَّ عائشة عندما كانت تروي حديث النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم (علي خير البشر) قيل لها: فلم حاربته؟ قالت ما حاربته من ذات نفسي إلا حملني طلحة و الزبير، و في رواية أمر قدر و قضاء غلب.(3)

و قد حاججها أهل البصرة عندما خطبت بهم قبل بدء المعركة تحرضهم على القتال في صفّها، فقال لها رجل من البصرة: (يا أم المؤمنين إن كنت خرجت مكرهة فاستعيني بنا نعيدك إلى منزلك، و إن كنت خرجت طائعة فعودي).(4)

1- سرف: موضع على ستة أميال من مكة.

2- ابن شهر آشوب، المناقب، ج3، ص175.

3- المصدر نفسه، ص82.

4- عبدالرحمن الشرقاوي، ص267.

إن معظم المصادر التاريخيَّة تجمع على أن السيدة عائشة خرجت غير مكرهة لتقود هذه الحرب التي سميت بحرب الجمل، لأن قائدة الجيش، و هي السيدة عائشة فضلت ركوب الجمل، على البغال و الحمير، قال المستشرق الألماني (كارل بروكلمن) في الجزء الأول من (تاريخ الشعوب الإسلامية) ص139: (توقفت المعركة أمام الجمل الذي كانت تمتطيه عائشة، و تستفز من على ظهره المقاتلين بحسب العادة العربية العريقة -إي عادة الجاهليَّة الجهلاء- و لم تتم الغلبة لعلي إلا بعد أن عقر الجمل الذي خلع اسمه على هذه المعركة في 4 كانون الأول سنة 646م، و عرضت عائشة على المنتصر تأييدها ولكنه رفض). و عن الواقدي و المسعودي إن الواقعة كانت يوم الخميس لعشر خلون من جمادي الآخرة سنة 36هـ.(1)

و يذكر ابن شهر آشوب أن وقعة الجمل كانت بالخريبة، و وقع القتال بعد الظهر، و انقضى عند المساء. فكان مع أميرالمؤمنين عليه السلام عشرون

1- محمدجواد مغنية، فضائل الإمام علي عليه السلام، ص128. نقلاً عن: الطبري/ ج5، ص183-184.

ألف رجل، و منهم البـدريون ثمانون رجلاً، و ممن بايع تحت الشـجرة مائتان و خمسون، و من الصـحابة ألف و خمسـمائة رجل. و كانت عائشة في ثلاثين ألفاً أو يزيدون منهم المكيون سـتمائة رجل، قال قتادة: قتل يوم الجمل عشـرون ألفاً. و قال الكلبي: قتل من أصـحاب علي ألف راجل و سبعون فارساً، منهم زيد بن صوحان، و هند الجملي، و أبوعبداللَّه العبدي، و عبداللَّه بن رقية.(1)

و نقل المسعودي في الجزء الثاني وصفاً رائعاً عن المنذر بن الجارود لعسكر الإمام،(2) وعدته وعديده، و قال المسعودي: قُتل من أصحاب الجمل ثلاثة عشر ألفاً، و من أصحاب علي خمسة آلاف، و كانت وقعة واحدة في يوم واحد.(3)

و قال أبومخنف و الكلبي: قُتل من أصـحاب الحمل من الأزد خاصة أربعة آلاف رجل، و من بني عدي و مواليهم تسـعون رجلاً، و من بني بكر بن وائل ثمانمائـة رجل، و من بني حنظلـة تسـعمائة رجل، و القرشـيون منهم : طلحة و الزبير و عبداللَّه بن عتاب بن أسـيد و عبداللَّه بن حكيم بن

1- ابن شهر آشوب، المناقب، ج3، ص190.

2- للمزيد ينظر: محمدجواد مغنية، فضائل الإمام علي عليه السلام، ص133 ـ 134.

3- المصدر نفسه، نقلاً عن: المسعودي، ج2، ص360.

حزام و عبداللّه بن شافع بن طلحة و محمد بن طلحة و عبداللّه بن أبي خلف الجمحي و عبدالرحمن بن معد و عبداللّه بن معد.(1)

و مع كلِّ هذا التفصيل لدى المؤرخين، هناك من يقلل من هذه الأرقام، و يرى أن العدد لايكاد يصدق و قد بولغ فيه، و أنَّ عدد القتلى الذي رجحوه لايتجاوز المائتين!! و ذلك لقصر مدة القتال، إذ إنَّ القتال نشب بعد الظهر، فما غربت الشمس و حول الجمل أحد ممن كان يذب عنه.(2) بل إنه يقلل إلى أقصى من ذلك فيجعله قريباً من المائة، و يعقد مقارنة بين قتلى المعارك الإسلاميَّة قائلاً: و بالقياس بعدد شهداء المسلمين في معركة اليرموك ثلاثة آلاف شهيد، و معركة القادسية ثمانية آلاف و خمسمائة شهيد، و هي التي استمرت عدة أيام - فإن العدد الحقيقي لقتلى معركة الجمل يعد ضئيلاً جداً، هذا مع الأخذ في الاعتبار شراسة تلك المعارك وحدتها لكونها من المعارك الفاصلة في تاريخ الأمم).(3)

ولكن المؤلف للأسف ينسى أو يتناسى أن هذه المعارك التي ذكرها خاضها المسلمون ضد أعداء الإسلام لتوحيد كلمة الإسلام، في حين أن

1- ابن شهر آشوب، المناقب، 3 - فضل في حرب الجمل، ص190.

2- محمد بكر إسماعيل، ص296.

3- المصدر نفسه.

معركة الجمل كانت أول معركة خاضـها المسلمون في مواجهة بعضهم بعضاً، و شقت وحدة الصف الإسلامي و أثارت النعرات الجاهليَّة، إن المؤلف –هنا– يسوق كل هذا الدفاع الساذج المستميت من أجل التهوين من خروج السيدة عائشة على الإمام.

و يهمـل المؤلف طول رحلـة السـفر و التحشـيد و الكتب التي وجهت إلى رؤسـاء القبائل في الطريق ما بين مكـة والبصـرة، و كيف لم تأل السـيدة عائشة جهدها في التنفير بصوت جهوري تخطب في الجموع قبل المعركة و في أثنائها، لقد ركبت عائشة الجمل، تسـير عليه من بلد إلى بلد، تخطب بالجموع وتكتب إلى الآفاق بتوقيع أم المؤمنين تشعل نار الحرب، و تفرق كلمة المسلمين إلى شيع و أحزاب يقتل بعضهم بعضاً.(1)

و قد تسربلت برداء الحرب، إذ لبست عائشة درعاً،(2) و ضـربت على هودجها صفائح الحديد و ألبس الهودج درعاً. و كان أبو يعلى هو من اشترى الجمل الضخم و جعل لها هودج من حديد و دروع، و جعل فيه موضع لعينيها.(3)

1- محمدجواد مغنية، فضائل الإمام علي عليه السلام، ص129.

2- ابن شهر آشوب، المناقب، ج3، ص181.

3- عبدالرحمن الشرقاوي، ص257.

كان خروج السيدة عائشة أمراً مستغرباً، فما اعتاد العرب على خروج النساء مقاتلات في الحرب، ربما محرضات بالشعر والخطابة، لكن بوقوفها وسط ساحة المعركة كقطب الرحى من طعن و ضرب...، و هي زوجة نبي الأمة، فإنَّ هذا ما أثار استهجان كثيرين ممن انحازوا لصفها ثم عدلوا بعد أن رأوا عائشة تتقدم الصفوف داخل هودجها المدرع على جمل ضخم ، وقد ألبسوه جلود النمور، وفوقها الزرّدا!...، و جعلت تصدر الأوامر، و إذ برجل من أصحابها يخرج من الصفوف وينحاز إلى عسكر الإمام قائلاً: (تقلدت سيفي أريد نصر الزبير و طلحة، فإذا عائشة هي التي تأمر وتنهي و إذا الأمر أمرها، فأيقنت أن هؤلاء قوم لعنهم الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم حين قال: (لعن الله قوماً ولوا أمرهم امرأة).(1)

كانت عائشة هي القائد الأعلى للجيش الذي تقدمته و هي راكبة جملاً أعطي اسمه للموقعة، و كانت هي التي تصدر الأوامر، و تعين القادة الثانويين، و توجّه الرسل بكتبها إلى هذا و ذاك، ممن تبغي عندهم أن يناصروها على علي عليه السلام، و كانت كتبها إلى هؤلاء مصدرة بالعبارة الآتية: (من عائشة ابنة أبي بكر، أم المؤمنين، حبيبة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله و سلم، إلى ابنها

1- عبدالرحمن الشرقاوي، ص276.

الخالص فلان: أمَّا بعد، فإن أتاك كتابي هذا فأقدم فانصرنا، فإن لم تفعل فخذّل الناس عن علي عليه السلام!).(1)

حتى أن السيدة عائشة لم تهمل جانباً من معركتها ضد الإمام إلّا و أخذت جزءاً من عنايتها، فهي تراسل صديقتها التي تأخّرت عنها على مضض، لتطلعها على أخبار سيرها خطوة بخطوة، فكتبت عائشة إلى حفصة بنت عمر بن الخطاب، و كانت حفصة بالمدينة، تبشرها باستيلائها على البصرة و تحدثها بنشوة الغالب، عما تراه من أمر علي عليه السلام و عما هو صائر إليه: (أما بعد ، فأخبرك أن علياً عليه السلام نزل ذا قار، و أقام بها مرعوباً خائفاً لما بلغه من عدتنا و جماعتنا. فهو بمنزلة الأشقر، إن تقدم عقر، وإن تأخر نُحِرا!).(2) لقد قتل في هذه الحرب طلحة و الزبير. ولكن السيدة عائشة استمرت في موقفها المحرض على القتال حتى النهاية، ففي الهودج أم المؤمنين بقيت تحرض الناس فتردهم إلى الحماسة و الجرأة بعد الخوف و الفرق، و هم يثبتون حول الجمل لايريدون انتصاراً و لايريدون فوزاً بل يريدون أن يحموا أمهم، و راجزهم

1- جورج جرداق، الإمام علي عليه السلام صوت العدالة الإنسانيَّة، ص587 . نقلاً عن: تاريخ الطبري -3، ص492.

2- جورج جرداق، الإمام علي عليه السلام صوت العدالة الإنسانيَّة، ص591.

يرتجز:

يا أمنا عائش لاتُراعي *** كل بنيك بطل المِصاعِ

و هي تتحدث إلى من عن يمينها محرضة، وإلى من عن شمالها محمسة، و إلى من أمامها مذكرة، و أصحاب علي عليه السلام يلحون على هؤلاء المستقتلين و راجزهم يرتجز:

يا أُمنا أعق أُم نعلم *** و الأم تغذو ولدها و ترحمُ

أما ترين كم شجاع يُكْلَمُ *** و تُختلى منه يد و معصمُ

و يشتد و طيس الحرب... و قد رأى علي هذا القتل الذريع فراعه نكرُ ما رأى و صاح بأصحابه: أعقروا الجمل فإن في بقائه فناء العرب.(1)

فما كان موقف الإمام علي عليه السلام منها؟

لم تصدر عن الإمام علي عليه السلام كلمة شائنة بحق عائشة أو تنكيراً لفعلها، بل صب جام غضبه و توبيخه على طلحة و الزبير و كل من أخرجها من مهجعها من الرجال الطامعين بالسلطة. كان علي يعلم أنهم اتخذوا من عروس النبي صلى اللَّه عليه وآله و سلم مركباً لطموحاتهم الدنيويَّة بالخلافة، و وافق هواهم هواها الغالب في معاداة ابن أبي طالب، غريمها و زوج ابنة غريمتها التي طالما حسدتها لحظوتها عند النبي صلى اللَّه عليه وآله و سلم حتى بعد مماتها.

1- طه حسين، الخلفاء الراشدون، ص476 - 477.

فقـد بعث إليها قولاً يلتمس فيه لها العـذر قائلاً: (... و ما غضـبت حتى أغضـبت، و ما هجت حتى هُيجت...). أراد علي أن يعـذر عائشـة لخروجها عليه و قودها العساكر فأشار إلى أنها (أُغضـبت و هُيجت) و في ذلك ما فيه من مراعاة شـعور المرأة و احترام جانبها، ثم وجـد لها مخرجاً مما حملت عليه من المعصـية -على حد تعبيره- فخطَّأ الذي عرَّضـها للبلاء و حملها على الخروج من بيتها، و جعله أعظم ذنباً من قتلة عثمان. ثم نصح لها بأن تتقي الله وترجع إلى منزلها ففي ذلك أمن للبلاد و رضا الناس.(1)

و كان يمكن للإمام علي عليه السـلام أن يتخذ منها موقف المنتقم، و ينفّذ فيها أمر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم الذي جعل طلاق نسائه إليه.(2) و هذا الحديث ينقل عن عائشة ذاته من أن النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم جعل طلاق نسائه إلى علي عليه السلام.

و قد ذكّرها أبو الحسن عليه السـلام بهذا الأمر يوم الجمل، فعن الأصبغ بن نباتة قال: بعث علي عليه السلام يوم الجمل إلى عائشة: (ارجعي وإلا تكلمت بكلام تبرين من اللَّه و رسوله صـلى اللَّه عليه و آله و سـلم). و قال أميرالمؤمنين عليه السلام للحسن عليه السلام: (اذهب إلى فلانة فقل لها قال لك أميرالمؤمنين عليه السلام والذي خلق الحبة النوى و برأ النسمة، لئن لم ترحلي الساعة أبعثن بما تعلمين)، فلما أخبرها الحسن عليه السلام

1- جورج جرداق، ص579.

2- ابن شهر آشوب، المناقب، ج3، ص153.

بما قال أميرالمؤمنين عليه السلام قامت ثم قالت: رحولني، فقالت لها امرأة من المهالبة: أتاك ابن عباس شيخ بني هاشم حاورتيه و خرج من عندك مغضباً. و أتاك غلام فأقلعت! قالت: إنَّ هذا الغلام ابن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم، فمن أراد أن ينظر إلى مقلتي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم فلينظر إلى هذا الغلام، و قد بعث إلي بما علمت، قالت: فأسألك بحق رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم عليك إلا أخبرتنا بالذي بعث إليك، قالت: إن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم جعل طلاق نسائه بيد علي فمن طلقها في الدنيا بانت منه في الآخرة.

و في رواية:كان النبي يقسم نفلاً في أصحابه فسألناه أن يعطينا منه شيئاً و ألححنا عليه في ذلك، فلامنا علي عليه السلام فقال: (حسبكن ما أضجرتن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم فتجهمناه)، فغضب النبي مما استقبلنا به علياً ثم قال : (يا علي إني قد جعلت طلاقهن إليك فمن طلقتها منهن فهي بائنة) ، ولم يوقت النبي في ذلك وقتاً في حياة ولا موت، فهي تلك الكلمة فأخاف أن أبين من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.(1)

هذه كانت لحظات من وخز الضمير مرت بها السيدة عائشة في أثناء سيرها لحربها، و هناك لحظة أخرى مرت بها، لو أنها صغت إليها لجنبت الأمة هذه الفتنة و هذه الدماء، إنها صرختها يوم قالت: (ردوني...

1- ابن شهر آشوب، المناقب، ج3، ص153.

ردوني)!!، ولكن هذه المرة كانت صرختها للرجوع عما نوت و دبرت، عندما سمعت نباح كلاب (ماء الحوأب)، وليتها فعلت!.

ففي طريق سيرها إلى البصرة، وصلت إلى ماء يسمى حوأب نبحت عليها كلابها، فسألت عائشة متوجسة: (أي ماء هذا؟) قالوا: (ماء الحوأب)، فصرخت بأعلى صوتها ثم ضربت بعيرها فأناخته، ثم قالت: (أنا والله صاحبة كلاب الحوأب طروقاً ردوني)، تقول ذلك ثلاثاً،(1) و بهت الجميع! ثم سألوها، فقالت: (سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم يقول لنسائه كأني بأحدكن تنبحها كلاب الحوأب. ثم اتجه إلي و قال: إياك أن تكوني أنت يا حُميراء).(2)

و في رواية أخرى ذكرناها سابقاً، إن أم المؤمنين أم سلمة في حديث طويل مع عائشة أخذت تذكرها بأحاديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم التحذيرية لنسائه عامة و لعائشة خاصة من الخروج لحرب علي عليه السلام، ضارباً على ظهرها قائلاً: (إياك أن تكونيها، يا بنت أبي أمية إياك أن تكونيها يا حميراء أما أنا فقد أنذرتك).(3)

1- الأنصاري، ص217.

2- عبد الرحمن الشرقاوي، ص261.

3- الأنصاري، ص218.

عجباً للسيدة عائشة، فهي كما تذكر المصادر ذكيَّة لمَّاحة حافظة لكتاب اللّه و رسوله، تحدث بأحاديث كثيرة عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم لتكون دستوراً للمسلمين في حياتهم، و تهمل هي كل هذه التحذيرات و الإشارات الواضحة من زوجها النبي الكريم صلى اللَّه عليه و آله و سلم، بحجج شتى، مرة بالنسيان و مرة بالتغافل(1)... جاءها ابن أختها عبداللَّه بن الزبير و حلف لها: (باللَّه لقد خلفت ماء الحوأب أول الليل)... و جاء لها بشهود زور خمسين من الأعراب فحلفوا على ذلك ! ورضخت لحلف الزور، فأين حكمة السيدة عائشة ورجاحة عقلها هنا ، لقد مرت إذن كما أخبرها رسول الله صلى اللَّه عليه وآله وسلم على ماء الحوأب، إن كان أول الليل أو آخره، كما زعموا لها!؟!

ثم ما بال السيدة عائشة تنعت نفسها في مكاتباتها، حبيبة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم، و لاتنفذ وصايا حبيب اللَّه! لو أن امرأة تزوجت لابرسول و نبي، بل برجل شهم و كريم أكرم وفادتها في الحياة الدنيا وكان لها شرفٌ و عزة بين أهلها و قومها لكانت أدنى من زوج النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم و أم المؤمنين في صون و حفظ كل ما كان من زوجها بعد وفاته!.

إنَّ السيدة عائشة نست أو تناست، وهي حافظة الأحاديث، أخوة النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام، و قوله: سلمك سلمي، و حربك حربي، و قوله: علي مع

1- جواد جعفر الخليلي، أميرالمؤمنين عليه السلام، ج2 ، ص98.

الحق، و قوله: علي عليه السلام مني و أنا من علي عليه السلام، وقوله: لايبغض علياً عليه السلام إلا من خرج من الإيمان(1)... و لاندري كيف خفيت هذه الحقائق و الحجج على على أم المؤمنين و هي الذكية الفطنة؟!(2)

و كيف فات أم المؤمنين، و هي الذكية الفطنة أن فتنة الجمل لم تكن بنتائجها الوخيمة حرباً ضد علي بالذات، بل ضد الإسلام و نبي الإسلام؟!

جمعت حرب الجمل الرذائل والنقائص؛ لأنَّها كانت السبب الأساس لضعف المسلمين وإذلالهم، فلقد كانت أول فتنة ألقت ببأس المسلمين فيما بينهم، يقتل بعضهم بعضاً، بعد أن كانوا قوة على أعدائهم،(3) كما فتحت الباب على مصراعيه لكل الفتن والحروب الداخلية التي تلتها.

1- محمدجواد مغنية، فضائل الإمام علي عليه السلام، ص130.

2- محمدبكر إسماعيل، ص404. { قال عروة بن الزبير: لقد صحبت عائشة فما رأيت أحداً قط كان أعلم بآية نزلت و لابفريضة و لابسنة و لابشعر و لابيوم من أيام العرب و لانسب و لابكذا و لابكذا... و لابقضاء و لابطب منها] !! و كان الشعبي يذكرها فيتعجب من فقهها و علمها. و كان عطاء يقول: كانت عائشة أفقه الناس، و أحسنهم رأياً عند المنصفين من أهل العلم و الرأي.

3- محمد جواد مغنية، فضائل الإمام علي عليه السلام، ص139.

جاءت نهاية الحرب بالظفر لأبي الحسن عليه السلام، و لم يبق من الجبهة المقابلة إلا عائشة على قيد الحياة، فما كان موقف الإمام من امرأة شهرت اللسان و السنان ضده؟

حتى قبل أن تنتهي الحرب يفكر علي في وضع عائشة و لايريد لها إلا الكرامة و الحفظ و السلامة، ها هو علي يرى الهودج و قد شكت به السهام حتى كأنه جناح نسر أو شوك قنفذ، فيوجه خطابه لربيبه محمد بن أبي بكر أمراً: (أنظر إذا عرقب الجمل، فأدرك أختك فدارها).(1)

إنه هنا ينفذ وصية أخيه و ابن عمه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم إن ظفرت بها فأرفق، فتراه يتقدم نحو الهودج قائلاً: (يا عائشة أهكذا أمرك رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم أن تفعلي؟) فقالت: يا أبا الحسن عليه السلام ظفرت فأحسن، و ملكت فاسجح(2) فيقول علي عليه السلام: غفر اللّه لك، و تجيب عائشة: و غفر لک.(3)

إن جميع المصادر و المراجع التاريخيَّة تذكر حسن صنيع الإمام بعائشة فلم تر منه إلا التقدير و الاحترام و الحفاظ عليها حتى أرجعها إلى

1- ابن شهر آشوب، المناقب، ج3 ص189.

2- ملكت فأسجح: أي ظفرت فأحسن و قدرت فسهل و أحسن العفو (لسان العرب، مادة سجح).

3- طه حسين، الخلفاء الراشدون، ص477.

المدينة مراعياً لها حرمة الزوجيَّة لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم.(1) فهذا علي رجل السلام حتى في الحرب رجل الرحمة حتى في لحظة تشابك السيوف و الرماح. ففي ساحة الحرب يتدبر أمر المرأة الوحيدة في ساعة الوغى، و يطلب من محمد بن أبي بكر، ألاّ تصل إليها يد غريبة عنها: (شأنك وأختك فلا يدنُ منها أحد سواك).(2)

و إذا كان الإمام علي عليه السلام لم يذكر عائشة بفداحة فعلها و صعوبة موقفها هذا، فإنَّ أخاها محمد لم يستطع السكوت، فأخذ يبكتها بوجع. عصيت ربك و هتكت سترك، ثم أبحت حرمتك، و تعرضت للقتل)، و يقبل محمد بن أبي بكر و عمار بن ياسر فيحتملان الهودج و ينحيانه ناحية، و يضرب محمد على هودج أخته فسطاطاً، ستراً لها.

و حتى هنا لايتوقف علي من الاطمئنان على حالها خوف أن يكون قد أصابها سهم من السهام التي شكت الهودج فيأمر علي عليه السلام أخاها محمد صلى اللّه عليه و آله و سلم أن ينظر أأصابها مكروه. فيدخل رأسه في الهودج فتسأله: من أنت؟ فيقول: أبغض أهلك إليك، فتقول: ابن الخثعمية، فيقول: نعم أخوك محمد صلى اللّه عليه و آله و سلم، ويسألها أأصابها مكروه؟ فتقول: مشقص في عضدي فينتزعه.(3) و يرسل

1- الأنصاري، ص219.

2- ابن شهر آشوب، المناقب/ 3 ، ص189.

3- طه حسين، الخلفاء... ، ص477.

علي عائشة أسيرته إلى أعظم بيت في البصرة تقيم فيه هو دار عبداللّه بن خلف الخزاعي، و هو زوج صفية بنت الحارث، و كان عبدالله مع عائشة فقتل في المعركة، و كان أخوه عثمان مع علي و تسلل إلى عائشة في دارها حيث أقامت عدد من الجرحى فأقاموا في الدار، و طلبت لهم عائشة الأمان، فأمر علي بألا يتعرض أحدلهم.(1)

وهمَّ بعض أصحاب علي أن يتعرّضوا لعائشة، فزجرهم علي زجراً عنيفاً و قال لهم موبخاً على فعلهم: لقد كنا نؤمر بالكف عن النساء و هن مشركات، و لقد كان الرجل ينال المرأة بالضربة فيعير بذلك عقبه. فلايبلغني أن أحداً منكم قد عرض لامرأة بسوء إن آذنكم و شتمت أمراءكم فأنزل به أشد العقوبة.

و قال لبعض أصحابه: (لاتؤذوا النساء و إن شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم و صلحاءكم، فالنساء ضعيفات).

و بالفعل لقد عاقب رجلين وقفا على باب دار عائشة يغلظان لها القول، فأمر الإمام علي عليه السلام بهما فجلد كل منهما ثمانين جلدة!! وطابت نفس عائشة.(2)

أعطى الإمام علي عليه السلام في هذه الحرب أروع الأمثلة الإنسانيَّة، بل

1- عبدالرحمن الشرقاوي، ص291.

2- المصدر نفسه، ص293.

إنه أظهر و أنضح خالص ما في أنائه المحمدي الهاشـمي، فأعلن العفو العام(1) و أصدر أول بيانات المنتصر فكان رحمة وعطفاً... إذ بعث منادياً ينادي بأعلى صوته: (لاتجهزوا على جريح، و لاتتبعوا مدبراً، و لاتدخلوا داراً، و من ألقى السـلاح فهو آمن، و من أغلق بابه فهو آمن، و ليس للجيش إلا ما حُمل إلى ميدان المعركة من سلاح و كراع -أي خيل- و ليس لكم ما وراء ذلك من شيء).(2)

و قد أظهر علي سموَّ نفسه العظيمة، و حكمته البالغة عندما بين قدر السيدة عائشة و منزلتها كونها أم المؤمنين و زوجة نبيهم، و كانوا يريدون اقتسام الغنائم قائلين: يا أميرالمؤمنين عليه السـلام، تحل لنا دماؤهم، و لاتحل لنا نساؤهم؟ فقال علي عليه السلام : (كذلك السيرة في أهل القبلـة)، فلما جادلوه في ذلك قال لهم: (إذن هاتوا سـهامكم لنقترع على أمكم عائشـة، فقالوا جميعاً: نعوذ باللَّه و نسـتغفر اللَّه، ثم فاءوا إلى أمره و عادوا إليه مذعنين).(3)

للَّه درك يـا أبـا الحسن عليه السـلام، أنظر كيف ينعتهـا بأجمل النعوت و الصـفات (أمكم) و لـم يقل (أسـيرتكم) أو (مغنمكم) أو أي كلمة أخرى مرادفة

1- محمدبكر إسماعيل، ص397.

2- محمد جواد مغنية، فضائل الإمام...، ص139.

3- المصدر نفسه...، ص398.

لواقع الحال، إنه علي الذي أدبه فأحسن تأديبه محمد صلى اللّه عليه و آله و سلم الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه. فلم يركن الإمام إلى الانتقام بعد نصره المبين في المعركة و على الرغم من الخسائر الفادحة في أرواح المسلمين لدى كلا الطرفين، إلّا أن عائشة حظيت بأرقى معاملة إنسانية كأسيرة حرب خاسرة!

عادت عائشة معززة مكرمة إلى المدينة و معها أخوها وبضعة نساء و رجال لحمايتها، لقد جهزها الإمام بخير جهاز من مركب وزاد و متاع و أمرلها باثني عشر ألف درهم.(1) فلما رأت ما أعده لها الإمام قالت: (جزى اللّه علياً عليه السلام كل خير، جزاه اللّه الجنة) و خرجت فودَّعت الناس وقالت: (يا بني لايعتب بعضنا على بعض، إنه واللّه ما كان بيني و بين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة و بين أحمائها، و إن علياً عليه السلام لمن المصطفين الأخيار).(2)

لقد صان الإمام علي عليه السلام حرمة أم المؤمنين عائشة و هي الباغية عليه، و على الرغم من كلِّ ما صدر منها فأخرج معها أخاها عبدالرحمن بن أبي بكر في ثلاثين رجلاً وعشرين امرأة (و أربعين على رواية أخرى) من ذوات الدين من عبد القيس و همدان و غيرهما، ألبسهن العمائم،

1- عبدالرحمن الشرقاوي، ص294.

2- محمدجواد مغنية، فضائل الإمام علي عليه السلام...، ص138.

و قلدهن السيوف و قال لهن لاتعلمن عائشة أنكن نسوة وتلثمن كأنكن رجال و كن اللاتي تلين خدمتها و حملها فلما أتت المدينة قيل لها: كيف رأيت مسيرك؟ قالت: كنت بخير واللّه لقد أعطى علي بن أبي طالب عليه السلام فأكثر ولكنه بعث معي رجالاً - فعرفها النسوة أمرهن، فسجدت و قالت: ما ازددت واللّه يا بن أبي طالب إلا كرماً ووددت أني لم أخرج و أن أصابتني كيت و كيت هذا ما ذكره المسعودي في مروجه و ذكر المالكي في فصوله، و اختار لها أربعين امرأة من نساء البصرة المخبورات المعروفات سيرهن معها.(1)

و قال اليعقوبي: وجَّه معها سبعين امرأة من عبد القيس في ثياب الرجال حتى و افوا بها المدينة.(2)

قد أعلن علي انتصاره على عائشة حتى آخر اللحظات، و كأنه يعلم سريرتها فبعث معها النساء مرافقات مترفقات بها، لتكن هذه آخر حججه عليها.

و فعلُ ابن أبي طالب هذا كان سيكون ذاته مع أي امرأة أخرى غير عائشة، فما كانت المرأة عند علي عليه السلام ممتهنة أو ذليلة في يوم.

1- كاظم النقيب، ص475.

2- محمد جواد مغنية، فضائل الإمام علي عليه السلام...، ص138 - نقلاً عن اليعقوبي ج2، ص173.

بقي أمران: الأول أن السيدة عائشة قد أعلنت ندمها مما أحدثته في الإسلام من شرخ، إذ يروي المؤرخون والمحدثون، أنها كانت أشد المغلوبين حسرة وأعظمهم ندماً وكانت تتلو: (و قرن في بيوتكن) إلى آخر الآية، ثم تبكي حتى يبتل خمارها، وكانت تقول: (لو أني مت قبل هذا اليوم بعشرين عاماً. و كانت تقول بعد رجوعها إلى الحجاز: واللّه إن قعودي عن يوم الجمل لأحب إلي لو أتيح لي من أن يكون لي عشرة بنين من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم.(1) فهل جاء ندمها متأخراً، و لات حين مناص!؟

و قيل أنها جزعت لما احتضرت فقيل لها أتجزعين يا أم المؤمنين و أنت زوجة رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم و أم المؤمنين و ابنة أبي بكر الصديق؟ فقالت: إنَّ يوم الجمل معترض في حلقي ليتني مت قبله أو كنت نسياً منسيا.(2)

و هل بقي في نفس عائشة تجاه علي ما بين المرأة و أحمائها حتى آخر يوم في عمرها و لم تفرغ كل ما عندها من معاداة لعلي في موقعة الجمل؟

1- طه حسين، الخلفاء...، ص482.

2- أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيغور، بلاغات النساء، انتشارات الشريف الرضي، قم المقدسة، د. ت، ص17.

حتى أن بعض المصادر تذكر أنها بقيت على عدائها لعلي حتى سمعت قتله فسجدت شكراً اللّه.(1)

الأـمر الثـاني، قول بعضـهم في أن قول الإمام عليه السـلام لهـذا الكم من الخطب التي تهجو المرأة و أتباع المرأة التي ألقيت في البصـرة و خلال المعركة، هي دليل على نظرة الإمام علي للمرأة و التي اتخذها ضد كل النساء لتأثره من موقف السيدة عائشة منه يوم الجمل.

و هذا ما سنستوضحه في الفصل اللاحق.

1- جواد جعفر الخليلي، أميرالمؤمنين عليه السلام/ ج2، ص98. نقلاً عن أبوالفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين و ذكر البيت الذي قالته: و ألقت عصاها واستقر بها النوى *** كما قرعيناً بالإياب المسافر و قالت: فإن يك نائبا فلقد لفا *** غلام ليس في فمه تراب

الفصَلُ الرَّابِع علي عليه السلام و النساء

إشارة

- علي و النساء في نهج البلاغة

- علي و بلاغات النساء

ص: 223

علي عليه السلام و النساء في نهج البلاغة

ما أن يُـذكر نهج البلاغة أمام جمع من النساء والرجال، حتى تقفز أقوالُ الإمام علي عليه السـلام في المرأة إلى الأذهان، و تشـغل اللسان و الفكر.

و يكون الجمع قـد اتخـذ حكمـاً قطعياً مفاده: إنَّ علياً عليه السـلام أبغض المرأة !، و موقفه هـذا جاء منبثقاً من موقف عائشـة منه في حرب الجمل.

و هل نفهم من قوله: «المرأةُ شـرٌّ كلّها ، وشـرّ ما فيها أنه لابد منها». فيه تحامل من الإمام علي عليه السلام على المرأة، و أنَّه عليه السلام لم يمدحها بكلمة. و هل أسبغ رأيه بعائشة على بقية النساء، فلا توجد في الدنيا امرأة صالحة تستحق المدح؟!.

أمَّا النصوص الواردة في نهـج البلاغة فهي مجموعة من الخطب و الرسائل و المواقف و الحِكم قالها الإمام تبعاً للظروف و المناسـبات،(1) فمنهـا مـا كـان أجوبـة عن أسـئلة، و منهـا خطاب لأهل العراق الـذين قاتلوا معه الناكثين و القاسـطين و المارقين، و منها في وصف عظمة الخالق، و عظمـة الإسـلام و نبيه، و منها وصايا لأرحامه و أصـحابه، و منها في وصف الجنـة و النار و الحياة و الموت، و أحوال الإنسان في هذه الدنيا و شأنه،

1- محمدجواد مغنية، فضائل الإمام علي عليه السلام...، ص71.

و منها نفثة روحية إلى غير ذلك.(1) فهناك عشرات الخطب الطويلة والقصيرة الموجزة، يهملها غير المنصف ليتم التركيز على خطب معينة لايتجاوز عددها أصابع اليدين لتكون أسفيناً يدق بين الإمام علي عليه السلام و النساء.

ابتداء نؤسس لفكرة مهمة إنَّ الإمام عليّاً عليه السلام ليس عدواً لأحد، بل هو الحق كله، والحق معه، و هو عدو للباطل و المبطلين. و قد تصفّحنا علاقة الإمام عليه السلام مع نساء في حياته في الفصول السابقة، من أم وزوجة، فكان خير إنسان ينظر إليهن بالنظرة الربانية و الإنسانيَّة معاً.

و المعروف أنَّ كلّ رجل يعطي رأيه عن طريق تجربته في حياته مع المرأة، و عن طريق علاقته بزوجته، فإذا كانت زوجته صالحة اعتقد أنَّ كلّ نساء العالم صالحات، و الإمام علي عليه السلام كانت زوجته (فاطمة الزهراء عليها السلام) سيدة نساء العالمين، و كذلك كانت زوجته المؤمنة أم البنين.(2)

فضلاً عن ذلك فإنَّ الإمام عليّاً عليه السلام، على بيّنة من أمره بأنَّ النساء لسن على درجة واحدة، ففيهن المؤمنة و الكافرة، و التقية و الفاسدة،

1- محمد عبده، نهج البلاغة، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، 1986، ص3.

2- مجموعة مؤلفين، نهج البلاغة -نبراس السياسة و منهل التربية، مؤسسة نهج البلاغة، مطبعة سلمان الفارسي، قم -إيران، 1404هـ، ص193.

شأنهن في ذلك شأن الرجال. و قـد أوضـح ذلك القرآن الكريم بشـكل مفصَّل، فضـرب مثلاً للذين آمنوا زوجة فرعون التي كان زوجها في مقدمة الكافرين و أشد المعاندين، في حين كانت هي من أعظم المؤمنين، قال تعالى:

«ضَـرَبَ اللّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْـدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَـا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللّهِ شَـيْئًا وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الـدَّاخِلِينَ * وَضَـرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَـالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْـدَكَ بَيْتًـا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».(1)

فإذا كان الإمام علي عليه السـلام يعلم هـذا كلّه، ثم بعـد ذلك يقول في نهجه:«الْمَرْأَةُ شَـرٌّ كُلُّهَا وشَـرٌّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لا بُـدَّ مِنْهَا»،(2) أو يقول: (النساء حبائل إبليس)، فهو لايقصد بالمرأة زوجته فاطمة و مثيلاتها ممن سرن على نهجها من المؤمنات، بل يقصد بها أي امرأة قد استحوذ عليها الشيطان فرضخت له.(3)

1- سورة التحريم: آية 10 - 11.

2- نهج البلاغة، باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام، حكمة 229.

3- نهج البلاغة نبراس السياسة، ص194.

أمَّا من قال إنَّ الإمامَ عليه السلام قد ألقى بثقل ما عنده من خطب في المرأة بعد موقف عائشة منه، عندما عارضت حكمه و خلافته، و ألّبت عليه الجموع و جيشت الجيوش، و لولا موقفها هذا لم ينظر علي إلى المرأة هذه النظرة التي تحطّ من شأنها و قدرها. نقول: إنَّ الإمام ما كان يخشى أحداً في أن يقول رأيه في المرأة قبل عائشة أو بعدها، فأقوال علي تنبع من منبع واحد هو نبع النبوة و الجلالة، فلا يُخالف ما جاء به اللَّه عزّوجل و نبيه المختار صلى اللَّه عليه و آله وسلم قبل حرب الجمل و بعدها. و مبدئية الإمام ليست بحاجة إلى برهان أو دليل.

فعليٌّ عليه السلام الذي يدور مع الحق و الحق يدور معه كيفما دار، لايركن إلى الشهوات أو الميول الذاتية ليستمد منها آراءه لتظهر مواقفه الشخصية بهذه الصورة، وقد تناولنا بتفصيل كيف عامل عائشة قبل الجمل و في أثنائها و بعدها، و كيف أكرمها و هي أسيرة حرب. و المعروف أنَّ الإنسان يكره من يخاصمه و يحقد عليه و لاسيّما إذا كان ضعيفاً، و عائشة كانت في موقف ضعف و هزيمة و مغلوب على أمرها، أسيرة بين يدي الإمام حتى قالت نادمة آسفة: (ليتني لم أكن و أخلق).(1)

1- محمدجواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ج1، ص374.

و إنْ كان الإمام قـد فضـح دواخل المرأة ومن تبعها في بعض الخطب، فإنَّه قـد فعل مثل هـذا وأكثر في خطب حلّل فيها شخصـية طلحة و الزبير ومروان و أهل البصـرة الذين وصـفهم الإمام بأسوأ النعوت: «جُنْدَ الْمَرْأَةِ وأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ...»، فهل أصـبح علي بعد هذه الخطب عدواً للرجال أو مبغضاً لأهل مدينة البصرة!؟.

مـا كـان علي عليه السـلام و هو بـاب العلم، أن يحكم على النساء، كلّ النساء، بسـبب امرأة واحـدة تلقب بصاحبـة الجمل، و يقيس النوع بالفرد؟ إنَّ هذا منطق الجهلاء لاالمعصومين و العلماء.(1)

و قد ذكر الإمام علي عليه السـلام في بعض خطبه تخصـيصاً فقال: «وأَمَّا فُلانَةٌ فَأَدْرَكَهَا رَأْيٌ النِّسَاءِ وضِغْنٌ غَلا فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ وَلَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الأُولَى والْحِسَابُ عَلَى اللهِ تَعَالَى».(2)

فعليٌّ عليه السلام خير من أعلن أنَّ للإنسان أحوالاً و أحوالاً، تتباين بحسب المواقف و الظروف و الأشخاص، فهو لايختصر أحوال النساء و مقامهن في حال واحدة، بل حتى عائشة قيّمها بحسب الحالات المتباينة، فهي

1- محمدجواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ج1، ص374.

2- محمد عبده، نهج البلاغة/ ج2 ، ص 48.

معه في حال، لن تكونه مع غيره بالحال نفسه لأسباب واضحة عنده و مفهومة، فقال: «... و لَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَنَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ».

و من الواضح أنَّ الإمامَ عليّاً عليه السلام كان يرتجل الكلام في خطبه و مواعظه، بل أنَّ بعض خطبه وليدة اللحظة و الموقف، و ربَّما بسبب حركة من أحد الحاضرين، أو تعليق أو استفهام؛ لذا ليس بغريب أن يأتي من أبي الحسن بضع خطب تفسر ظاهرة اجتماعيَّة و سياسيَّة و عسكريَّة ولكنها مرتبطة بذلك الموقف، كالتي كانت في حرب الجمل مثلاً، فالمرأة هي القائد، و ليست أي امرأة، إنَّها زوج النبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم و أم المؤمنين، فمن المؤكّد أن يكشف الإمام عن حكمته البالغة في قضية خلقت بلبلة في عقول الرجال، فتركتهم في أوضاع متباينة ما بين مناصر ومعادٍ، و مسالم و مقاتل، و مشارك و منزو.

و لنأتي إلى ما قاله الإمام علي عليه السلام في المرأة(1):

1- «وإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْفَسَادُ فِيهَا».

2- «الْمَرْأَةُ شَرٌّ كُلُّها وشَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لا بُدَّ مِنْهَا».

3- «غَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ وغَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيمَانٌ».

4- «الْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةُ اللَّسْبَةِ ».

1- صبحي الصالح، نهج البلاغة، أنوار الهدى، ط 4، مطبعة وفا، 1431هـ.

5- «خِيَارُ خِصَالِ النِّسَاءِ شِرَارُ خِصَالِ الرِّجَالِ: الزَّهْوُ والْجُبْنُ والْبُخْلُ. فَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مَزْهُوَّةً لَمْ تُمَكِّنْ مِنْ نَفْسِهَا، وَإِذَا كَانَتْ بَخِيلَةً حَفِظَتْ مَالَهَا وَمَالَ بَعْلِهَا، و إِذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرِقَتْ "فزعت" مِنْ كُلِّ شيء يَعْرِضُ لَهَا».

6- «جِهَادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ».

7- من خطبة له عليه السلام بعد فراغه من حرب الجمل، في ذم النساء و بيان نقصهن: «مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الإِيمَانِ نَوَاقِصُ الْحُظُوظِ نَوَاقِصُ الْعُقُولِ فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلاةِ والصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ وأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ ولا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى لايَطْمَعْنَ فِي الْمُنْكَرِ».(1)

8 - و قال عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه السلام بعد انصرافه من صفين: «وَإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ وَعَزْمَهُنَّ إِلَى وَهْنٍ وَاكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ ولَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لا يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَا

1- صبحي الصالح، نهج البلاغة، أنوار الهدى، ص118.

يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ ولا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ ولَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ و لاتَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا وَلا تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا و إِيّاكَ والتَّغَائِرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ فَإِنّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ وَالْبَرِيئَةَ إِلَى الرِّيَبِ».

9- و من وصية للإمام علي عليه السلام لعسكره قبل لقاء العدو بصفين: «و لاتَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًى وَ إِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وَ سَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى و الأَنْفُسِ وَ الْعُقُولِ إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ و إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفَهْرِ (حجر يدق به الجوز) أَوِ الْهِرَاوَةِ (العصا) فَيُعَيَّرُ بِهَا وعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ».(1)

10- و هناك كلام له عليه السلام: «إذا بَلَغَ النِّسَاءُ نَصّ الحِقَاقِ فَالعَصَبَةُ أوْلى».(2)

11- و من كلام له عليه السلام في ذمِّ أهل البصرة بعد حرب الجمل، أشار إليهم بالقول: «كُنتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ وأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ ، رَغَا فَأَجَبْتُمْ ، وعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ ، أَخْلاقُكُمْ دِقَاقٌ ، وعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ ، ودِينُكُمْ نِفَاقٌ ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ...».(3)

1- نهج البلاغة نبراس السياسة، ص216.

2- صبحي الصالح، ص651.

3- صبحي الصالح، ص41.

من الأقوال السابقـة، نجد أنّ الإمامَ عليّاً عليه السـلام يتحدث عن نوع من النساء يجب الحذر منه، فهو يُحذِّر من المرأة المنحرفة التي تعمل بهواها من دون التقيّـد بمبـدأ، فإذا تركت هذه المرأة عقلها جانباً، و ألقت أوامر الشـرع وراء ظهرها لم يعد لها من همٍّ في الحياة غير زينتها و زخارفها، و الانسياق وراء شهواتها فتصبح جديرة بوصف الإمام لها، و عندها تُصبح المرأة شراً كلّها، على الرغم من حاجة الرجل إليها.(1)

و في حكمة أخرى يبيّن الإمام عليه السـلام جانباً من نفسـيّة المرأة الشـريرة، التي دأبها أن تغدر بزوجها، في حين تظهر له حسن معاشرتها، فهي –هنا– كالعقرب التي تلدغ الإنسان بعد أن تعطيه الثقة و الأمانة، فقال عليه السلام: «الْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةُ اللَّسْبَةِ».

إنّ عنايـة المرأة بنفسـها و زينتهـا لايخرجهـا من دائرة الإيمان إنْ اتّقت اللّه عز وجل و صـغت إلى نواهيه و زجره، فلاتصـبح عامل فساد في المجتمع، كما أشار إليها الإمام عليه السـلام. و أرى أنّ هذه الكلمات هي من الغيبيات من أخبار الإمام بحق النساء في زماننا، إذ أصـبحت الرقم الأول في الإفساد، في ظهورها وابتذالها في الصور و المجلات و الإعلانات و الأفلام و الأغاني، حتى أنك لو أخفيت وجود المرأة من هذه الأعمال لخفّ كثيراً عنصر الفساد.

1- نهج البلاغة –نبراس السياسة...، ص217.

و قد أشار المفكر الإسلامي المرحوم محمد جواد مغنية إلى هذا المعنى في تفسيره لهذه الحكمة بالقول: «كان المجتمع القديم يحرّم على المرأة أنْ تسهم مع الرجل في كثير من شؤون الحياة، و يفرض عليها ألواناً من التحريمات، و يسمح لها بما يتلاءم مع طبعها كالزينة وجر الذيول، ولكن في بيتها وساحة منزلها... و مضت الأيام، و تغيّر الزمان، و قنصت المرأة (حقوقها) من الرجل... و تطورت الزينة مع الزمن حتى صارت علماً، فخبراء لأزياء الملابس وكعوب الأحذية، و آخرون لصف الشعور، و رجال للتدليك و المكياج، و تمرينات من أجل الرشاقة و نحافة الخصور!... و هكذا ظهرت المرأة -في عصر الثورة والحرية- على طبيعتها من الاهتمام بزينة الحياة الدنيا، و تجاوزت من أجلها كل حد، و إلى هذا التجاوز أشار الإمام بكلمة الفساد...».(1)

1- محمدجواد مغنية، في ظلال نهد البلاغة/ ج2، ص384. مع الأخذ بنظر الاعتبار أن هذا الكلام ساقه المؤلف عن حال النساء في بدايات السبعينات من القرن المنصرم، و لم تنظر عينيه ما وصل إليه حال المرأة والنساء في زماننا هذا، حيث العري هو التقدم ، والانفلات هو الحرية، و التعفف والحجاب يوصم بالتخلف و مانعاً للتفكير!؟! و قد قال الإمام علي عليه السلام في مستدرك نهج البلاغة ص176: "يظهر في آخر الزمان و اقتراب الساعة -و هو شر الأزمنة- نسوة كاشفات عاريات، متبرجات خارجات من الدين، داخلات في الفتن، مائلات إلى الشهوات، مشرعات إلى اللذات، مستحلات للمحرمات، في جهنم خالدات".

و قـد توسَّع علمـاء الـدين والفكر في تناول وشـرح ما جاء في كلام الإمام علي عليه السـلام في المرأة و أحوالها وكيفيَّة التعامل معها، و مع ذلـك تبقى قضـية (نقص النسـاء) مثيرة للجـدل، فبعض النسـاء يتهمن الإمـام بالتحامل على المرأة؛ لأنّه وسـمها بالنقص. ولكنّ كلام أبي الحسن واضـح لاـلبسَ فيه لمن أراد الفهم و التعلم، فكلامه في المرأة مرتبط بمواقف معينـة وظروف خاصـة، و ليس صـحيحا إعمامه على المرأة في جميع أحوالها، و إذا كانت كلمـة النقص قـد أثارت الحفيظة فعلينا أن نضع في الحسـبان أنَّ كل شـيء لايملكه الإنسان هو نقص فيه.(1)

و قد حدَّد الإمام علي عليه السلام نقص المرأة في ثلاثة مجالات هي:

(نقص العقـول، و نقص الحظـوظ، نقص الطهـارة)، و أمَّا نقص الطهـارة فقـد عـبَّر عنه الإمـام بنقص الإيمـان في قـوله:«إِنّ النِّسـ اءَ نَوَاقِصُ الإيمـ انِ»؛ ذلـك أنّ العبادة التي هي لُبّ الإيمان لا تسـتقيم من دون طهارة، فإذا كان الرجل يسـتطيع ممارسـة العبادات في كلِّ وقت فإنّ المرأة تقعد عن الصلاة و الصيام في أيام الحيض، و أيام القعود تشغل ربع حياتها.(2)

1- نهج البلاغة -نبراس السياسة، ص223.

2- المصدر نفسه، ص224.

و هـذا نقص تكويني من الخالق المبـدع و ليس نقصاً في الأهلية، لأداء مهمة أخرى، فإنّ حال الحيض لما تفرضه وظيفة المرأة المقدسة في الحمل والإنجاب والإرضاع، فهو ليس منقصة للمرأة بل كرامة تعتز بها، و مكانة لايزاحمها فيها الرجل، و بهذا تكون المرأة منجبة للأجيال و صانعة للأبطال و حاضنة للرسل و الأنبياء و الأتقياء.

لكنّ العقولَ القاصـرة و النفوس المريضـة تترك اللب و تأخـذ بالقشور، فلاتوضـح المقاصـد العميقـة لقول الإمام، و تثير زوبعة قصور المرأة إيمانيًا للطعن في دورها الرسالي و واجباتها الدينية.

إن رأي الإمام عليه السـلام و قوله هنا لايخالف ما جاءت به السـماء، و لايخالف رأي النبي صـلى اللَّه عليه و آله وسـلم، فرسول اللَّه وصفها بالوصف الذي نعتها به الإمام، بل إن الإمام نقله بالحرف الواحد عن النبي صـلى اللَّه عليه و آله وسلم، فقد جاء في الجزء الأول من صحيح البخاري، كتاب (الحيض)، باب: ترك الحائض الصوم، ما نصه بالحرف الواحد(1): (خرج رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله وسلم في أضحى أو فطر إلى المصـلى، فمر على النساء، فقال يا معشـر النساء تصدّقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار، فقلن بمَ يا رسول اللَّه صـلى اللَّه عليه و آله وسلم؟

1- محمدجواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ج1، ص374.

فقال: تكثرن اللعن، و تكفرن العشيرة، ما رأيت ناقصات عقل و دين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن. قلن له: و ما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله وسلم؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى. قال فذاك نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل و لم تصم؟ قلن: بلى. قال ذاك من نقصان دينها)... فإذا كان قول النبي صلى اللَّه عليه و آله وسلم في المرأة بوحي من اللَّه فيجب أن يكون قول الإمام كذلك و هو ربيبه و تلميذه.(1)

و قال الشيخ محمد عبده رأيه في هذه الحكمة: (خلق اللَّه النساء، و حملهن على ثقل الولادة و تربية الأطفال إلى سن معين لايكاد ينتهي حتى تستعد لحمل و ولادة، و هكذا فلايكدن يفرغن من الولادة و التربية فكأنهن قد خصصن لتدبير أمر المنزل و ملازمته و هو دائرة محدودة يقوم عليهن فيها أزواجهن، فخلق لهن من العقول بقدر ما يحتجن إليه في هذا، و جاء الشرع مطابقاً للفطرة فكن في أحكامه غير لاحقات للرجال لا في العبادة و لاالشهادة و لا الميراث).(2)

لقد وصم الإمام علي عليه السلام العديد من الرجال بضعف الإيمان والعقل، و أسماهم بأشباه الرجال، و كان من تقريعه لأهل البصرة أن

1- محمدجواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ج1، ص375.

2- محمد عبده، ج1، ص129.

وصفهم بالقول: «كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ و أَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ...» و بأنهم ضعاف العقول و الدين و الأخلاق، فهم بلاعقل لأنهم أتباع البهيمة، و هم بلادين لأنهم منافقون، و هم بلاأخلاق لأنهم نكثوا العهد.(1)

و لم يخالف الإمام علي عليه السلام قوله تعالى:«لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ»،(2) عندما ذكر نقص حظوظهن، و يقصد به حظ المرأة في الإرث، فنصيب النساء على الأنصاف من نصيب الرجال، و هذا فيه تكريم كبير للمرأة. فعندما لم يطالب الإسلام المرأة بأية نفقة، نراه يعطيها نصف ما يعطي الرجل، في حين يطالب الرجل بالإنفاق على أسرته و والديه و على إخوته أيضاً إن كانوا محتاجين، فالتفريق في سهم الإرث إنما هو من مستلزمات التباين في الوظيفة و التكليف بين الرجل و المرأة.

و لو أعطى اللَّه المرأة كالرجل لكان ذاك ظلما و جوراً. و هكذا نرى أن هذا النقص أيضاً ليس مدعاة للحط من قيمة المرأة، بل هو لتحقيق العدل و الإنصاف و التعادل بين الحق و الواجب.(3)

و أمّا قضية نقص العقول فقد ورد الحديث عنها في موضع آخر من، و ذلك في وصيته لعسكره قبل لقاء العدو في صفين، بعدم التعرض

1- محمدجواد مغنية، في ظلال شرح نهج البلاغة، ج1 ، ص125.

2- سورة النساء، آية 11.

3- نهج البلاغة -نبراس السياسة، ص225.

للنساء بأذى و إن تفوهن بألفاظ السب و الشتم يقول عليه السلام: «و لا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بأذًى و إِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ و سَبَبْنَ أَمَرَاءَكُمْ فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى و الأنفُسِ و الْعُقُولِ).

و هذا قول حق، فالمرأة تحكمها عاطفتها، و من صفة المرأة إذا أثيرت حفيظتها، أنها تسترسل في التفوه بأنواع الكلام، من دون أن تستطيع كبح جماح نفسها و عاطفتها؛ و لهذا السبب عدَّ الشارع المقدّس شهادة المرأتين كشهادة الرجل الواحد؛ لأنّ المرأة بدافع عاطفتها الغالبة عليها يمكن أن تحور مضمون الشهادة فتخرجها عن حقيقتها فضلاً عن أنّها كثيرة النسيان، و لاينفي ذلك تمتع العديد من النساء بعقول ناضجة قد تفوق عقول الرجال.

و الأمثلة على ذلك كثيرة في التاريخ الإنساني و الإسلامي، فها هي المرأة المخزومية التي ناقشت عمر بن الخطاب في مهر النساء فأفحمته حتى قال: ألا تعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت، فاضلت إمامكم ففضلته؟!، و هناك العديد من الأمثلة ذكرها ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة تعالج هذا الأمر.

و غلبة العاطفة على المرأة وأحكامها أمر لا يبتعد عن الحقيقة، و لايوجب النفور أو العتب، و من هذا المنطلق نهى النبي صلى اللَّه عليه و آله وسلم عن إمارة النساء، لأنها إذا حكمت تحكم لهواها، فتشيع في الأرض الفساد، و هذا

من علامات آخر الزمان و قيام الساعة. قال النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم: (إذا كان أمراؤكم أخياركم، و أغنياؤكم سمحاكم، و أمركم شوى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها. و إذا كان أمراؤكم أشراركم، وغنياؤكم بخلاؤكم و أمركم إلى النساء، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها).(1)

فللمرأة وظيفتها الربانية التي خلقت لها و أبدعت فيها، إذ يؤكد الإمام عليه السلام في قول آخر له أن وظيفة المرأة هي في ممارسة الأعمال المناسبة لها، فهي لم تخلق لتحمل المسؤوليات الشائكة و الأعمال التي تضر بأنوثتها بل خلقت لتظل وردة جميلة و ريحانة عطرة لأهلها و أسرتها، فقال عليه السلام: «و لاتُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا فَإِنّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ و لَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ»، و في هذا رفق كبير بالمرأة يتناسب مع رقتها و أنوثتها و لايزيدها أعباء فوق أعبائها.

عبَّر الإمام عليه السلام خير تعبير عن حالات المرأة وأوضاعها وأصنافها، و لم يبخل عن إسداء بعض الإرشادات الضروريَّة للرجال، في كيفية معاملة نسائهم و الحفاظ عليهن، فالمرأة التي تنساق عادة وراء عاطفتها يجب أن تكون في ظل رجل يصونها، و يمحضها النصيحة و الرأي الصائب، الذي يجعلها تفوز بسعادة الدنيا و الآخرة.

1- نهج البلاغة -نبراس السياسة، ص221.

ومن هنـا يأتي قول الإمام علي عليه السـلام في آخر وصـيته التي كتبها لابنه الحسن عليه السـلام عنـد انصـرافه من صـفين: «إِيّاكَ ومُشَاوَرَةَ النِّسّـاءِ»، ولكن هـذا لا يعني انتفاء وجود نساء أرجـح عقلاً وأقوى عزيمـة من الرجال، فإذا كانت المرأة ذات رأي قويم و عزم قوي فلماذا لا يشاورها الرجل، و لايمكنها بجسـيم المهمات و الأعمال؟ و ها هي مولاتنا سـيدة الأحزان العقيلة زينب بنت علي عليها السـلام قد كلفها أخوها الإمام الحسـين عليه السلام بجسيم المهمة من بعده في كربلاء، بأن تتابع نهضته الرسالية، و أن تبين للملأ أهدافها و مراميها، فقامت بـذلك بكل ثبات ورباطـة جأش ، وحمت ابن أخيها الإمام زين العابدين عليه السـلام و جميع السـبايا، فكانت بذلك (بطلة كربلاء)،(1) و أمثولة الإباء.

و التبـاين في الأـحوال ما بين امرأة و أخرى، و ظرف و آخر، ينعكس كـذلك على مسألـة الحجاب و التستر، فإن كان الإمام عليه السـلام قد قال:«واكْفُفْ عَلَيْهِنّ مِنْ أَبْصَارِهِنّ بِحِجَابِكَ إِيّاهُنّ» فهو يتبع خطى الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله وسلم و تعاليم القرآن الحكيم الذي جـاء فيه: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنّ وَلاـ تَبَرّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيّـةِ الأـُولَى وَأَقِمْنَ الصّـلاَةَ وَآتِينَ الزّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللّهَ وَرَسُولَهُ»، و قال سـبحانه في حجاب الرأس: «يَا أَيُّهَا النّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ

1- نهج البلاغة -نبراس السياسة، ص219.

وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ».(1) و جاء هـذا النص موظّفاً في كلام الإمام علي عليه السلام: «وإنِ اسْتَطَعْتَ أَلا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ».

و على الرغم من أنّ الخطاب في هذه الوصـية موجّه إلى الإمام الحسن عليه السلام ولكنه كلام خاصّ يُراد به عموم المسلمين؛ لأنّ عقيلات و نساء أهل البيت عليهم السـلام كن أشـد الناس تمسـكاً وتطبيقاً لتعاليم الشـريعة. و قـد ذكرنا رواية ابن شـهر آشوب في المناقب أنّ النبي صلى اللّه عليه و آله و سلم قال لفاطمة عليها السلام: «أي شيء خير للمرأة؟ قالت: أن لاترى رجلاً و لايراها رجل. فضمَّها إليه و قال: ذرية بعضها من بعض».

و قد أثر عن العقيلة زينب عليه السـلام أنها كانت لاتعرف من باب دارها غير وجهه الداخلي، و كانت عندما تضـطر إلى مغادرة بيتها، تخرج ليلاً محجبة و معها الحسن عليه السـلام عن يمينها، و الحسـين عليه السلام عن شمالها، و أبوها أمير المؤمنين عليه السلام أمامها. و هكذا كانت مولاتنا سـكينة بنت الحسين عليها السلام شبيهة بجدتها فاطمة الزهراء عليها السلام، فكانت منقطعة إلى العبادة و دائمة الاتصال مع اللّه عزّوجل، لاتغادر بيتها، و لاتلتفت عن مسجدها، حتى أنه لما خطبها ابن عمها الحسن المثنى بن الإمام الحسن عليه السلام،

1- سورة الأحزاب: 59.

قال له أبوها الحسين عليه السلام: «أعطيك فاطمة عليها السلام ابنتي فهي كأمي الزهراء عليها السلام في العبادة، أمّا سكينة فلا تصلح لرجل، لأنها غالب عليها الاستغراق مع اللّه».(1)

و على الرغم من كلِّ هذا التبتل في حب اللّه و طاعته، إلّا أن المقامات والأحوال تختلف، فيفرض الواقع الموضوعي على المرأة أن تقف مع الرجل جنباً إلى جنب لتسجل موقفاً بطولياً و رسالياً يدفع إليه التكليف الشرعي و ضرورة الحفاظ على حياة الإسلام و على حيويته، وع لى حدوده و ثغوره، و هذا ما كان من مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام و من بعدها ابنتها العقيلة زينب عليها السلام و سواهن من عقائل الرسالة يشاركن في تسجيل مواقف رسالية و سياسية علنية و في ملأ من الناس مع عدم التخلي عن الالتزام بالحجاب و عدم الإخلال به.

و هنا أذكر قولاً لمعاوية أشار فيه إلى خروج الزهراء عليها السلام و كأنَّه يُعيب على الإمام علي عليه السلام هذا الموقف.

ففي كتابه إلى الإمام نقله اليعقوبي أشار إلى: (و أعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار و يداك في يدي ابنيك الحسن والحسين عليهما السلام يوم

1- نهج البلاغة -نبراس السياسة، ص230.

بويع أبي بكر الصديق فلم ترع أحداً من أهل بدر و السوابق إلا دعوتهم إلى نفسك و ميت إليهم بامرأتك و أدللت إليهم بابنيك...).(1)

و ما معاوية بأعرف من أميرالمؤمنين عليه السلام بواجبات السماء. و ما هو بأحرص منه بحفظ العقائل، و ما كان خروج الزهراء عليها السلام مع علي مناصـرة له إلا لإلزام المسـلمين الحجة في تركهم وصـية النبي المصطفى صلي اللّه عليه و آله و سلم في خلافة ابن عمه المرتضى عليه السلام.

إنّ نظرة الإمام علي عليه السلام هي عين نظرة الإسلام، و ذات نظرة النبي صلى اللّه عليه و آله وسلم، فهو الذي تربى في أحضان النبي صلى اللّه عليه وآله و سـلم و زقه العلم زقاً، حتى أصـبح باب مدينـة العلم، و هو إمام الإنسانيَّة و الرحمـة، فمما يجافي العقل أن نتصور تحامل له على المرأة أو غيرها يميل لهوى شخصي، أو تقبيح لموقف شرس آذاه.

لقد كان سـيد الأوصـياء علي عليه السـلام دقيقاً في وصـفه دقيقاً في كلمه، مراعياً لربه في أقواله و أفعاله، فها هو لايترك صـغيرة و لاكبيرة إلا أوصـى بها، و من هنا كانت وصـيته في نسائه اللاتي تركهن بعـده، فيذكرهن بالقول: (و من كان من إمائي، اللاتي أطوف عليهن، لها ولد، أو هي حامل،

1- علي الأحمدي الميانجي، ص194 . نقلاً عن تيسير الوصول، ج2، ص46.

فتمسك على ولدها، و هي من حظه، فإن مات ولدها، و هي حية فهي عتيقة، قد أخرج عنها الرق، و حررها العتق).(1)

رعى الإمـام علي عليه السـلام المرأةَ و حافـظ على حقوقها، و حفظ لها مكانتها و لننظر بتمعن في أقواله للزهراء عليها السـلام في حياتها و مرضـها و عند دفنها و بعد رحيلها...، كيف احتلت المكانة الكبيرة في نفسه و حياته؛ لذا كان علي حاضراً في أقوال النسوة و بلاغاتهن حتى بعد رحيله، فماذا قلن النساء في علي.

1- صبحي الصالح، ص481.

علي عليه السلام في بلاغات النساء

كما كانت المرأة حاضـرة في أقوال و خطب الإمام علي عليه السـلام، كذلك كان علي عليه السلام حاضراً في خطب النساء و بلاغتهن التي نقلتها لنا المراجع التاريخيَّة.

إنَّ التأكيد على عليه السـلام خطب النساء أو بلاغاتهن هنا لتوضـيح ما لهذه الوسـيلة التوثيقية من أهمية في حفظ وقائع تاريخيَّة حدثت في زمن غير زماننـا، فضـلاً عن ذلك فإنَّ الخطبـة كانت تعـدّ الوسـيلة الإعلاميَّة الأكثر تأثيراً في نفوس المتلقين آنـذاك، فالعرب بوصـفهم كياناً مجتمعيّاً، و حضارة حيـة، اعتزوا بالكلمـة و إلقائها، و كانت مشاهدهم و وقفاتهم الحاسـمة تؤطرها خطب و أشـعار تلقى فتبين الهدف من الجمع أو المشهد، ثم تثير المشاعر و تخطف العقول بأفكار تصوغها كلمات تتناقلها فيما بعد الأفواه إلى أبعد مدياتها، فتصبح و ثيقة حية لا تموت، تؤطر حياتهم و ما مر بهم من وقائع.

و حيثما كانت الكلمة لها هذا الوقع المبين في أنفسهم فإن الله عز وجل قد أنزل عليهم معجزة نبيهم من لدنها، فكانت كلمات معجزات في كتاب معجز منزل من السماء اسمه القرآن.

و سوف نتناول في بحثنا هـذا بلاغات النساء من خطب ذكرت الإمام علي عليه السـلام و ما له من فضل و أسـبقية في الإسـلام، و سنسـلط الضوء على عليه السـلام خطب سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام التي بيّنت فيها خصال أبي الحسن و انتصارها له، مع بعض خطب للوافدات على معاوية ممن اشـتملت كلماتهنّ على شـهادات لفظية راقية حفظت للإمام علي عليه السلام إمامته و وصايته بعد النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم، و أبانت مدى الاعتزاز و التقدير الذي أكنته قلوب هذه النسوة إزاء علي في حياته و بعد استشهاده.

كان علي عليه السـلام حاضـراً في خطب و أقوال الزهراء عليها السـلام تصـريحاً و تلميحاً، في دفاعها عنه و عن حقه في الخلافـة بعد النبي المصـطفى صلى الله عليه وآله و سلم، و كذلك كان حاضراً في خطب من صاحبه و من أحبه، لاأحد يستطيع نكران فضله و سمو خصاله و تعدد فضائله.

و لو تفحصـنا خطب الوافدات على معاوية لوجدنا كماً من الأقوال البلاغيَّة، جاءت على ألسن أنطقها الحق و لـم تأخذهن فيه لومة لائم، فلم يمنعهن الخوف من جور سلطان معاوية غريم علي و قاتله، أن يذكرن لأبي الحسن بعض من فيض محاسنه. فقد لاحق معاوية كل أصحاب علي عليه السلام و مريديه و قتلهم شر قتلة، و هم المتبتلين في حب علي عليه السلام، ذاك النور المحمدي الحاضر بينهم و إن غاب عنهم، و ما خطبة ضرار فيه ببعيدة عن الأذهان.

و يبقى للنساء شرف الوقوف هذا الموقف المبدئي من الإمام علي عليه السلام، و القائلات فيه مقالة أرَّختها صفحات التاريخ، و وثقتها الكتب و المراجع، فأصبحت من درر الكلم و مأثور القول.

إنَّ هذه الخطب هي وسيلة إعلاميَّة، و رسائل إعلاميَّة فائقة الأهمية نشرها معاوية رغماً عنه، و من دون أن يدري إن استنطاقه لهؤلاء النسوة إنما كان يسجل شهادات تقدير (رسمية) تاريخية بحق علي عليه السلام.

أمَّا الزهراء عليها السلام فقد قدمت دوراً إعلامياً متميزاً بإلقاء خطبتها المسجد النبوي الشريف، و من ثم أقوالها لمن زارها من النساء في بيتها بعد احتجابها عن المجتمع الظالم لها، و هي دائمة التذكير بحق زوجها قائلة: (ما صنع أبوالحسن عليه السلام إلا ما كان ينبغي له أن له أن يصنع... و لقد صنعوا ما اللَّه حسيبهم و طالبهم).(1)

إن موقف الزهراء عليها السلام، السياسي - الإعلامي في توضيح (ما هي الإمامة) في ذاك اليوم و في تلك الخطبة العصماء هو موقف عظيم، فهي عليها السلام لم تكن معزولة عن حركة المجتمع، و لاعن تداعيات الموقف، و قضايا العدل و الظلم، بل كانت تشارك مشاركة حقيقية، بحسب ما قدر لها، فهي على الرغم من أنها عليها السلام ابنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم، و زوجة علي عليه السلام

1- مريم فضل اللَّه، ص210.

و سيدة نساء العالمين و أطهر النساء، و أبعدهن عن الدنس، و تتمثل فيها كل صفات الكمال، لكنها لم تتخل عن مسؤولياتها عندما واجهت الانحراف و الظلم، فقد كانت عليها السلام على استعداد لتحمل كل المحن و الأذى.(1)

فالزهراء عليها السلام في وقفتها تلك لم تكن راغبة في الظهور إلى العلن لمجرد الظهور، بل إنها كانت عازفة عن كل الخلق لجثوم حزنها على أبيها المصطفى صلي اللّه عليه و آله و سلم على قلبها، و انذهالها عن الحياة و مباهجها، و ركونها إلى سكب الدمعة في بيت الأحزان.

و أمسكت الزهراء عليها السلام صامتة لاتعقب، و مضت أيام بعد وفاة النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم و هي في عزلة عن الناس، لاتنشط للنضال عن ميراثها الذي أباه عليها أبوبكر، و هل أبقى لها الحزن من قوة تسعفها على نضال..؟ تظل منطوية على جراحها و حزنها، لو لم يدعها الواجب، أن تؤدي حق زوجها و ولديها عليها، فتسعى في رد الأمر إلى أهل بيت الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم.(2)

عرفنا ما كانت عليه الزهراء عليها السلام من خشونة الحياة و شظف العيش،

1- محمد باقر الحكيم، الزهراء عليها السلام..، ص42.

2- ذكر تفاصيل هذه الأحداث، ابن سعد في طبقاته / ج2، ص60 و ما بعدها؛ و كذلك البخاري و مسلم و الترمذي و ابن ماجة و ابن حنبل.

وكانت الـدنيا في عينيها أحقر من ذبابـة طفيلية تنظر إليها باشـمئزاز، و لهذا كانت أكبر من أن تنازع، أو تخاصم أحداً لأجل الإرث المادي و غيره من متاع الـدنيا، فهي تعلم علم اليقين بأن حياتها قصـيرة لاتبقى بعـد أبيها إلا أياماً معـدودات كما أخبرها النبي صـلي اللّه عليه و آله و سلم بذلك.(1)

و لكن الزهراء عليها السـلام كان لابد لها من هذه الوقفة، و لولا موقفها في ذلك اليوم المشـهود، إلى جانب أميرالمؤمنين عليه السـلام لكان من الممكن أن تخفى الإمامـة على الأجيـال التي جـاءت بعـد علي عليه السـلام. و تتشوه الحقـائق و تتغير، و لولاـ إكمالها دور علي عليه السـلام في ذلك اليوم، لكان من الممكن اختفاء حقيقـة وصاية علي عليه السـلام و ولايته على كل المسـلمين في الأجيال اللاحقة للرعيل الأول. لقـد كان للزهراء عليها السـلام في خطبتها و أقوالها تلك دور عظيم في حفظ الإسـلام، و الحقائق الإسـلاميَّة، و المنهج و المذهب الصحيح الذي توارثته الأجيال عن أهل البيت عليهم السلام.(2) و هذا الدور شبيه إلى حد كبير، بتكاملية الدور الرسالي الذي وقفه أبناؤها من بعدها (الحسين و زينب عليهما السلام) في كربلاء، و لولا هذا التكامل في الأدوار لم يحفظ الدين، و لم يبق.

1- مريم فضل اللّه، ص213.

2- محمد باقر الحكيم، ص42.

ها هي فاطمة الزهراء عليها السلام تخاطب أبابكر موضحة منزلتها و منزلة زوجها علي من الرسول صلي اللّه عليه و آله و سلم إن أنكروا أو تجاهلوا بالقول: (لقد جاءكم رسول صلي اللَّه عليه و آله و سلم من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فإن تعرفوه تجدوه أبي دون آبائكم و أخا بن عمي دون رجالكم).(1)

ثم تأخذ في تبيان حسن بلاء أبي الحسن عليه السلام في الحروب التي خاضها النبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم و المسلمون قائلة: (كلما حشوا ناراً للحرب أطفأها و نجم قرن الضلال و فغرت فاغرة من المشركين قذف بأخيه في لهواتها، فلاينكفئ حتى يطأ حماقها بأقمصه و يخمد لهبها بحده مكدوداً في ذات الله قريباً من رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم سيداً في أولياء الله و أنتم في بلهنية و ادعون آمنون).(2)

و من بعد إظهار الزهراء عليها السلام لموقف علي في الحرب و موقفهم، تعرج على انكفائهم و انقلابهم عن الرسول صلي اللَّه عليه و آله و سلم بعد موته بلحظات، قائلة: (هذا و العهد قريب و الكلم رحيب و الجرح لما يندمل) مشيرة بذلك إلى ما كان منهم عند وفاة النبي صلى الله عليه و آله و سلم، فإنهم انصرفوا عن غسله إلى تنصيب خليفة عليهم يلي أمورهم بعد النبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم و لم يشتغل بغسله و تكفينه إلا علي و آل البيت عليهم السلام.

1- أحمد بن أبي طاهر طيفور، بلاغات النساء، ص24.

2- المصدر نفسه.

و يـذكر زيـد بن علي عن عمته زينب بنت الحسـين عليه السـلام رواية مشابهة لهذه الخطبة و ظروفها بالقول: (لما بلغ فاطمة عليها السـلام إجماع أبي بكر على منعها فـدك لاثت خمارها و خرجت في حشدة نسائها ولمة من قومها تجر أذراعها ما تخرم من مشـية رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله و سلم شيئاً حتى وقفت على أبي بكر و هو في حشد من المهاجرين و الأنصار، فأنت أنة أجهش لها القوم بالبكاء.(1)

إنَّ الزهراء عليها السـلام ما أرادت إلا أن تلقي برسالتها الإعلاميـة المتكاملـة الأركان، البينـة في حججها على ملأ من الناس، و أكبر وأكبر جمع من المسـتمعين لهـا، لتكون حجـة على من أصـغى إليهـا و تلقى الرسالـة، و أن تضـمن وصولهـا إلى أكبر عـدد ممن حضـرها و لم يحضـرها. فقد كان لها أن ترسل الإمام علي عليه السـلام في طلب أبي بكر و من التف حوله في إمضاء أمره، و تسـلمه رسالتها إليه، و لكنها أعطت درساً تاريخياً في ضـرورة إظهار الحق و الصـدع به إينما كان، بأسـلوب الإعلان و الإعلام لأكبر عـدد من المتلقين، حتى إنها عليها السـلام كانت غالباً ما تلتفت إلى أهل المجلس(2) مخاطبـة لهم و مذكرة بواجباتهم و مواقفهم من الرسول صـلي اللّه عليه و آله و سـلم و الرسالة المحمدية.

1- ابن طيفور، ص26.

2- المصدر نفسه، ص28.

فهي القائلـة لهم: (ثم انتم عباد اللّه نصب أمر اللّه و نهيه و حملـة دينه و وحيه و أمناء اللّه على أنفسـكم و بلغاؤه إلى الأمم زعمتم حقاً لكم الله فيكم عهد قدمه إليكم و نحن بقية اسـتخلفنا عليكم و معنا كتاب اللّه بينة بصائره..)،(1) أي زعمتم أن لكم حقاً في الخلافة أو في منعنا الإرث فأين عهد الله لكم بذلك؟!

أو تقول لهم (معاشـر المسـلمة المسـرعة إلى قبل الباطل المغضية عن الفعل الخاسر...) أو قولها للأنصار: (معاشر النقباء و أعضاء البقية و أنصار الدين و الملة و حضنة الإسلام، ما هذه الغميزة في حقي و الإعراض عن ظلامتي؟ أما كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم أبي يقول: المرء يحفظ في ولده؟... إيها بني قيلة(2) أهظم تراث أبي و أنتم بمرأى مني و مسمع...).(3)

إن الزهراء عليها السـلام و هي الشـمس المشـرقة في المجتمع و غير المخفية شخصها الكريم عن الحضور، ما كنت تبدأ خطبتها –رسالتها الإعلامية إلا بالتعريف هكذا:(أيها الناس أنا فاطمة عليها السلام و أبي محمد صلى اللّه عليه و آله وسلم...).(4)

و (.. بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية أني ابنته).(5)

1- ابن طيفور، ص28.

2- و هما قبيلتا الأنصار: الأوس و الخزرج.

3- ابن شهر آشوب، المناقب/ 2، ص235.

4- المصدر نفسه، ص29.

5- محمد جواد الطبسي، ص246.

و هـا هو أبوبكر يرد عليها مؤكـداً صـدق كلامها و حججها التي أوردتها قائلاً لها: (...كان أباك دون النساء و أخا ابن عمك دون الرجال آثره على كل حميم و ساعـده على الأمر العظيم، لايحبكم إلا العظيم السـعادة و لايبغضـكم إلا الرديء الولادة و أنتم عترة اللّه الطيبون و خيرة الله المنتخبون على الآخرة أدلتنا و باب الجنة لسالكنا و أما منعك ما سألت فلا ذلك لي...).(1)

هـذه الخطبـة العصـماء و إن كنـا اعتمـدنا على مـا رواه ابن طيفور و ابن شـهر آشوب إلا أنَّ الخطبـة رواها آخرين منهم: الجوهري،(2) و المسـعودي في مروج الـذهب، و ابـن أبي الحديـد،(3) و الأربلي،(4) و السـيد المرتضـى في الشـافي، و العلامـة المجلسـي،(5) و الطبرسي،(6) و الطوسي،(7) و الطبري.(8)

1- ابن طيفور، ص31.

2- السقيفة: ص98.

3- شرح نهج البلاغة/ ج16، ص211.

4- كشف الغمة/ ج2، ص105.

5- بحار الأنوار/ ج8 ، ص105.

6- الاحتجاج/ ج1، ص131.

7- أمالي الطوسي، ص680.

8- دلائل الإمامة، ص30. نقلاً عن: محمد جواد الطبسي، حياة الصديقة، ص242 و ما بعدها.

إن فاطمة الزهراء عليها السلام عندما تضع صنائع الإمام علي عليه السلام أمام أعينهم في خطبتها تلك تنير في عقولهم دلالات المقارنة بينه والآخرين أينما كانوا، و هي القائلة لهم:(قذف أخاه في لهواتها فلا ينكفئ حتى يطأ جماحها بأخمصه و يخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات اللَّه، مجتهداً في أمر اللَّه، قريباً من رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم، سيداً في أولياء اللَّه، مسمراً ناصحاً، مجداً كادحاً، لاتأخذه في اللَّه لومة لائم).(1)

و لم تتوقفِ الزهراء عليها السلام عن الصدح بقول الحق في الوصي علي بن أبي طالب عليه السلام حتى بعد اعتزالها الناس، فها هي أم سلمة دخلت عليها فقالت لها: كيف أصبحت عن ليلتك يا بنت رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم؟ قالت: أصبحت بين كمد و كرب فقد النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم و ظلم الوصي، واللَّه حجبه أصبحت إمامته مقتصة على غير ما شرع اللَّه في التنزيل، و سنها النبي صلي اللَّه عليه و آله و سلم في التأويل، و لكنها أحقاد بدرية و ترات أحدية كانت عليها قلوب النفاق مكتمنة لإمكان الوشاة فلما استهدف الأمر أرسلت علينا شآبيب الأثار من مخيلة الشقاق، فيقطع وتر الإيمان من قسي صدورها، و ليس علي ما وعد اللَّه من حفظ الرسالة و كفالة المؤمنين أحرزوا عائدتهم غرور الدنيا بعد انتصار ممن فتك بآبائهم في مواطن الكروب و منازل الشهادات).(2)

1- دلائل الإمامة، ص245.

2- ابن شهر آشوب، المناقب، ج2، ص234.

إنَّ ابنـة النبي صـلى اللّه عليه و آله و سـلم تعلم علم اليقين إلى أين هي الأـمور سائرة، و لكنها في خطبها العصـماء هـذه، و كلماتها الغراء ترسل لمن حولها و لمن جاء بعـدها رسائلها الإعلامية، التي تهدف إلى شـرح الأسـباب و الدوافع و هي العارفة أنها لن تتلقى من الجموع التي اسـتهدفتها رسالتها أي نصـرة و هي القائلة لهم: (ألا و قد قلت الذي قلته على معرفة مني بالخذلان الذي خامر صدوركم و استشـعرته قلوبكم، و لكن قلته فيضة النفس و نفثة الغيظ و بثة الصدر و معذرة الحجة...).(1)

و هناك خطبة -رسالة إعلامية- أخرى للزهراء عليها السـلام في ظلامة فدك و أهل البيت عليهم السـلام أوردها الطوسي في أماليه قال: هذا حـديث و جـدته بخط بعض المشايـخ رحمهما اللّه ذكر أنه وجده في كتاب لأبي غانم المعلم الأعرج، و كان مسـكنه بباب الشـعير، و جد بخطه على ظهر كتاب له حين مات، وهوأن عائشـة بنت طلحة دخلت على فاطمة عليها السـلام فراتها باكية، فقالت لها: بأبي أنت و أمي، ما الذي يبكيك؟ فقالت لها صـلوات اللّه عليها: (أسائلتي عن هنة حلّق بها الطائر و حفي بها السائر، و رفع إلى السماء أثراً، و رزئت في الأرض خبراً، إن قحيف تيم، و أحيدك عديّ جاريا أبا الحسن في السباق، حتى إذا تقربا بالخناق، أسرّا له الشنآن و طوياه الإعلان).(2)

1- ابن طيفور، ص21.

2- عبد الكريم العقيلي، ظلامات فاطمة الزهراء عليها السلام، ص101. نقلاً عن: الأمالي للطوسي:1 / 204 ح350.

و بقيت أم الحسن عليها السلام تؤدي ما عليها من حق إزاء الإسلام و نبيه صلي اللّه عليه و آله و سلم و وصيه عليه السلام حتى الرمق الأخير، فلما مرضت عليها السلام المرضة التي توفيت بها دخل النساء عليها فقلت كيف أصبحت من علتك يا بنت رسول اللَّه صلي اللَّه عليه و آله و سلم، قالت: أصبحت واللَّه عائفة لدنياكم قالية لرجالكم...، و يحهم أنى زحزحزها عن رواسي الرسالة و قواعد النبوة و مهبط الروح الأمين الطبن،(1) بأمور الدنيا و الدين ألا ذلك هو الخسران المبين و ما الذي نقموا من أبي الحسن عليه السلام نقموا و اللَّه منه نكير سيفه و شدة و طأته و نكال وقعته و تنمره في ذات اللَّه، و يالله لو تكافئوا على زمام نبذه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم لسار بهم سيراً سجحاً لايكلم خشاشة و لايتعتع راكبه و لاوردهم منهاً روياً فضفاضاً تطفح ضفتاه و لاصدرهم بطانا قد تحرى بهم الري غير متجل منهم بطائل بعمله الباهر وردعه سورة الساغب و لفتحت عليهم بركات من السماء).(2)

فالزهراء عليها السلام إذن لم تكن تطالب ببقعة من أرض اسمها فدك... أو بإرث مادي، و هي الزاهدة العابدة، المنصرفة عن ملذات الدنيا، بل كانت تطالب(بالحق) و إرجاعه إلى أهله الشرعيين، فقد جعل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم الخلافة في علي بن أبي طالب عليه السلام زوجها.(3)

1- الطبن: لغة الفطين و الطبنة: الفطنة جمع طِين.

2- ابن طيفور: ص32 - 33.

3- مريم فضل الله، ص213.

فقد أثبت جميع المؤرخين، و أهل السير، أن الزهراء سلام اللّه عليها لم تكن تهمها فدك أو غيرها مما تركه والدها الرسول الكريم صلى اللّه عليه و آله و سلم، بل كانت وقفتها تلك رسالة و جهتها إلى الأمة الإسلاميَّة و ناقوس خطر دقته، لضياع حق الإسلام و المسلمين في الحفظ قبل أن يكون حقها وحق زوجها علي عليه السلام.

أزالت الزهراء عليها السلام الغشاوة عن أعين من انقلب على عقبيه، و هي عندما تلقي على مسامع النسوة هذه الموعظة الباهرة في توضيح سبب الانقلاب(و ما نقموا من أبي الحسن عليه السلام)؟! تساؤل استنكاري، يستفز النفوس المؤمنة ليعيدها إلى الصواب، فالإمام كما و صفته زوجته متنمراً في ذات اللَّه، لاعلى عيال اللَّه و خلقه، لقد زحزحوا الحق إذن عن آل بيت النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم أو بالأحرى عن علي الطبن بأمور الدنيا والدين و الخبير بحال المسلمين و سبل إصلاحهم...

قد قدمت الزهراء عليها السلام في خطبتها هذه صوراً رمزية و تصويرية واضحة الدلالة على الجانبين؛ لو كان الوصي علي عليه السلامهو الخليفة المختار بعد النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم، أو لم يكن، كيف سيمسي حال الأمة الإسلاميَّة، بأي بلاء سيبتلون إن نكصوا. في عبارات قل نظيرها في الخطب و الأقوال كيف لا؟ و هي سيدة النساء العاقلة الحكيمة ذات الفصاحة و البلاغة، لم يجود مثلها في النساء.

قالت السيدة عائشة: (ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً و حديثاً برسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم من فاطمة عليها السلام).(1)

رأت فاطمة الزهراء عليها السلام قومها يستبدلون الذنابى بالقوادم(2) و العجز بالكاهل، فهل تتركهم يركنون إلى الذي هو أدنى دون الذي هو خير دون أن ترشدهم و تجزيهم النصح في بضع كلمات غرر أضحت خير مثال على رسالة متكاملة الخصائص أدتها بنت سيد البشر على أكمل وجه، فلم تدع لهم من منقذ للاعتذار.

و يمكننا الإشارة هنا إلى جملة نقاط امتازت بها هذه الوسيلة الإعلامية المتقدمة، منها:

1- كانت خطب الزهراء عليها السلام خير وسيلة للاعتراض و المعارضة، فكانت راية رفعتها خفاقة في وجه المغتصبين حقها و حق زوجها علي و هي الحريصة على تضامن المسلمين، و إعلاء كلمة الدين، و لكن موقفها المتصلب هذا، كان لابد منه لتبين للناس حق علي بالخلافة، و تزيل الغشاوة عن أعين بعض المسلمين السابحين في لجج الضوضاء.

2- مثلت خطبة الزهراء عليها السلام في المسجد النبوي الشريف صلى اللّه عليه و آله و سلم نقطة

1- مريم فضل اللّه، ص215.

2- ابن طيفور، ص33.

التقاء و إصـغاء لأكبر عدد ممكن من جمهور المسـلمين، جاؤوا لسـماعها و الإصغاء إلى ما ستقوله في مكان يعتبر مركز القيادة السياسية و أمام من وضع قائداً للدولة يحوطه جمع من أمراء القوم و أكابرهم.

3 – أذهلت خطبة الزهراء عليها السـلام القوم بسعة أفقها و جزيل قولها و بلاغتها اللامتناهية، والمستمدة عنفوانها و ألقها و قوة حججها من آيات القرآن الكريم و أحاديث سيد الخلق و نبي الرحمة صلى اللّه عليه و آله و سلم.

4 – كانت خطب الزهراء عليها السـلام بحججها أمضـى من حد السيف، حيث كان الحق ينبلج من بين ثنايا الحروف و الكلمات، و كانت تركز في استشهاداتها إلى قول الله تعالى.

5 – بدت الزهراء عليها السـلام كصاحبة قضـية رأي عام، كاملة السـيطرة على الموقف الشعبي، و قد أخذت بمجامع القلوب و الأعين التي بكت لمقالتها و لتجسيدها كامل الحضور النبوي صلى اللّه عليه و آله و سلم المفقود بينهم.

6 – كانت خطب الزهراء عليها السـلام أداة إعلامية متكاملة الأداء و التأثير بمن حولها و سردت بوصف بلاغي معجز أحقية و مكانة و مزايا أبي الحسن زوجها و أخ الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم و ابن عمه وسانده و عضيد أمره في حياته و بعد وفاته.

7– بلغت الزهراء عليها السـلام في خطبتها الثانية للنساء أقصـى درجة التحذير و التذكير و استشـراف الآتي عندما أخذت بوصف الصفات القيادية

الربانيـة التي يمتلكهـا علي و كيف سـتؤول الأمور بهم في الحالين...، لو كان علي عليه السـلام خليفـة لهم أو لايكون، فأعطت الـدوافع و الأسباب و خلصت إلى النتائج.

أضحى لموقف الزهراء عليها السلام ذاك، امتداداته في التاريخ، فتذكر لنا السير و المراجع التاريخيَّة، وقفات مشرفة لنسوة حفظن للإمام علي عليه السـلام ولائهن المطلق و ألقين بشـهاداتهن في مجلس معاوية غير آبهات بالعواقب!، و إذا كانت خطب الزهراء عليها السلام قد جاءت في حياة أبي الحسن عليه السلام فإن كلام و بلاغات تلك النسوة قد جاءت بعد وفاته.

قد جد معاوية في طلب محبي الإمام علي عليه السـلام و تعقبهم و قتلهم شـر قتلة، انتقاماً منهم، و لم تسلم من شره النساء، عن العباس بن بكار(1) قال : حـدثنا أبوبكر الهذلي عن الزهري و سـهل بن أبي سـهل التميمي عن أبيه قالا: لما قتل علي بن أبي طالب عليه السـلام بعث معاويـة في طلب شـيعته فكـان في طلب عمر بن الحمق الخزاعي فراغ منه فأرسل إلى امرأته آمنـة بنت الشـريد فحبسـها في سـجن دمشـق سنتين، ثم إن عبدالرحمن بن الحكم ظفر بعمر بن الحمق في بعض الجزيرة فقتله و بعث رأسه إلى معاوية و هو أول رأس حمل في الإسلام.

1- ابن طيفور، ص87.

فلما أتى معاوية الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم بالرأس بعث به إلى آمنة في السجن و قال للحرسي إحفظ ما تكلم به حتى تؤديه إلي و أطرح الرأس في حجرها ففعل هذا فارتاعت له ساعة ثم وضعت يدها على رأسها و قالت و احزناً لصغره في دار هوان و ضيق من ضيمه سلطان نفيتموه عني طويلاً و أهديتموه إلى قتيلاً فأهلاً و سهلاً بمن كنت له غير قالية و أنا له اليوم غير ناسية).

لقد لاحق معاوية أولئك النسوة ممن وقفن في صف الإمام في حياته و في حروبه، و أخذ يستجلبهن و يستنطقهن في مجلسه علهن يرجعن عن حبهن لعلي خوفاً من سلطانه و حكمه تارة أو بالبذل لهن و البذخ عليهن تارة أخرى، و لكن هيهات لقد استنطق معاوية النسوة فنطقن بما لا يرضيه و لا يسره و ليسجل لهن التاريخ رسائلهن هذه التي بثت على الملأ ذاك الزمان و طبائع رجالاته، و حيثيات وقائعه، فكانت تلك الخطب و البلاغات من النسوة رسائل إعلامية أدت أفضل دور إعلامي لذاك العهد.

و قد ذكر ابن طيفور كلام لعدد منهن، و هن؛ أروى بنت الحارث بن عبد المطلب رحمها الله، و سودة بنت عمارة، و الورقاء بنت عدي، و بكارة الهلالية، و أم الخير بنت الحريش البارقية، و آمنة بنت الشريد،

و أم سـنان بنت خيثمـة بن خرشـة، و عكرشة بنت الأطش، و الدارمية الحجونية، و جروة بنت مرة بن غالب، و أم البراء بنت صـفوان، و يزيد عليهن في العقد الفريد بن عبد ربه الأندلسي، الذكوانية ".

إن أبرز ما يميز هذا الكلام الذي أدلت به النسوة في مجلس معاوية هو:

1 – إنَّ معاويـة هو من سـعى لرؤيتهن، فمنهن من جيء بهن إلى مجلسه في الشام، و بعضـهن الآخر سأل عنهن و أمر باسـتقدامهن إليه في موسم الحـج، و لو قيض الأمر إليهن لما أحببن لقاءه. أنظر قول الزرقاء لموفـد معاوية (إن كان أميرالمؤمنين جعل الخيار إلي فإني لا آتيه، و إن كان حتم فالطاعة أولى).

2– أفصحت النسوة–من الوافدات على معاوية– عما في نفوسهن من حب ثابت لعلي عليه السلام و آل البيت و إيمان حقيقي باللَّه و رسوله صلى اللَّه عليه و آله و سلم و وصاياه للمؤمنين.

1 ـ أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، حققه و شرحه و عرف أعلامه/ محمد التونجي، المجلد الثاني، دار صادر، بيروت – لبنان، ص90. {يذكر أن الاسم الأطرش و ليس الأطش كما جاء في بلاغات ابن طيفور}، ص103.

2 – أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ص100.

3 – هكذا أوردها الأندلسي ص87 . أما ابن طيفور فأوردها هكـذا (إن كان أميرالمؤمنين جعل المشـيئة إلى لم أرم من بلدي هذا و إن كان حتم الأمر فالطاعة له أولى بي) ص51 .

3 – أظهرت النساء في كلامهن بقاءهن على العهـد و مبدئية موقفهن على الرغم من تغير السـلطة و السـلطان و تعاقب الولاة، فلم يبدلن أبا الحسن بمعاوية رغم كرمه معهن و حسن وفادته لهن.

4 – أولئك النسوة كن طلائع لجموع من النساء المؤمنات اللواتي غمر ولائهن لولاية علي بن أبي طالب عليه السـلام المجالس التي ضمت كل مبغض و مقاتل و معادي لعلي عليه السلام من عمر بن العاص و مروان ابن الحكم و أمثالهم.

5 – ما يؤكـد فاعليـة هـذه الرسائل الإعلاميـة و بعـد أثرها في النفوس و التاريـخ، أن كل من كان في المجلس عند معاوية كان يحفظ كلام النساء في حب علي عليه السلام حتى معاوية نفسه رغم مرور السنين.

6– كشـفت خطب و بلاغات النساء خصال الجانبين، و من كان على الحق و من اتبع الباطل منهم، فأجزلن القول بحق علي عليه السلام و آل بيته عليهم السـلام، و ألبن الجموع على من عاداه حياً و ميتاً. و ما خطبهن تلك إلا شـهادات صـدق تؤطر بالذهب المصـفى و تعلق في ضمائر المؤمنين بأن علي كان دولة الحق التي أعقبتها دول الجور و الظلم.

7 – التفاوت في ذكر هذه الشهادات بين مصدر و آخر يدلل على وجود الكثير منها ولكنها طمست ربما بقصد أو بغير قصد.

إنَّ أبرز ما اتسـمت به أولئك النسوة هي الشـجاعة و الإقـدام في حالتي السـلـم و الحرب، فلم ينكرن مواقفهن المشـرفة في ساحات المعارك التي خاضـهـا الإمام علي عليه السلام، و لربما حاول معاوية أن يؤلب عليهن، فيسأل أصحابه:(من منكم يحفظ كلام الزرقاء، فقال القوم كلنا نحفظه)،(1) أو يقول معاويـة: (و لكني و الله أحفظه لله أبوك لقد سـمعتك تقولين أيها الناس إنكم في فتنة غشـتكم جلابيب الظلم و جارت بكم عن قصد المحجة، فيا لها من فتنة عمياء صـماء يسـمع لقائلها و لاينظار لسائقها...)(2) مما يؤكـد عمق الأثر الذي تركته رسائل النسوة في تلك الجموع.

و لقد تكرر هذا القول من معاوية لكل واحدة من النساء المتكلمات عنده، ها هي أم الخير بنت الحريش بن سـراقة البارقية تقدم عليه(فأنزلها معاويـة مع الحرم ثلاثاً ثم أذن لها في اليوم الرابع و جمع لها الناس فدخلت عليه فقالت: السـلام عليك يا أميرالمؤمنين عليه السـلام فقال و عليك السلام و بالرغم و الله منك دعوتني بهذا الاسم...)ثم سألها عن كلامها يوم قتل عمار بن ياسر... ثم التفت إلى اصحابه فقال: (أيكم حفظ كلام أم الخير

1- ابن طيفور، ص50.

2- المصدر نفسه، ص51.

قال رجل أنا أحفظه يا أميرالمؤمنين عليه السلام كحفظي سورة الحمد، قال هاته...) فأخذت تؤلب الجموع بين الصفين في المعركة و تعدد صفات الإمام علي عليه السلام: (هلموا رحمكم اللَّه إلى الإمام العادل و الوصي الوفي و الصديق الأكبر إنها إحن بدرية و أحقاد جاهلية و ضغائن أحدية و ثب بها معاوية حين الغفلة ليدرك بها ثارات بني عبد شمس(1) ثم قالت: قاتلوا أئمة الكفر إنهم لاإيمان لهم لعلهم ينتهون... فإلى أين تريدون يرحمكم اللَّه عن ابن عم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله وسلم و صهره و أبي سبطيه؟(2) خلق من طينته و تفرع من نبعته، و خصه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله وسلم بسره و جعله باب مدينته و أبان ببغضه المنافقين، و ها هو ذا مفلق الهام و مكسر الأصنام صلى و الناس مشركون و أطاع و الناس كارهون، فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزي بدر و أفنى أهل أحد، و هزم الأحزاب، و قتل اللَّه به أهل خيبر، و مزق به جمع هوازن، فيا لها من وقائع زرعت في قلوب نفاقاً وردة و شقاقاً و زادت المؤمنين إيماناً. و قد اجتهدت في القول و بالغت في النصيحة و باللَّه التوفيق، و السلام عليكم و رحمة اللَّه).(3)

1- ابن عبد ربه الأندلسي، ص94.

2- و زوج ابنته و أبي ابنيه... هكذا وردت في ابن طيفور، ص57.

3- ابن عبد ربه الأندلسي، ص95.

فلا يتمالك معاويـة نفسه أن يقول لها: يا أم الخير، ما أردت بهذا الكلام إلا قتلي، و لو قتلتك ما حرجت في ذلك... فما كان جواب أم الخير على تهديد معاوية لها بالقتل... قالت له: و اللّه ما يسوءني أن يجري قتلي على يدي من يسعدني الله بشقائه.(1)

إن هذا التفاني في حب علي هو قاسم مشترك لكل الوافدات على معاوية، فها هو معاوية يقول للزرقاء بت عدي بعد تذكيره بخطبتها الشهيرة يوم صفين...: و اللّه يا زرقاء لقد شركت علياً عليه السلام في كل دم سفكه فقالت: أحسن اللّه بشارتك يا أميرالمؤمنين و أدام سلامتك مثلك من بشر بخير و سر جليسه قال لها و قد سرك ذلك قالت نعم و اللّه لقد سرني قولك فأنى بتصديق الفعلّ فضحك معاوية و قال و اللّه لوفاؤكم له بعد موته أعجب من حبكم له في حياته).(2)

إن كل امرأة حضـرت عنـد معاويـة و سـمع مقالتها ألقمته حجراً و هي تعدد صـفات علي عليه السـلام و جور معاوية و أن أحسن الوفادة و المقال... أنظر لقول أروى بنت الحارث(3) و هي عجوز كبيرة كيف لم تأخذها في الحق

1- ابن طيفور، 58.

2- ابن عبد ربه الأندلسي، ص87 . و جاءت هكذا في ابن طيفور(أحب إلي من حبكم له في حياته).

3- أروى بنت الحـارث بن عبـدالمطلب بن هـاشم عمـة رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله و سـلم و إحـدى فضـليات النساء في الجاهليّة و الإسلام لها رأي راجح و شعر جيد توفيت حوالي سنة 51 هـ.

لومة لائم حين تقول لمعاوية: (لقد كفرت يد النعمة، و أسأت لابن عمك الصحبة و تسميت بغير اسمك و أخذت غير حقك من غير دين كان منك، و لا من آبائك، و لاسابقة في الإسلام، بعد ان كفرتم برسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله و سلم فأتعس اللَّه منكم الجدود و أضرع منكم الخدود ورد الحق إلى أهله، و لو كره المشركون، و كانت كلمتنا هي العليا و نبيناً صلى اللَّه عليه و آله وسلم هو المنصور، فوليتم علينا من بعده، تحتجون بقرابتكم من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله وسلم و نحن أقرب إليه منكم و أولى بهذا الأمر فكنا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون، و كان علي بن أبي طالب عليه السلام رحمة اللَّه بعد نبينا صلى اللَّه عليه و آله و سلم بمنزلة هارون من موسى، فغايتنا الجنة و غايتكم النار)(1)... و بعد قول طويل فضخت فيه معاوية و صحبه و أمهاتهم، أجزل لها معاوية العطاء قال لها معرضاً بالإمام علي عليه السلام، قال: لو كان علياً عليه السلام ما أمر لك بها. قالت: أنت تذكر علياً عليه السلام؟ فض اللَّه فاك) صدقت إن علياً عليه السلام أدى الأمانة و عمل بأمر اللَّه و أخذ به و أنت ضيعت أمانتك و خنت اللَّه في ماله فأعطيت مال اللَّه من لا يستحقه و قد فرض اللَّه في كتابه الحقوق لأهلها و بينها فلم تأخذ بها و دعانا (أي على عليه السلام) إلى أخذ حقنا الذي فرض اللَّه لنا فشغل بحربك عن وضع الأمور مواضعها و ما سألتك مالك شيئاً فتمنّ به إنما سألتك من حقنا و لا

1- ابن عبد ربه الأندلسي، ص96.

نرى أخذ شيء غير حقنا أتذكر علياً عليه السلام فض اللّه فاك و أجهد بلاءك ثم علا بكاؤها(1) و قالت:

ألا يا عين و يحك أسعدينا *** ألا و ابكي أميرالمؤمنينا(2)

علي خير من ركب المطايا *** و فارسها و من ركب السفينا

و من لبس النعال أو احتذاها *** و من قرأ المثاني و المئينا

إذا استقبلت وجه أبي حسين *** رأيتُ البدر راق الناظرينا

و لا و الله لا أنسى علياً *** و حسن صلاته في الراكعينا(3)

الا أبلغ معاوية بن حرب *** فلاقرت عيون الشامتينا

أفي شهر الصيام فجعتمونا *** بخير الناس طراً أجمعينا؟

لقد علمت قريش حيثُ كانت *** بأنك خَيرها حسباً و دينا

و ما كان معاويـة ليجهل موقعه عند المؤمنين، و إن الإمام علي عليه السـلام قد ملك قلوبهم، لذا سأل عكرشة بنت الأطرش عندما سـلمت عليه بالخلافة، فقال لها: الآن يا عكرشة صرت عندك أميرالمؤمنين عليه السلام، قالت: نعم إذ إن لا عليّ عليه السلام حي.

1- ابن طيفور، ص46.

2- ابن عبد ربه الأندلسي، ص98.

3- هذا البيت ذكره ابن طيفور دون عبد ربه الأندلسي.

و لم يترك معاويـة الفرصة حتى يذكر النسوة بمواقفهن في المعارك التي خاضـها الإمام علي عليه السـلام فيقول لها: ألست المتقلدة حمائل السـيف بصـفين، و أنت واقفة بين الصفين تقولين: أيها الناس عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم... إن معاوية دلف عليكم بعجم العرب غلف القلوب، لايفقهون الإيمان و لايـدرون ما الحكمـة دعاهم بالـدنيا فأجابوه و اسـتدعاهم إلى الباطل فلبوه. هذه بدر الصـغرى و العقبة الأخرى...

فكأني أراك على عصاك هـذه و قـد انكفأ عليك العسـكران، يقولون: هذه عكرشة بنت الأطرش بن رواحة، فإن كدت لتقتلين أهل الشام لولا قدر اللّه).(1)

إن معاويـة كان يبحث عن الجواب لسؤاله الأبدي: لم أحب الناس علياً عليه السـلام و أبغضوه، لذا أخذ يسأل النسوة هذا السؤال واحدة تلو الأخرى، فسودة بنت عمارة تقول له: أي واللّه ما مثلي من رغب عن الحق أو اعتذر بالكذب... و تذكر كيف أن حب علي عليه السـلام أتباع الحق هو ما حملها على قول الحق فيه شعراً و كلاماً في صفين فيجيبها: فواللّه ما أرى عليك من أثر على شيئاً، فبكت و أنشدت:

1- ابن عبدربة الأندلسي، ص90.

صلى الإله على جسم تضمنه *** قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً *** فصار بالحق و الإيمان مقرونا(1)

قال لها: و من ذاك! قالت: علي بن أبي طالب عليه السلام. قال: و ما صنع بك حتى صار عندك كذلك. فذكرت موقفه من والي جائر اقتص منه أبا الحسن عليه السلام عند التجائها إليه... أما الدارمية الحجونية، فقد واجهها معاوية بالسؤال: بعثت إليك لأسألك علام أحببت علياً عليه السلام و أبغضتني و واليته و عاديتني؟ قالت: أو تعفيني يا أميرالمؤمنين عليه السلام؟ قال: لاأعفيك. قالت: أما إذ أبيت، فإني أحببت علياً عليه السلام على عدله في الرعية، و قسمه بالسوية، و أبغضتك على قتالك من هو أولى منك بالأمر و طلبك ما ليس لك بحق، و واليت علياً عليه السلام على ما عقد له رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و سلم من الولاية وحبه المساكين و إعظامه لأهل الدين. و عاديتك على سفكك الدماء، و جورك و شقك العصا...).(2)

و هكذا تذهب في تعداد مناقب خليفة حق سابق واراه الثرى و مثالب سلطان جور ما خشيت في قول الصدق أمامه و لم تأخذها في قول الحق لومة لائم... حتى ضج معاوية من صدق النساء و تمسكهن بولائهن و جرأتهن عليه فقال لعكرشة: (هيهات يا أهل العراق نبهكم علي بن أبي

1- ابن طيفور، ص47 - 48.

2- ابن عبد ربه الأندلسي، ص91.

طالب عليه السلام فلن تُطاقوا).(1) أو قوله لسودة بنت عمارة: (هيهات، لمظكم(2) ابن أبي طالب عليه السلام الجرأة على السلطان، فبطيئاً ما تفطمون...).(3)

لقد كان علي عليه السلام في بلاغات النساء كما وصفته جروة بنت مرة بن غالب: (جاز واللَّه في الشرف حداً لايوصف وغاية لاتعرف...).(4) أو كقول أم البراء بنت صفوان حين قتل السلام: فقالت:

يا خير من ركب المطى و من مشى *** فوق التراب لمحتف أو ناعل

حاشا النبي قد هددت قواءنا *** فالحق أصبح خاضعا للباطل

فقال معاوية: قاتلك اللَّه يا بنت صفوان ما تركت القائل.(5)

و هوعند المؤمنات كما قالت أم سنان بنت خيثمة بن خرشة:

هذا علي كالهلال يحفه *** وسط السماء من الكواكب أسعد

خير الخلائق وابن عم محمد *** إن يهدكم بالنور منه تهتدوا(6)

1- ابن عبد ربه الأندلسي، ص91.
2- لمظكم: ذوقكم وعلمكم.
3- ابن عبد ربه الأندلسي، ص85.
4- ابن طيفور، ص109.
5- المصدر نفسه، ص101.
6- ابن عبدربه الأندلسي، ص88 . و جاء العجز عند ابن طيفور، ص92 هكذا (وكفى بذاك لمن شناه تهدد).

إن خطب النسـاء و بلاغـاتهن لعبت دوراً إعلامياً متميزاً في عهـد الإمام علي عليه السـلام و ما بعـده من عهود، و أدت رسالتها في ترسـيخ المفاهيم الإسـلامية التي أقامتها دولة أبي الحسن عليه السلام، و بينت مزايا ولاية الإمام و نقائص ولاية معاوية، كما وثقت لأحداث و وقائع ذاك العهـد و ما ألقي فيها من شـعر وأقوال، وأرخت لها، و حفظتها من الانـدثار و جعلت الألسن تتناقلها شـفاهاً لصدقها و حرارة إيمانها و مبدئيتها.

ص: 273

الخاتمة

كان الإمام علي عليه السلام أبا رحوماً للأمة و للمسلمين، متبعاً لنهج السماء و نبيه الكريم صلي اللّه عليه و آله و سلم، و حاشى اللّه أن يظلم الأب عياله المساكين، و هن القوارير اللواتي أوصى بالرفق بهن سيد الأنام، و كن عنده أحد الأضعفين.

فعلي بن أبي طالب عليه السلام ابن الفواطم الطواهر أرسى أمثولة حية لإعزاز النساء و حفظ كرامتهن وإن جرن عليه أو تعدين، و كان سيداً للأوصياء، و سيداً للأتقياء، و سيداً على قلوب كل النساء...

فزوج الزهراء البتول عليها السلام، كان كفوءاً لها، يوم اقترن بها زوجاً عظيماً أظهر لها كامل محبته و تفانيه حية كانت أم ميتة، فأم الحسن عليها السلام عنده هي خلاصة نساء العالمين، بل هي سيدة النساء أجمعين رافقها في المسير من المهد إلى اللحد، بعلو الاعتزاز و التقدير، بضعة النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم، و ابنة العم، و أم الحسن والحسين عليهما السلام.

ملأ قلب الوصي العذر للمرأة إن أخطأت و إن أصابت و عامل المخطئة بالحسنى حتى الرمق الأخير، كان فوزه مبين بذكر النساء له حيناً بعد حين، في بلاغات جاوزت جدران مجلس عدوه العتيد، و أشرقت بنور الولاية و الولاء للولي، فما كان غيره في الضمير... أميرالمؤمنين عليه السلام.

ص: 275

المراجع

1- القرآن الكريم.

2- ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، مكتبة طريق المعرفة، دارالكتاب العربي، النجف - بغداد، ط1، 1426 هـ - 2005 م.

3- ابن الأثير، الكامل في التاريخ دارالتوفيقية للطباعة، القاهرة -مصر.

4- ابن سعد، الطبقات الكبرى، تقديم إحسان عباس، دارصادر، بيروت.

5- أبوحيدر عبدالزهرة الخزاعي، الإمامة عقيدة قرآنية، العارف للمطبوعات، ط1، 1431 هـ -2010م.

6- أبوفرج علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني (356هـ)، مقاتل الطالبيين، تحقيق: أحمد صفر، قم -انتشارات الشريف الرضي، ط1، 1405هـ.

7 - أبوالفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور، (المولود ببغداد سنة 204 و المتوفى سنة 280 هجرية)، كتاب بلاغات النساء، طبعة مصر 1326 هـ/ 1908م.

8- أبوعثمـان عمرو بن بحر الجاحـظ (255هـ)، البيان و التبيين تحقيق و شـرح عبدالسـلام محمـد هارون، مكتبـة المثنى ببغـداد و مكتبة الخانجي بمصر، ط2 /1960.

9- أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، حققه و شرحه و عرف أعلامه/ محمد التونجي، دار صادر، بيروت – لبنان.

10- الشيخ المفيد، الإرشاد، منشورات المطبعة الحيدرية و مكتبتها في النجف الأشرف، 1962م – 1381هـ.

11- المجلسي/ محمدباقر بن محمد تقي-1110 هـ)، بحارالأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار السلام، دارالكتب الإسلامية.

12- الموفق بن أحمد اخوارزمي (568هـ)، المناقب -1، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.

13- جعفر السـبحاني، الحجة الغراء على شـهادة الزهراء عليها السلام، بحث موجز سلط الضوء على الأخبار المتضافرة التي تتحدث عما لحق بها بعد رحيل الرسول الأكرم صلي اللّه عليه و آله و سلم، نشر مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ط2، المطبعة اعتماد، قم -إيران.

14- جواد جعفر الخليلي، أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السـلام، الإرشاد للطباعة و النشر، دارالهدى، ط2، بيروت -لبنان، 1452 هـ – 2001 م.

15- جورج جرداق، الإمام علي عليه السلام صوت العدالة الإنسانيّة، اختصره و حققه حسن حميد السنيد، مركز الطباعة و النشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ط1، 1424هـ، ط2 1462 هـ ق. مطبعة ليلى.

16- حسن السعيد، المرأة المسلمة -هموم و تحديات، دار الهادي للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، بيروت -لبنان، 1428 هـ- 2007 م.

17- حسن السعيد، سيكولوجية الإشاعة/ رؤية قرآنية، دار دجلة، ط1، 2011، عمان -المملكة الأردنية الهاشمية.

18- رجب البرسي الحلي، مشارق أنوار اليقين في حقائق وأسرار أميرالمؤمنين عليه السلام، تحقيق: جمال المازندراني، دارالقارئ للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، 1427 هـ - 2006م.

19- زين الدين محمد علي بن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، انتشارات ذوي القربى، تحقيق: يوسف البقاعي، ط3، 1429هـ ق، 1387 هـ ش، المطبعة سليمان نزادة، قم -طهران.

20- سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزغلي البغدادي (581 - 654هـ)، تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة، تحقيق:

حسين تقي زادة، مركز الطباعة و النشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ط 1، 1426هـ، مطبعة: ليلى.

ص: 279

21- سعيد أبومعاش فضائل أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في القرآن الكريم، دار المودة، مطبعة اعتماد، ط1.

22- صبحي الصالح، نهج البلاغة، أنوارالهدى، ط4، مطبعة وفا، 1431هـ.

23- طه حسين، المجموعة الكاملة لمؤلفاته، الخلفاء الراشدون، دارالكتاب اللبناني، ط1، بيروت -لبنان، 1973.

24- عبد الحسين الأميني، الغدير، دارالكتاب العربي، بيروت، ط عام 1379هـ.

25- عبدالرحمن الشرقاوي، علي إمام المتقين، مؤسسة مدين للطباعة و النشر مطبعة برستش، ط1، 1423 هـ - 2002م.

26- عبدالفتاح عبدالمقصود، في نور محمد صلي اللّه عليه و آله و سلم- فاطمة الزهراء عليها السلام -تحقيق: شوقي محمد، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية -المعاونية الثقافية، مركز التحقيقات و الدراسات العلمية، 1326 هـ ق، 2005م، المطبعة خاتم، إيران -طهران.

27- عبدالكريم العقيلي، ظلامات فاطمة الزهراء عليها السلام في السنة و الآراء، ط1، 1996م - 1417هـ، بيروت -لبنان.

ص: 280

28- عزيز السيد جاسم، علي سلطة الحق، تحقيق و تعليق صادق جعفر الروازق، منشورات الاجتهاد و العزيز للطباعة و النشر و التوزيع، ط 1، 2000 م، قم.

29- علي الأحمدي الميانجي، عقيل بن أبي طالب، تحقيق و مراجعة: مجتبى فرحي، دارالحديث للطباعة و النشر، ط1، إيران - لبنان.

30- علي بن محمد ابن الصباغ (ت 855ه_)، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، مطبعة العدل، النجف الأشرف، بدون تاريخ.

31- علي محمد دخيل، فاطمة بنت أسد رضي اللّه عنها، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، سلسلة أعلام النساء -2، بيروت -لبنان، 1399ه_، 1979م.

32- علي محمد دخيل، فاطمة الزهراء عليها السلام، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، سلسلة أعلام النساء -3، بيروت -لبنان، 1400 ه_، 1980م.

33- غادة الخرسا، المراة عبر التاريخ، بيروت، لبنان.

34- كاظم النقيب، أئمتنا قادة و هداة، مؤسسة الفكر الإسلامي، للطباعة و النشر و التوزيع، ط2، لبنان -بيروت، 1433 ه_- 2012م، مكتبة العلامة ابن فهد الحلي، كربلاء المقدسة -العراق.

35- كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة من منشورات مؤسسة النصر، 1384هـ.

36- محمد اليعقوبي، انتصاراً لأم البنين -هل كان للخنساء أربع أولاد استشـهدوا في معركة القادسـية؟ مركز الإمام المهدي عج اللّه فرجه الشريف للدراسات الإسلامية، النجف الأشرف، 1424 هـ - 2003 م.

37- محمد باقر الحكيم، الزهراء عليها السلام- أهداف -مواقف- نتائج، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، مطبعة العترة الطاهرة، ط1، النجف الأشرف، 2006م.

38 - محمدبكر إسـماعيل، فقيه الأمة و مرجع الأئمة علي بن أبي طالب عليه السلام، الناشر شهاب الدين، المطبعة كلها، قم -إيران، ط1، 1427هـ، 2006م.

39- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1394هـ - 1974م.

40- محمـد جواد الطبسـي، حيـاة الصديقـة فاطمـة عليهـا السـلام- دراسـة و تحليل، مؤسـسة بوسـتان كتاب قم، مطبعـة مكتب الإعلام الإسلامي، ط1، 1423هـ، 1381 ش، قم.

41- محمد جواد مغنية، فضائل الإمام علي عليه السلام، منشورات دارالهلال و دارالجواد للطباعة والنشر، ط2، 1981، بيروت.

42 - الشيخ محمدجواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة -محاولة لفهم جديد، دارالعلم للملايين، ط3، بيروت -لبنان، 1979.

43- مجموعة مؤلفين، نبراس السياسة و منهل التربية، مؤسسة نهج البلاغة، مطبعة سلمان الفارسي، قم -إيران، 1404هـ.

44- محمدرضا عباس محمد الدباغ، سيرة المرتضى بأسلوب قصصي، ميسر، شكوري، مطبعة قلم، ط1، 2005م، إيران.

45- محمد عبده، نهج البلاغة، منشورات مكتبة النهضة، بغداد -العراق، 1986.

46 - محمدعلي الأنصاري، أهل البيت عليهم السلام، إمامتهم، حياتهم، قم: مجمع الفكر الإسلامي، ط1، ذي الحجة الحرام 1424هـ ق، المطبعة شريعت -قم.

47- محسن باقر القزويني، علي بن أبي طالب عليه السلام رجل المعارضة والدولة، دارالعلوم للتحقيق و الطباعة و النشر و التوزيع، ط1، لنان، 1425هـ - 2004م.

48- مريم نور الـدين فضل اللّه، المرأة في الإسـلام، دار الزهراء عليها السـلام للطباعة و النشـر و التوزيع، بيروت -لبنان، ط1، 1979م - 1399هـ.

49- مهـدي محبوبـة، ملامـح من عبقريـة الإمام، تقـديم و تمهيد: هاشم محمد الباججي، إصدارات العتبة العلوية المقدسة قسم الشؤون الفكرية والثقافية، المعارف للمطبوعات، بيروت -لبنان، العراق - النجف الأشرف، 2011م.

50- موجز سـيرة الرسول صـلي اللّه عليه و آله و سـلم و أهل البيت عليهم السـلام، تأليف و نشـر: لجنة التأليف -مؤسـسة البلاغ مؤسسة البلاغ، ط1، 1414هـ - 1993م، المطبعة: صدر قم، طهران، الجمهورية الإسلامية في إيران.

ص: 284

المحتويات

الموضوع *** صفحه

الآية الكريمة *** 5

الإهداء *** 7

مقدمة المركز *** 9

مدخل/ الآن... يا بيان؟ *** 11

الفصل الأول علي و الفواطم *** 19

أنا ابن الفواطم *** 21

حدقات النسوة تبارك الميلاد *** 29

أول الفواطم عليها السلام... أم محمدعلي *** 38

تذكر السير*** 44

أم فاطمة عليها السلام... أم ثانية *** 62

فاطمة الزهراء عليها السلام.. أغلى الفواطم *** 79

الإضاءة الأولى: أن أباطالب لم يقترن بغير فاطمة بنت اسد *** 80

الإضاءة الأوخرى: ان الإمام علياً عليه السلام عندما اطل على الدنيا *** 81

على عليه السلام و أم البنين عليها السلام... فاطمة أخرى *** 84

الفصل الثاني على و الزهراء عليهما السلام *** 95

قبل الزواج... بعد الزواج *** 97

قبل وفاة النبي صلي اللّه عليه و آله و سلم بعد الوفاة *** 133

الفصل الثالث علي عليه السلام و عائشة *** 163

علي عليه السلام و عائشة... والإفك *** 165

علي عليه السلام و عائشة... و الخلافة *** 180

علي عليه السلام و عائشة... و الجمل *** 200

الفصل الرابع علي عليه السلام و النساء *** 223

علي عليه السلام و النساء في نهج البلاغة *** 225

ما قاله الإمام علي عليه السلام في المرأة *** 230

حدد الإمام علي عليه السلام نقص المرأة في ثلاث مجالات *** 235

علي عليه السلام في بلاغات النساء *** 246

الخاتمة *** 275

المراجع *** 277

المحتويات *** 285

تم بحمداللَّه تعالى

ص: 286

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹